الإسلام المصرى



محمد الباز

محمـــــــد البــــاز

لماذا حاول المصريون سرقة جسد الرسول ﷺ؟

هل مات النبي محمد ﷺ بالزائدة الدودية؟

هل يدخل قتلة الحسين الجنة؟

الإسلام المصري

هل من حق المرأة أن تصلي وتصوم وهي حائض؟

لماذا ترفض المسيحية تعدد الزوجات وملك اليمين؟

فهرس

مقدمة

مدخل..
مصر ساعة صلاة الجمعة

في مصر كل شيء مباح.. الحلال والحرام.. الأدب وقلة الأدب.. العيب وقلة الحياء.. الزواج والرفق.. الحب والكراهية.. الالتزام والفجور.. حلقات الذكر وصالات القمار.. الأفراح الإسلامية وبقايا غوازي شوارع محمد علي.. جلسات المنقبات وبيوت الدعارة.. شباب الجماعات الإسلامية وشباب الـ drugs house.. مقاهي تسهر حتى الصباح ومساجد تغلق أبوابها بعد كل صلاة.. ألسنة مروية بذكر ا وأفواه لا تكف عن سب الدين ولعن حامليه.. صحف دينية وصحف تعيش على الفضائح.. شيوخ فضلاء حقيقيون وشيوخ فاسدون بلا ضمير.. محجبات وعاريات..

حالة من الهدوء والانسجام تضم الجميع بين جناحيها تحت مظلة واحدة اسمها الإسلام المصري، قد يكون الاسم غريبا وقد يؤرقك سؤال: وهل هناك إسلام مصري وآخر سعودي؟ هل هناك إسلام شرقي وإسلام غربي؟ إسلام

يتعاطاه أبناء المغرب وآخر يعيش عليه الشوام؟ الإجابة إذا سمحتم لي ستكون: بنعم.. فعلى الأقل هناك إسلام مصري أعيشه وأحس به، أضع يدي على ملامحه ولا تتوه من بين يدي صفاته.

إن الإسلام الذي دخل مصر محمولاً على حراب جنود عمرو بن العاص وعاش فيها قرونًا طويلة تم استيعابه وهضمه جيدا.. ليخرج بعد ذلك إسلاما خاصا بنا تمت صياغته بروح مصرية خالصة.. لدرجة أن عمرو بن العاص لو بعث من جديد الآن وتجول في شوارع مصر سيجد ممارسات الناس لدينهم غريبة.. لم يعهدهم عليها لا في ولايته أيام عمر بن الخطاب ﵁ ولا أيام عودته إليها مكافأة له على مساندته لمعاوية بن أبي سفيان في خلافه الكبير مع علي بن أبي طالب ﵁.

سيجد عمرو بن العاص مصريا يعيش على هواه.. يصيغ الأشياء بمزاجه الخاص ثم يمارسها كما يتراءى له، فنحن شعب نذنب ونرتكب المعاصي.. ونحن أكثر شعب كذلك نستغفر ا ونطلب منه المغفرة.. ولأننا نشك في صدق نوايانا كثيرا فإننا نستعين بجاه الرسول وكرامات الأولياء

الصالحين نسوقها في طريقنا ونحن نرفع أكـف الضـراعة طالبين العفو والسماح.

جمعني لقاء مع أحد علماء الإسلام.. شيخ أزهـري معمم كنت أثق فيه.. سأله أحدهم عن أدب زيـارة ضـريح سيدنا الحسين.. فقال له: إن سيدنا الحسين يدخل فـي عـداد الأموات.. فعندما تدخل ضريحه تسلم عليه.. السلام عليكم يا أمة لا إله إلا ا .. السلام عليكم ورحمة ا وبركاته.. أنـتم السابقون ونحن إن شاء ا بكم لاحقون.. ثم تعطي ظهـرك لقبره وتقرأ له الفاتحة وتطلب من ا أن يشـمله برحمتـه.. صدم السائل.. ظهرت على وجهه علامات الخيبة ورد على الشيخ قائلاً: يا شيخ قول كلام غير ده.. بقـى أنـا أطلـب الرحمة لسيدنا الحسين ابن بنت سيدنا النبي ﷺ.. ده أنا بتمنى إن ربنا يجعلني من مريديه ويعطيني بعضا من بركاته.

رغم طرافة الموقف إلا أنه يعبر بشدة عن الناس في مصر عندما يدخلون إلى مساحة الدين.. فهم يسـألون بـلا حساب عن أي شيء وكل شيء.. صـفحات الفتـاوى فـي الصحف العامة والمتخصصة بها آلاف الأسـئلة التـي قـد يعتبرها البعض تافهة.. في كل مرة يصـدر الشـيخ الـذي

يرتدي عباءة المفتي حكم الإسلام وفي كل مرة يعود النـاس ويسألون عن نفس الشيء ليسمعوا نفس الحكم مـن جديـد.. وقد تعتقد أن السائل لم يقتنع بالحكم الذي سمعه من الشـيخ وهو اعتقاد غير صحيح.. فالسائل يريـد أن يعطـي نفسـه الفرصة لأن يخطئ.. يقع في نفس الذنب أكثـر مـن مـرة ولذلك يطلب الحكم فيه أكثر من مرة وكأنه يريد أن يقول أنه نسي أو كانت تنقصه المعلومات أو أنه نوع من الدلال على ا .

قد تعتبر الكلمة الأخيرة مفزعة بعـض الشـيء أو معظمه؟؟ فما معنى الدلال على ا ؟ وهل يقوم المصـريون بذلك فعلاً! إن قليلاً من تأمل حياتنا وسـلوكياتنا وحواراتنـا سيؤكد لنا أن هناك مساحة كبيرة للغاية من الدلع علـى ا .. فنحن نذنب بلا حساب ونطمع فيه في كـل مـرة أن يعفـو ويصفح.. بل إن بعض من يذنبون في حق ا يطلبون مـن ا أن يسترهم وهم يذنبون.. فهل بعد ذلك دلال.. النصـاب يقرأ الفاتحة قبل أن يمارس هوايته.. واللص قبل أن يتسـلق بيتًا يقول قاصدا ربه: يا مسهل.. حتى الذين يعاكسون فـي

الشارع تراهم يستعينون با لمباركة ما يفعلون!!! فتبـارك ا فيما خلق.

فكرة الدلال هذه أجادها المصريون لأنهـم نسـجوا علاقة خاصة بينهم وبين ا .. يتعاملون معه في كثيـر مـن الأحيان كصديق مقرب إليهم بشدة.. لا يخافون منه.. حتـى الذين يرهبونهم باسم ا ينفرون منهم ويعتبرونهم متطـرفين ومتشددين، ويريدون أن يقلبـوا الحيـاة إلـى جحـيم.. لا يصدقونهم فا عندهم أعظم وأكبر مما يصورون.. وحتـى عندما يتعاملون مع صفات ا وأسمائه الجبـار والقهـار.. يتعاملون معها على أنهـا خاصـة بالظـالمين والمتكبـرين والمغرورين في الأرض أما وهم الضعفاء.. فـا عنـدهم الرحمن الرحيم الوهاب الرزاق الذي وسعت رحمتـه كـل شيء.

من بين خيوط علاقة المصريين بـربهم وإسـلامهم نسجت أفكار هذا الكتاب في موضوعات متفرقـة.. لكنهـا ترسم في النهاية صورة من صور الإسـلام المصـري.. لا أريد أن أفرض طريقة معينة لقراءة الكتاب.. لكنني فقط أقف

بكم على مشهد واحد من مشاهد الحيـاة المصـرية.. وهـو مشهد مصر ساعة صلاة الجمعة.

يستعد المصريون استعدادا خاصا ليـوم الجمعـة.. فصلاته شعيرة عظمى يؤدونها بطقوس خاصة جدا.. لدرجة أن هناك الآلاف الذين لا يصلون ولا يـدخلون المسـاجد إلا لصلاة الجمعة فقط وترى لهؤلاء منطقًا طريفًـا وهـو مـن الجمعة للجمعة مكفرات لما بينهمـا إذا اجتنبـت الكبـائر.. وماداموا يجتنبون الكبائر فمؤكد أن ا سيغفر لهـم ذنـوبهم الصغيرة.. في لحظة الصلاة تجد المساجد وقد ملئـت عـن آخرها بالمصلين.. لكن الحياة لا تتوقف.. المواصلات العامة تعمل.. المقاهي لا تخلو من روادهـا.. الشـوارع تواصـل حوارها مع المارين فيها.. المحـلات تسـتقبل المتعـاملين معها.. الحياة تسير بشكل عادي جدا.. لا أحد يغضـب مـن الآخر.. فكل واحد في حاله.. الجميع يعيش في سلام براحته وعلى راحته.. هذا التوافق يعبر عن المصريين الذين يحبون ربهم ولا يخافون منه.. يصلي فيهم من يصلي ويعبث فـيهم من يعبث.. لكنهم يعتقدون أنهم في النهاية في كف ا التـي لا تبخل عليهم مطلقًا.

عن هؤلاء وإلى هؤلاء أتحدث...

محمد الباز

البـــكـــــاء....

بين يدي الرسول الأعظم

البكاء بين يدي الرسول الأعظم

يحب المصريون الرسول ﷺ على طريقتهم الخاصة، يكلمونه طالبين منه المدد عندما يشعرون بحصار الدنيا يكاد يخنقهم، ويستمعون إليه عندما ترهقهم دموع الحسرة على حياتهم التي يسرقها من يحكمون وينهبها الفاسدون، يأخذون من كلماته دواء لأوجاعهم وشفاء لأسقامهم.. لا يتحرجون من استحضار روح النبي حتى وهم عصاة.. فلا فرق بين جلسة إيمانية تحفها الملائكة وجلسة ماجنة تحرسها الشياطين.. الجميع يطلبون الصلاة عليه.. فتجدهم يرددون باطمئنان مدهش ألف صلاة وسلام عليك يا نبي.

قضى الرسول ﷺ ثلاثة وعشرين عاما لم يذق فيها طعم النوم من أجل راحة البشرية وسعادتها، أخذ بأيدي الناس من ظلمات الجهل وغيمات الجهالة ليضع أقدامهم على طريق الحضارة والرقي والإنسانية الحقيقية، وكم كان رائعا عندما وضع تشريعاته تناسب روح عصره وتتجاوب معها.. لم يكلف نفسا إلا وسعها ولم يكشف لقومه من أسرار الكون ما تعجز عقولهم عن تحمله.. لكنه حنا عليهم وربت على

أكتافهم.. ولما عاندوه أخذهم بالرحمة.. عـذبوه فـدعا لهـم بالخير.. عصوه فصبر عليهم حتـى يعـودوا إلـى جـادة الطريق.. وحتى يطمئنوا تلا عليهم آيات ا المقدسة التـي تعتب عليه وتلومه وتطالبه بأن يتقي ا .. فهو بشـر مـثلهم يوحى إليه أنما إلهكم إله واحد.

هذه الروح التي بذر الرسول ﷺ بـذورها.. وسـهر عليها حتى نمت، خنقها المسلمون بأيديهم. عادوا مرة أخرى إلى جهالة أعتى من الظلام الذي أخرج الرسول آباءهم منه.. حولوا آيات القرآن وأحاديثه إلى نصوص جامدة لا تتعـايش مع العصر بل تتصادم معه.. لا تضمن السعادة لمن يعمـل بها.. بل ترهقهم وتحولهم إلى عصاة.. يعانون مـن عقـدة الذنب التي يحاصرهم بها سدنة النصوص الذين أرسوا قواعد الكهانة في دين ا .. رغم أنه لا رهبانية في الإسـلام.. ولا كهنوت مع تعاليم الرسول الأعظم..

كنت معجبا.. ولا زلت.. بما قاله الكاتب الإنجليزي برناردشو.. من أنه "لو كان محمد بن عبد ا موجودا فـي هذا العالم لحل مشاكله التي لا تحصى وهو يحتسي فنجانًـا من القهوة" لم يبالغ الكاتب الإنجليزي فيما قاله، فلـو عـاش

الرسول ﷺ بيننا الآن لانتهت مشاكلنا جميعـا.. لكـن ولأن زمن الأنبياء انتهى.. وجاء محمد ﷺ ليضع كلمة النهاية خلف طابور الأنبياء الطويل.. فإن الرسول لن يعود.. لن يعـيش بيننا – ودعوني أقول أننا لا نحتاج إليه. فلدينا آياتـه التـي خصته السماء بها.. وأحاديثه التي وصف بها الحياة.. وردود فعله على ما قاله صحابته الكرام.. لـدينا سـيرته العطـرة وأيامه التي كانت فاصلة بين عصرين.. أحدهما رفع الجهالة شعارا.. وثانيهما جعل العلم له هاديا ونبراسا وسراجا منيرا.

لكن أي آيات وأحاديث وأيـام نتحـدث عنهـا.. إن الرسول ﷺ لو عاش بيننا الآن لوضع تشريعا جديـدا يلائـم حياتنا المعقدة، لم يكن ليظل على ما قاله وقـرره وشـرعه لقومه وأصحابه.. كان سيرفع من شأن روح النصوص التي بين أيدينا كان سيقول لنا لا تتركوا آيات ا تقيـدكم.. بـل اجعلوا منها هاديا يرشدكم إلى مـا يرضـي ا ورسـوله.. ويحقق لكم السعادة.. كان الرسول ﷺ سيرفع عنا قناع التدين الزائف الذي نرفعه جميعا.. لا فرق في ذلك بـين راقصـة تقول أنها تعلم أن الرقص حرام لكن ربنا رب قلوب.. وبين داعية يظل يرهب الناس ويخوفهم مـن النـار.. أو يخـدع

الشباب ويغرر بهم ويعدهم ويمنيهم.. وهـم لا يجـدون مـا ينفقونه أو يقيم حياتهم بالشكل الذي يرضاه رب العالمين.

كان الرسول ﷺ سينهي حالة النفاق الجماعي التـي نعيشها.. فنحن نرتكب الذنوب.. ننتهك حـدود ا .. نهـدر أوامره.. نسرق.. ننهب.. نضحك على عباد ا الفقراء.. ثم نقول ما أجملنا.. نحن على الطريق نسير.. رغم أننا أبعد ما نكون عن جادة الطريق.. لقد عفا الرسـول ﷺ عـن العبـد وحشي قاتل عمه حمزة، لكن شيخ الأزهـر الـذي يعتبـره البعض رمزا للإسلام يطارد معارضيه لأنهم خالفوه الرأي.. يصر على عقابهم وفصـلهم مـن جامعـة الأزهـر.. بـل ومطاردتهم بالإنتربول الدولي إذا لزم الأمر.

أثنى الرسول الأعظم على معاذ بن جبل رضي الله عنه عنـدما أرسله لليمن وسأله إذا سألوك شيئا ماذا تفعل فقال له معاذ.. أنظر في كتاب ا .. فقال له النبي فإن لم تجد في كتاب ا .. فرد معاذ.. أنظر في سنة رسول ا .. فعاجله الرسول فإن لم تجد.. فقالها معاذ قوية ومنطقية وحاسمة: أجتهـد رأيـي.. فابتسم الرسول ﷺ.. لأن ا ألهم رسول رسول ا الصواب، لكننا الآن نطارد المجتهدين، ننصب لهـم المشـانق ونـدق

الخوازيق.. ونفرق بينهم وبين زوجاتهم.. وإذا حاول أحـدنا أن يجتهد اجتمع عليه عبدة النصوص وطالبوه بـأن يعلـن توبته ويعود إلى حظيرة الإسلام رغم أنه لم يخرج منها، بل فعل ما أمر به الرسول وهو أن نعمل العقل الذي هو هبة ا للإنسان.

نهر الرسول ﷺ أبا بكر الصديق وهو أحب النـاس إليه لأنه نهى جاريتين عن الغناء في بيت رسول ا .. وقال له دعهما يا أبا بكر.. لكننا نحرم الغناء ونعتبره رجسا مـن عمل الشيطان فاجتنبوه.. ومن يسمعه فإنه يتعرض لعذاب ا يوم القيامة بأن يصب الرصاص المصهور في أذنيه.. وحاشا أن يحدث ذلك فما كان لإله رحيم أن يؤاخذ عباده بلهوهم البريء.

أكرم الرسول ﷺ المرأة.. وضعها في مكانتها التـي تليق بها.. كرمها وعظمها، ورفع شأنها.. استشارها ليس في أموره فقط.. ولكن في أخص شئون الدعوة.. أنفقت السـيدة خديجة من مالها الخاص لتقف الدعوة الإسلامية على قدميها، وقامت السيدة عائشة بدور رائد في تثقيف النساء وتـوعيتهن ونقل تعاليم الإسلام إليهن.. خرجت المرأة تحارب إلى جوار

الرسول.. لم تكتف بالتمريض وتضميد الجرحى كما قـالوا لنا.. لكنها حملت السيف وضربت بقوة.. بل إن امرأة هي أم دجانة.. احتضنت الرسول في غزوة أحد.. وتحملت السـهام الموجهة إليه.. لتفديه وتحميه.. وتقـدم نفسـها فـي سـبيل الإسلام.. بعد هذا كله نأتي نحن لنعزل النساء.. نجعل منهن بيوتًا للمتعة مرة بالحلال ومرات بالحرام نحاول أن نضرب عليهن حجابا كثيفًا.. يمنع عنهن العلـم والرحمـة، نحـاول إعادتهن إلى بيوتهن بقوة، وكـأن خـروج النسـاء للعمـل والحياة.. هو سبب كل ما نحن فيه من الفساد.. تركنـا كـل شيء وأمسكنا في تافه الأمور.. وجعلنا صلاح الحال كله في أن ترتدي النساء الحجاب، حولنا نساءنا إلى جوارٍ.. وكلمـا رفعت امرأة صوتها ترفض ظلمنا.. قلنا لها قـال ا وقـال الرسول.. مع أن ا لا يقول شيئا يظلم به عباده.. والرسول لا يقر شيئا فيه إهانة لأحد.

وأنا أفتش في كتاب الرسول الأعظم بهرنـي هـذا الموقف المحمدي الراقي: لمـا نـزل الرسـول ﷺ المدينـة مهاجرا نزل في بيت أبي أيوب في السـفل أي فـي الـدور الأرضي، وأقام أبو أيوب وزوجته في العلو أي فـي الـدور

الثاني، قال أبو أيوب للنبي: بأبي أنت وأمي إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فأظهره أنت فكن في العلو، وننزل نحن فنكون في السفل فقال له الرسول: يا أبا أيوب ارفق بنا يغشانا أن تكون في سفل البيت، ويكمل أبو أيوب: كنا نضع للرسول ﷺ العشاء ثم نبعث به إليه، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده، فأكلنا منه نبتغي البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلا أو ثوما، فرده الرسول، ولم أر ليده فيه أثرا، فجئته فزعا فقلت: يا رسول ا : رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك فقال: إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي فأما أنتم فكلوه.

كان الرسول الكريم يعرف مواضع قدميه.. امتنع عن أكل الثوم والبصل لأنه يناجي ربه يتلقى عنه الوحي، وليس معنى أنه لا يأكل الثوم والبصل أنه يمنع الناس عن أكلهما فهو رسول له ما يميزه.. وما يختص به عن الآخرين.. كان يأخذ نفسه بالشدة لأنه صاحب رسالة.. يستمد العون من السماء.. يواصل الصوم.. وينهى أصحابه عن ذلك لأنه ليس فيهم مثله.. حيث يطعمه ا ويسقيه.. مد لنا

الرسول جسور الرحمة لكننا قطعناها.. هذا الموقف الراقـي يمكن أن ينصرف لقضايا أخرى كثيرة.. فلـيس معنـى أن الرسول لم يكـن يصـافح النسـاء ألا نصـافحهن.. فهـذه خصيصته وحده.. وليس معنى أن نساءه لا يتزوجن بعـده.. ألا تتزوج المرأة بعد زوجها.. فهن أمهات المؤمنين.. وليس معنى أن الحجاب فرض على نساء النبي أنه مفروض علـى جميع المسلمات.. فهذه أمور جعلت كلها للرسول الأعظـم.. وقد طبقها في شأن الطعام.. ويمكن أن نطبقها نحن في كافة شئوننا.

إن الذين يدعون حب النبي ووصـلا بـه يجـب أن يعكفوا على النصوص ليخرجوا لنا إسلاما عصريا يلتحم مع حياتنا ولا يخاصمها.. فهذا أكبر دليل على حـبهم لـه.. إن القرآن الذي ينصحنا بأن (**وما آتَاكُم الرسولُ فَخُـذُوه ومـا نَهاكُم عنْه فَانْتَهوا**).. يلزمنا أن نفكر في مغزى الآية فيجب أن نأخذ منطق الرسول قبل أن نأخذ نصوصه.. ونأخذ روحه قبل أن تقيدنا الحروف والكلمات..

إنني دائم الحلم بأن أقف بين يدي رسول ا .. أشكو له مما حل بأمته وحاق بها.. لن يرضى الرسـول الأعظـم

بالتأكيد عما يحدث.. لكنه لم يعد يملك شيئا.. لقد وضع أمامنا كل ما نريد ونحتاج (**الْيوم أَكْملْتُ لَكُم دِينَكُم وأَتْممتُ علَـيكُم نِعمتِي ورضِيتُ لَكُم الإِسلام دِينًا**) لكنه لم يمنعنا أن ننظر في شئون دنيانا.. وما يخص ديننا، لقد تفرقت بنـا السـبل يـا رسول ا .. وحرمنا من أنوار روحك الكهنة أولئـك الـذين يحاولون خداعنا بأنهم جند ا .. وما هم من جنده في شيء.

أوراق....

من ملف الرسول الصحي

أوراق من ملف الرسول الصحي

يستقر في وجدان المصريين على اختلاف درجات إيمانهم شعور بأن الرسول ﷺ كان ينبغي أن يهبط في أرض مصر، لا يعلنون عن ذلك صراحة، لكنهم يترنمون به ويعكسونه في ثقافتهم وسلوكهم وجلساتهم ومنتديات سمرهم، وحتى في أغانيهم التي بين أيديهم.. فهو رفيقنا في أحزاننا وأفراحنا، في انتصاراتنا وانكساراتنا، في ضعفنا الدائم ولحظات قوتنا النادرة.

نخطئ أحيانًا فنجعله في مرتبة ا ونسبغ عليه من الصفات وننسب إليه من الأفعال ما نتجاوز به حدودنا، وتزل أقدامنا أحيانًا أخرى فنتعامل معه كبشر له نزوات وربما أخطاء، في الأولى نضيف إلى تاريخه كل المعجزات التي جرت على أيدي الأنبياء من قبله، وفي الثانية نؤكد أنه كان يحب النساء ويقضي من وقته ما لا تطيقه رسالته من عشقهن وقضاء حاجتهن الجنسية منه، لكننا في الحالتين نحبه ونحلم أن يزورنا طيفه في أحلامنا حتى ننال الحظوة والبركة.. ونصل به إلى مراتب الصالحين.

هذه الحالة جعلتنا ننظر إلى الرسول ﷺ كبطل مـن أبطال الأساطير أو "سوبر مان" لا يعرض أبدا، لقـد أشـار عدد من كتاب السيرة النبوية إلى أن الرسول ﷺ أوتي مـن قوة البدن ما لم يؤت غيره من البشر، وهي إشـارة تجعلنـا نتردد في أن نتطلع إلى الحالة الصحية للرسول... ويسـاعد على ذلك ما ردده بعض الفقهاء من أن الرسول كان إذا قـام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه، وقد صدق على ذلك الإمام مالك في موطئه عندما قال: إن الرسول قال: إني لأراكم من وراء ظهري. وفي بعض الروايـات: إنـي لأنظر من ورائي كما أنظر إلى من بين يدي. وفـي روايـة أخرى إني لأبصر من قفاي كما أبصر من بين يدي.

لم يكن الإمام مالك وحده هو الذي تحدث عن قـوة حواس الرسول ﷺ، لكن ها هي السيدة عائشة تقـول: كـان النبي يرى في الظلمة كما يرى في الضوء. ولعل في ذلـك محاولة لجعل النبي على درجة واحدة مع سيدنا موسى ؑ، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: لما تجلى ا لموسى ؑ كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء من عشرة فراسخ. وإذا كان موسى قد أوتي هذه القوة بعد أن تجلى له ا على

الجبل، فإن الرسول منح هذه القدرة على الرؤية في الظـلام بعد رحلة الإسراء والمعراج التي رأى فيها من المشاهد ما لم يتوافر لنبي آخر، وهو كلام بمنطق إيماني غيبي مقبـول لا غبار عليه.

هذه الحالة الصحية الجيدة حاول الرواة أن يسـتفيدوا منها في أن يعظموا من قوة الرسول ﷺ في إتيان النساء وفي رأي القاضي عياض أن الرسول كان من أقدر الناس علـى إتيان النساء، فقد أعطى الكثير من هذه القوة، ولذلك فقد أبيح له من الحرائر ما لم يبح لغيره، وحتى يؤكد القاضي عياض على ما ذهب إليه فهو يستدعي حديث أنس الذي قـال فيـه: "إنه ﷺ كان يدور على نسائه في الساعة من الليـل والنهـار وهن إحدى عشرة"، ويستشهد بقول طاووس الذي يؤكـد أن الرسول أعطي قوة أربعين رجلاً في الجماع، ويستدعي مـا رواه صفوان عن سليم الذي نقل عن سلمى مولاة الرسـول أنه طاف على نسائه التسع وتطهر من كل واحـدة قبـل أن يأتي الأخرى وقال: هذا أطيب وأطهر.

لقد حاول الرواة أن يبرروا للرسول ﷺ ما ورد فـي حديث الطواف على نسائه، فالقاضي عياض يرى أن الحكمة

من طواف النبي على أهل بيته في الليلـة الواحـدة كانـت لتحصينهن، فكأنه أراد به عدم تشوقهن للزواج إذ الإحصـان له معان منها الإسلام والحرية والعفة، والذي يظهر أن ذلـك إنما كان لإرادة العدل بينهن في ذلك وإن لم يكـن واجبـا، ويعلق ابن حجر العسقلاني على واقعة الطواف بـأن نسـاء النبي يحرم عليهن التزويج بعده، وعاش بعضـهن خمسـين سنة فما دونها وزادت آخرهن موتًا على ذلك وهي أم سـلمة التي توفيت عام ٦١ هجرية، وكان يلزم لهن الإحصان.

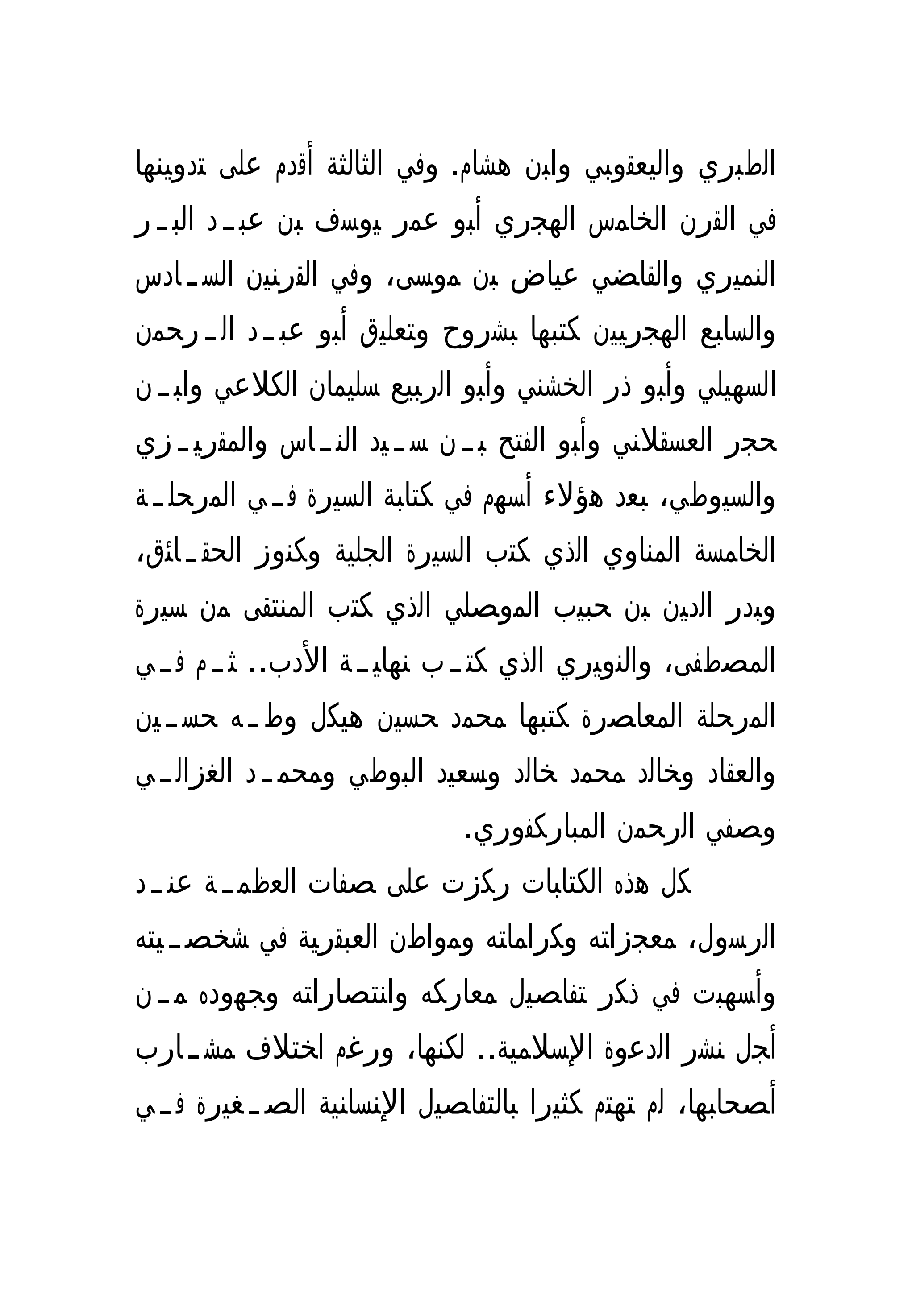
طواف الرسول على نسائه في ليلة واحدة، حاول أن يجعل منه البعض خطوة في التشريع، فالنووي يرى أن النبي كان يحتمل أنه كان يتوضأ بين كل زوجة وأخرى أن يكـون المراد بيان جواز ترك الوضوء بمعنى أن الرجـل إذا كـان متزوجا من أكثر من امرأة فيمكن أن يأتيهن، هذا إذا أوتـي القدرة على ذلك في ليلة واحدة ويمكن له أن يفصل بين كـل منهن بوضوء أو لا يتوضأ كما كان يفعل النبي، وقد جاء في سنن أبي داود أنه ﷺ طاف على نسائه ذات ليلة يغتسل عنـد هذه وعند هذه، فقيل يا رسول ا ألا تجعله غسـلاً واحـدا فقال: "هذا أذكى وأطيب وأطهر". وربمـا يكـون طـواف

الرسول على نسائه برضاهن أو برضـا صـاحبة الليلـة، ويصدق ذلك ما قالته السيدة عائشة من أنها كانـت تطيـب رسول ا فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا.

هذه الروايات والتأويلات يرفضـها جميعـا صـالح الورداني في كتابه "دفـاع عـن الرسـول ضـد الفقهـاء والمحدثين"، فهو يرى فيها فضح وتعرية للرسول، فما قالـه الفقهاء والأصحاب لا يعني إلا شيئا واحدا وهـو أن الحيـاة الجنسية للرسول كانت مكشوفة للجميع وسيرته مـع نسـائه كانت على ألسنة الناس في المدينة، وهو كلام غير مقبـول: كما أنه من غير المقبول فكرة الطواف ذاتها من حيث القدرة ومن حيث الفراغ، فالتسليم بمثل هـذه الروايـات يعنـي أن الشغل الشاغل للرسول كان النساء، وهذا العدد الذي ارتـبط به سواء كان تسعا أو إحدى عشرة كافٍ وحده لإضاعة الليل والنهار، فإن طاف عليهن ليلاً فلابد أن ينـام النهـار، وإن طاف عليهن نهارا فلابد أن ينام الليل، وفي الحـالتين فلـن يكون لديه وقت لشئون الدعوة والمسلمين ولا حتى لاستقبال الوحي.

كلام الورداني منطقي للغاية.. فالذين ألصقوا بالرسول هذه الروايات حاولوا أن يضيفوا لبشريته ما ليس منها ولا فيها، بل ولا يتناسب مع مهام دعوته التي بذل نفسه وأهله وماله من أجلها. ما لم يلتفت إليه الورداني في غمرة دفاعه عن الرسول ﷺ.. أن المسلمين – حتى الفقهاء منهم – كانوا ولا يزالون يستبعدون أن يمرض النبي.. أو يحاصره الألم.. فهو معصوم حتى من الأمراض والأوجاع.. ولذلك كان طبيعيا أن يرفض عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصديق خبر وفاة الرسول.. فهو عنده لا يموت.

هذا التصور عند عامة المسلمين لا يمنعنا أن نعرض لجوانب من صحة الرسول النفسية والبدنية، رغم أن كتاب السيرة على اختلاف توجهاتهم ومناهجهم لم يلتفتوا إلى تفاصيل مرض الرسول، فلم يرد في أي كتاب كلام عن الرسول وهو في حالة مرض اللهم إلا في توصيف المرض الذي مات فيه، لقد مرت كتابة السيرة النبوية بعدة مراحل، في الأولى منها كتبها ابن إسحاق والواقدي وموسى بن عقبة وابن سعد، وفي المرحلة الثانية التي عاصرت النصف الثاني من القرن الثالث واستغرقت القرن الرابع الهجري كتبها


الطبري واليعقوبي وابن هشام. وفي الثالثة أقدم على تدوينها في القرن الخامس الهجري أبو عمر يوسف بن عبـد البـر النميري والقاضي عياض بن موسى، وفي القرنين السـادس والسابع الهجريين كتبها بشروح وتعليق أبو عبـد الـرحمن السهيلي وأبو ذر الخشني وأبو الربيع سليمان الكلاعي وابـن حجر العسقلاني وأبو الفتح بـن سـيد النـاس والمقريـزي والسيوطي، بعد هؤلاء أسهم في كتابة السيرة فـي المرحلـة الخامسة المناوي الذي كتب السيرة الجلية وكنوز الحقـائق، وبدر الدين بن حبيب الموصلي الذي كتب المنتقى من سيرة المصطفى، والنويري الذي كتـب نهايـة الأدب.. ثـم فـي المرحلة المعاصرة كتبها محمد حسين هيكل وطـه حسـين والعقاد وخالد محمد خالد وسعيد البوطي ومحمـد الغزالـي وصفي الرحمن المباركفوري.

كل هذه الكتابات ركزت على صفات العظمـة عنـد الرسول، معجزاته وكراماته ومواطن العبقرية في شخصـيته وأسهبت في ذكر تفاصيل معاركه وانتصاراته وجهوده مـن أجل نشر الدعوة الإسلامية.. لكنها، ورغم اختلاف مشـارب أصحابها، لم تهتم كثيرا بالتفاصيل الإنسانية الصـغيرة فـي

حياة الرسول، لم ينسوا أن يشيروا لتحمله المشاق والمتاعب والهموم في سبيل ا .. لكنهم قالوا ذلك إجمالاً لا تفصيلاً.

فالذين كتبوا عن الرسول انحازوا إلـى أنـه ﷺ لـم تحاصره المتاعب النفسية.. فالمؤمن لا يتعب نفسيا مطلقًـا، وقد تجاهلوا في ذلك الضيق النفسي الهائـل الـذي أصـاب الرسول أكثر من مرة في حياته، فبعد أن زاره الـوحي أول مرة انقطع عنه جبريل بعدها ما يقرب من ثـلاث سـنوات، بقي الرسول خلال هذه الفترة مكتئبا محزونًا تعتريه الحيـرة والدهشة.. حتى أنه – كما روى البخاري – فكر أكثر مـن مرة أن يلقي بنفسه من أعلى الجبـال حتـى يـتخلص مـن حيرته.. ويقول البخاري كان الرسول كلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي بنفسه منه تبدى له جبريل فقال: يا محمـد، إنـك رسول ا حقًا، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فـإذا طالت عليه فترة الوحي فعل ذلك مرة أخرى، فـإذا أوفـى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك.

وفي عام الحزن الذي حصد روحي عمه أبي طالب والسيدة خديجة تراكمت عليه الأحزان واهتـزت مشـاعره بعنف.. وبدلا من أن يجد من يضمد جراحه فـوجئ بقومـه

يبالغون في إيذائه حتى شمله اليأس الذي تحول إلى إحبـاط بعد زيارته الفاشلة إلى الطائف التي رفض أهلهـا دعوتـه وأغروا صغارهم بالتعدي عليه وإهانته، ولأن السماء كانـت حريصة على أن يظل الرسول ثابتًـا.. لا تهـزه التقلبـات النفسية فقد دعته إلى رحلة ترويحية هدأت بها نفسـه، هـي رحلة الإسراء والمعراج.. وليواصل بعدها رحلته الطويلة في موكب الدعوة!

كان الرسول يحزن ويأسف لما وصل إليه قومـه.. وكان قبل أن يصل إلى مرحلة القنوط التام والإحباط الـذي يجعل الحياة بلا قيمة.. كانت تدركه السماء قبـل أن تـزل قدمه، هذا التكوين النفسي الثابت جعل الرسول يتحمل الألـم الجسدي الذي استضافته ملامح جسمه من جـراء الحـروب والمعارك.. وما حدث في أحد كان كافيا.. في هذه المعركـة كسرت رباعيته وشج رأسه حتى سال منه الدم.. ويبدو أن ما حدث له كان قاسيا على نفسه ولذلك تحسر وقال: "كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يـدعوهم إلـى ا ؟!" وقبل أن تحاصره الهموم ويستولي عليه اليأس لحقتـه السماء فيستمع إلى الوحي يقول له: "ليس لك من الأمر شيء

أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون"... وسريعا حققـت السماء ما رنت إليه فرفع الرسول كفيه إليها قائلاً: (كما فـي رواية الطبراني): اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

ما فعله الرواة والفقهاء مع حياة الرسول لم يقـدروا عليه عندما تناولوا خبر وفاته.. فالوفاة سبقها مرض شـديد اعتصر جسد الرسول ﷺ وعصر قلوب من حوله، ففي اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١ هجرية وكان يـوم اثنين شهد الرسول جنازة في البقيع وهو المكان الذي كـان يدفن فيه الصحابة، ولما عاد وقبل أن يصل إلى بيته شـعر بصداع شديد وارتفعت درجة حرارته بصورة لم يتحملهـا.. بعد أن وصل البيت وضعت له "عصابات" مبلولة بماء بـارد لكن لم تنخفض الحرارة.. لدرجة أن الصحابة كانوا يجـدون أثر الحرارة فوق العصابة التي تعصب بها الرسول.

ظل مريضا أربعة عشر يوما كاملة. صلى بالمسلمين منها أحد عشر يوما رغم مرضه – لكنه في الأيام الأخيـرة عجز عن أداء الصلاة بعد أن تثاقل عليه المرض.. قبل موته بأسبوع سأل زوجاته: أين أنا غدا؟ ففهمن ما يقصده.. فنقلوه إلى بيت السيدة عائشة.. وخرج يمشي بين الفضل بن عباس

وعلي بن أبي طالب عاصبا رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتها، كانت عائشة تقرأ عليه بالمعوذات والأدعية التي حفظتها من رسول ا .. وكانت تنفث عليه وتمسحه بيدها طلبا للشفاء ببركة القرآن.

قبل الموت بخمسة أيام زادت عليه الحرارة واشتد عليه الوجع حتى أغمي عليه، طلب من حوله أن يصبوا عليه سبع قرب من آبار شتى، أجلسوه ﷺ في مخضب وصبوا عليه الماء حتى قال لهم: حسبكم.. حسبكم، ولما شعر بخفة في جسده خرج على أصحابه وهو معصوب الرأس حتى جلس على المنبر ليوصي أصحابه قبل أن يلقى ربه.

قبل أربعة أيام من الموت اشتد الوجع، صلى بالناس حتى صلاة المغرب.. وعند العشاء ثقل المرض، فلم يستطع الخروج إلى المسجد، والحدث ترويه السيدة عائشة: قال النبي: أصلى الناس؟ قلنا: لا يا رسول ا وهم ينتظرونك، قال: ضعوا لي ماء في مخضب، ففعلنا فاغتسل، فذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: أصلى الناس؟ ورفع ثانيا وثالثًا"، أدرك الرسول أن كل شيء انتهى فطلب أن يصلي أبو بكر بالناس، حاولت السيدة عائشة أن تمسك بتلابيب الأمل، فقالت

للرسول: اصرف الإمامة عن أبي بكر حتى لا يتشـاءم بـه الناس فأبى وقال لها: إنكن صواحب يوسف مروا أبـا بكـر فليصل بالناس.. وبالفعل صلى ا عليه وسلم حتى وصـلت صلواته إلى ١٧ صلاة بالمسلمين في حياة الرسول.

في اليومين الثالث والثاني قبل الوفاة وجد النبي فـي نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر وأبو بكر يصـلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه بألا يتأخر وقال لصاحبيه: أجلساني إلى جنبه، فأجلساه إلى يسار أبـي بكر، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول ا ويسـمع النـاس التكبير، وفي اليوم الثاني أعتق غلمانه وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب للمسلمين أسلحته، وفي الليل اسـتعارت عائشة الزيت للمصباح من جارتها، وفي اليوم الأخير مـن حياته وعندما ارتفع الضحى دعا ابنته فاطمة إليه ولما رأتـه وما به من الكرب الشديد الذي يتغشاه فقالت: واكرب أبـاه.. فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم، ثم دعـا الحسـن والحسين فقبلهما وأوصى بهما خيرا ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن.

بعد أن انتهى من وصيته اشتد عليه الألم حتى افترسه.. وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها، ولم يفعل شيئا إلا أن استخدم السواك، وبعد أن انتهى منه رفع يده وأصبعه وشخص بصره نحو السقف وتحركت شفتاه ثم مالت يده ولحق بالرفيق الأعلى، بعد أن عاش ثلاثًا وستين عاما وأربعة أيام.

وفاة الرسول ألهت من كتبوا عنه عن تفاصيل مرضه.. لكن هناك تفاصيل أخرى لابد من التطرق إليها، فعندما انتقل الرسول إلى بيت السيدة عائشة واشتد عليه المرض وغاب عن وعيه من شدة الوجع، احتار أصحابه في علاجه فأعطوه دواء يسمى اللدود وهو كريه الطعم جدا، أتى به بعض مهاجري الحبشة، وكان يصب في جنب الفم، ومن هنا جاء اسمه لأن "اللدود" هو جانب الفم، ولما أفاق سأل من حوله: من فعل هذا بي فقالوا: خشينا أن يكون بك ذات الجنب فلددناك، فقال لهم الرسول أنا أكرم عند ا من أن يبتليني بذات الجنب، وما كان ا ليعذبني بها وأمرهم جميعا بأن يتناولوه عقابا لهم على فعلتهم هذه.

هذا الحوار لفت انتباه د. خالد منتصر فبحث خلفه.. ليجد أن ذات الجنب هذا عبارة عن قرحة تصـيب الإنسـان داخل جنبيه وقال عنها ابن شميل أنها عبارة عن علة تثقـب البطن، وقد بنى د. خالد على هذا المعنى اعتقاده بـأن مـا حدث للرسول كان عبارة عن التهاب للزائدة الدودية أعقـب انفجارها ظهور قرحة ذات الجنب التي أعقبها انفجار الغشاء البريتوني الذي أدى إلى إصابة الرسول بالحمى الشديدة التي انتهت بالوفاة.. ما قاله. د. خالد يظل اجتهادا بناه علـى مـا أمامه من دلائل.. لكن تبقى حالة الرسول الصحية مثل كهف الأسرار لأن الذين كتبوا عنه اهتموا بمعجزاته ولـم يلتفتـوا ولو قليلاً إلى حياته الشخصية التي كان فيها ابن امرأة مـن قريش تأكل القديد.

اللّٰه يضحك....

والرسول يبتسم

ا   يضحك.. والرسول يبتسم!

من النوادر التي لا تنسى للشـيخ كشـك سـخريته اللاذعة من أغنية عفاف راضي التي كتبها مرسـي جميـل عزيز "والنبي تبسم" قال يرحمه ا   بنت راضي تقول "والنبي تبسم" هل رأت النبي يبتسم حتى تغني له، كان الشيخ مخطئًا فقد فهم المعنى خطأ، فعفاف راضي لم تكن تتغنـى بتبسـم النبي.. ولكنها كانت تستحلف حبيبها بالنبي أن يبتسـم.. لأن النبي نفسه تبسم!

لم يكن الشيخ كشك وحده هو الذي استنكر الحـديث عن تبسم النبي.. فكل من يكتبون عن حياة النبـي الخاصـة يستبعدون أن يكون النبي قـد ضـحك أو ابتسـم، وعنـدما يضطرون يقولون أن النبي لم يبالغ في الضحك مطلقًا ولـم يره أحد مقهقها ويستندون في ذلك لحـديث السـيدة عائشـة والذي رواه البخاري حيث تقـول: مـا رأيـت رسـول ا   مستجمعا ضاحكًا حتى أرى منه لهاته، إنمـا كـان يبتسـم، ولهاته جمع لهاة وهي اللحمة المتعلقة في أعلى الحنك، وهي لسان المزمار في الحلق!

ابن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري قال أن ما جاء في حديث السيدة عائشة من التبسم لا ينافي أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجزه، لأن ظهور النواجذ وهي الأسـنان التي في مقدم الفم والأنياب لا يستلزم ظهور اللهاة. وما يريده رواة الأحاديث وشراحها أن النبي لم يكن يبالغ في الضـحك بفتح فمه بحيث تبدو لهاته، وكذلك لـم يبلـغ ضـحكه حـد القهقهة.

ولا أدري ما هو سبب العداء فـي تراثنـا الـديني وموروثنا الشعبي للضحك، فخطباء المساجد يمجدون ما قاله صلاح الدين الأيوبي، عندما قال لمن حوله.. كيف أضـحك والمسجد الأقصى أسير، ولا أدري هل قالها أو هي من قبيل العبارات البلاغية الرنانة التي يلهينا بها خطباء المسجد كـل جمعة! وتراثنا الشعبي يؤكد أن الضحك من غير سبب قلـة أدب!

الغريب أن الأحاديث التي يستشهد بها من يريـدون التأكيد على أن النبي لم يكن ضاحكًا.. هي نفسها الأحاديـث التي تدلنا على أن الرسول كان هاشًا باشا، بل كان يـداعب أصحابه بكلمات تفجر الضحكات في جلسات الصحابة، فهذا

جرير بن عبد ا البجلي يقول: ما حجبني رسـول ا منـذ أسلمت ولا أني إلا ضحك "واللفظ صريح.. لم يقـل تبسـم ولكن قال ضحك".

كان النبي يضحك من بعض أفعال أصحابه، فيروي أنه كان هناك رجل على عهد النبي اسمه عبـد ا ، وكـان يلقب بالحمار، وكان يضحك رسول ا ، وكان النبي قد جلده في الشراب، فأتى به يوما فأمر به فجلد، فقـال رجـل مـن القوم.. اللهم العنه ما أكثر ما يؤتي به، فقال النبي "لا تلعنوه فوا ما علمت أنه يحب ا ورسوله"، بل كان النبي يضحك أيضا تعجبا من فعل النساء، في عصره، فقد استأذن عمر بن الخطاب على رسول ا وعنده نسوة مـن قـريش يكلمنـه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمـر ابن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول ا فدخل عمر ورسول ا يضحك، فقال: أضحك ا سنك يا رسـول ا ، فقال النبي: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عنـدي، فلمـا سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، قال عمر: فأنـت أحـق أن يهبن يا رسول ا ، ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن.. أتهببني ولا تهبن رسول ا ، فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسـول

ا ، فقال النبي: إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيـده، مـا لقيك الشيطان سالكًا فجا قط إلا سلك فجا غيره".

أحوال الدنيا وعجائبها كانت تجعل النبـي يضـحك حتى تظهر أنيابه، وهذا أبو هريرة ﵁ يقول: بينمـا نحـن جلوس عند النبي إذ جاءه رجل فقال: يا رسول ا هلكـت، قال: مالك، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول ا : هل تجد رقبة تعتقها، قال: لا، قال: فهـل تسـتطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟، قال: لا، قال: فهل تجد إطعام ستين مسكينًا، قال: لا، قال فمكث النبي وبينما نحن على ذلـك إذ أتي بعرق فيها تمر، قال: أين السائل، فقال: أنا، قال: خذ هذا فتصدق به، فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول ا ، فوا ما بين لابتيها أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضـحك النبـي حتى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك.

كان لابد للنبي أن يضحك من هذا الموقف الدرامي، فهذا صحابي ضربته الدنيا حتى أضرته. وقد دخـل للنبـي مدخلاً أحبه فصبر عليه.. وضحك على كلامه ومنطقه، فلـم يكن النبي يعنف أصحابه.. ولكنه كان يأخذهم على راحـتهم يداعبهم.. ويهش في وجههم.. فقد وضع القرآن نصب عينيه

الحكمة العميقة "ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك" لم يكن النبي يريد أن ينفض الناس من حوله، فلم يكن لا فظًا ولا غليظ القلب.

أحوال الدنيا كثيرة.. وهذه امرأة كانت تريد الرجوع لمطلقها، فقد طلق رفاعة القرظي امرأته. فتزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير. فجاءت النبي، فقالت: يا رسول الله إني كنت عند رفاعة فطلقني ثلاث تطليقات. فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهدبة التي أخذتها من جلبابه، كان أبو بكر جالسا عند النبي وابن سعيد بن العاص جالس بباب الحجرة ليؤذن له، فأخذ ينادي أبا بكر قائلاً: يا أبا بكر ألا تزجر هذه المرأة عما تجهر به عند رسول الله: ولم يزد رسول الله على التبسم وقال للمرأة بلهجة الخبير الذي عرف الحياة على حقيقتها، وفهم ما تريده النساء، لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك"!

لقد وجد النبي أن المرأة تتحدث بشكل مكشوف.. فحدثها بنفس منطقها فقد رفض حديثها عن فقر زوجها الجديد، فلم يكن في الأمر شيء إلا أنها كانت تريد العودة

لزوجها حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها كما قال لها الرسول.

وكما ضحك الرسول من أفعال النساء.. كان يضحك أيضا من أفعال زوجاته، تقول السيدة عائشة: رجع إلي النبي ذات يوم من جنازة من البقيع، فوجدني وأنا أجد صداعا وأقول: وارأساه، قال: بل أنا يا عائشة وارأساه، وقال: وما ضرك لو مت قبلي لغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك، فقالت له: لكأني بك وا لو فعلت ذلك لرجعت إلى بيتي فعرست فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسم رسول ا ثم بدأ في وجعه الذي مات فيه!

كان الرسول – على ما يبدو من حديثه مع السيدة عائشة- رجلاً لينا، فقد تقبل منها غيرتها وجرأتها عليه، فقد قالتها له صراحة فهي تعلم أنه سيدفنها ثم يعود إلى بيتها ليعيش حياته بلا زيادة ولا نقصان مع زوجاته، تبسم النبي لكلام السيدة عائشة ولم يعترض على كلامها.. فقد كان متعبا.. هذا التعب الذي انتهى بالموت.

لم يكف النبي عن الضحك والابتسام حتى قبل موته بلحظات، فقد ظل متمسكًا ببشاشته حتى آخر لحظة في

حياته.. فهذا أنس بن مالك يروي عن النبـي قـائلاً: بينمـا المسلمون في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصـلي بهم، لم يفاجئهم إلا ورسول ا قد كشف ستر حجر عائشـة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول ا يريد أن يخرج إلى الصلاة، فقال أنس: وهم المسلمون أن يفتتنـوا في صلاتهم فرحا برسول ا ، فأشار إليهم بيده رسول ا أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر!

كل الأحاديث أخبرتنا بضحك الرسول وتبسمه.. لكن هناك حديثًا واحدا جمع بين تبسم الرسول وضـحك ا رب العالمين، حديث رواه ابن مسعود قال فيه: قال رسـول ا : آخر من يدخل الجنة رجل.. فهو يمشي مـرة ويكبـو مـرة وتسعفه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبـارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني ا شيئا ما أعطاه أحـدا مـن الأولين والآخرين.

فترفع له شجرة فيقول أي رب! ادننـي مـن هـذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقـول ا عـز وجل: يا ابن آدم! لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول لا

يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقـول: أي رب! ادنني من هذه لأشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: يا ابـن آدم! ألـم تعاهـدني أن لا تسألني غيرها، فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرهـا! فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره، لأنه يـرى مـا لا صبر له عليه فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن مـن الأوليـين، فيقول أي رب ادنني من هذه لأستظل بظلها وأشـرب مـن مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال بلى هذه لا أسألك غيرها، وربه يعـذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدنـاه منهـا فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقـول: يا ابن آدم! ما يرضيني منك؟ أيرضيك أن أعطيـك الـدنيا ومثلها معها، قال: يا رب أتستهزي مني وأنت رب العالمين.

ضحك ابن مسعود فقال ألا تسألوني مـم أضـحك، قالوا: مم تضحك! قال هكذا ضحك رسول ا ، فقـالوا مـم

تضحك يا رسول ا ، قال من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين، فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر".

يمكن أن ترى في حديث عبد ا بن مسعود الطويل مجرد قصة رمزية تؤكد طمع ابن آدم الذي لا يملأ عينه إلا التراب، لكنه حديث رواه مسلم ويؤكد أن ا يضحك من أفعال عباده ومواقفهم. لقد كان السابقون أرحم منا، تحدثوا عن الرسول وعن ا حديث العطف والرحمة.. أما نحن فنستكثر على الرسول أن يكون ضاحكًا ومبتسما.. وكأن الدين عندنا في التجهم وصب اللعنات على من عرفت ومن لم تعرف.. وتبسموا يرحمكم ا .

سرقة جسد الرسول!

سرقة جسد الرسول!

في سطور حياة الرسول ﷺ حقيقة مذهلة.. فهو لم يستمتع بدنياه ولم يشبع ثلاثة أيام تباعا حتى مضى في طريقه الأخير إلى ا ، كانت السيدة عائشة ﵂ تتابع ذلك عن قرب – كانت تقول: "لقد كنت أبكي رحمة له مما أرى به وأمسك بيدي على بطنه مما أرى به من الجوع" وبتأثر شديد كانت تخاطب الرسول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقوتك، لكن الرسول بسموه كان يرد عليها: "يا عائشة مالي والدنيا.. أخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا".

ومن كف السيدة عائشة إلى كف السيدة أم سلمة التي دخلت بيت الرسول ليلة عرسه بها فلم تجد بها شيئا. كل ما قالته: فإذا جرة فيها شيء من شعير وإذا رحى وبرمة وقدر وكعب فأخذت ذلك الشعير فطحنته ثم عصدته في البرمة وأخذت الكعب فأدمته فكان ذلك طعام رسول ا ﷺ وطعام أهله ليلة عرسه.

وعندما دخل عمر بن الخطاب ﵁ على الرسول وهو نائم في بيته وقد أثر في جنبه الحصير الذي ينام عليه قال

له: "يا رسول ا   قد أثر في جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون ا " لم يرد الرسـول ردا غليظًا، لم يسبهم ولم يلعنهم.. كل ما قاله برفـق ولـين: "أفي شك أنت يا ابن الخطاب..؟ أولئك قوم قد عجلـت لهـم طيباتهم في الحياة الدنيا".

لكل ذلك كان الرسول ﷺ عظيما.. ليس لأنـه كـان آخر الأنبياء فقط وليس لأنه جاء برسالة جامعة تحتـرم مـا قبلها وتحتويه وتضيف إليه وتنقيه مما علق به.. وليس لأنـه منح الإنسانية القدرة التي تسمح لها أن تبدع وتنتج وتـنهض وفي الوقت نفسه لم يحرم أبناءها من أن ينالوا جزاء أعمالهم الفاضلة في الآخرة.. كان الرسول في أعلى مراتب عظمته.. لأنه كان برا بالإنسان يقدر ظروفه ويلتمس له الأعـذار.. لا يشدد عليه أموره.. بل يكشف أمامه الأمور بشفافية مطلقـة: إن هذا الدين متين ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه.. فأوغل فيه برفق.

إن ملايين القلوب التي تسير على هـدى الرسـول تتعلق به لأنه حتى الآن يحنو عليها ويربـت علـى كتفهـا، يخفف عنها آلامها، ويمنحها السكينة.. فقد كان بشـرا مثـل

أصحابها عاش كما يعيشون.. لم يطالبهم بما لا يطيقون.. فلا يكلف ا نفسا إلا وسعها.. ولا تفرح السماء بالعبد الطـائع قدر فرحتها بعبد وقع في الخطيئة ثـم خلـع عـن روحـه المعصية وجاء يسعى.. لكن ولأن الناس يعشقون كـل مـا يأتيهم من عنده فقد نسجوا حوله الأساطير الكثيرة.. فمـنهم من يؤكد أنه يرد السلام على مـن يسـلمون عليـه وأنهـم يسمعون ذلك بآذانهم.. ومنهم من يؤكد أنه مد يده تجاه قبـر الرسول ليسلم عليه فأخرج الرسول يده التي يحيط بها النور وسلم عليه.

هذه حكايات أسطورية وليست أكثر من ذلـك، فقـد مات عبد ا ورسوله وترك لنا عناصر القوة إن تمسكنا بها صعدنا وإن تجاهلنا سقطنا، ومن بين ما تختزنه ذاكرتي عن أحد حجاج قريتي أنه بعد عودته من الأراضي المقدسة جلس إلى أصدقائه وكنت قريبا منهم حكى عـن الكعبـة والصـفا والمروة وجبل عرفة الذي يصعد الحجاج إليه بذنوبهم.. ثـم يهبطون منه وقد تركوها وكأنهم اغتسلوا منها.. وفجأة سـأله أحدهم وهل رأيت الرسول؟ كان السؤال غريبا.. لكن إجابـة الحاج كانت أغرب.. فقد قال: نعم رأيته. فتحوا لنـا قبـره

ووقفت بالقرب منه وكان جسده كأنه حي.. فهو نائم فقط.. طلب منه أحدهم أن يصفه.. ولأن الحاج لم ير الرسول وكانت الحكاية كلها من نسج خياله فقد قال: إن الرسول هو أجمل إنسان خلقه ا على وجه الأرض..!

إن زيارة قبر الرسول ليست من المشاعر المقدسة ويصح الحج بدونها شرعيا، لكنه نفسيا لا يتم ولا يجوز خاصة عند المصريين الذين يعشقون الرسول ﷺ على طريقتهم الخاصة ويتمسكون بتلابيب حديثه الشريف "من حج ولم يزرني فقد جفاني"... البعض يهمس في آذانهم أن هذا الحديث ضعيف وبلا سند حقيقي.. ثم إن الرسول لم يكن ليكلف أمته ما لا تقدر عليه.. لكنهم يضربون بذلك عرض الحائط.. فالرسول رسولهم وهو من حقهم وحدهم حتى لو وقف في طريقهم إلى ذلك كل رواة الحديث بكل ما لديهم من قوة روحية وسلطان ديني وأسماء ضخمة.. فهم يذهبون إليه يتحدثون معه وكأنه مازال حيا بينهم.. يطلبون شفاعته.. فقد وجبت هذه الشفاعة لمن يسير على طريقه!

هذا التعامل الراقي مع جسد الرسول ﷺ قابلته محاولات عديدة لسرقة هذا الجسد الشريف.. وصلات هذه

المحاولات إلى ست محاولات رصد بعضها الباحـث طـه عرفة الذي قدم منذ سنوات دراسة مهمة عن "فضائل المدينة المنورة" ليس بما تحتويه من أماكن مقدسة فقط ولكـن بمـا قدمه أهلها لها وبما أجراها الرسول فيها وعليها.

أولى هذه المحاولات قام بها مواطنان من المغرب.. حاولا تنفيذها لأسباب صليبية.. جرت هذه الأحداث بعد وفاة الرسول بأكثر من ٥٠٠ سنة كاملة.. وصلت وقتهـا الأمـة الإسلامية إلى حال مزر.

فقد رأى نور الدين زنكي بعد دخوله إلـى فراشـه بدقائق الرسول ﷺ في منامه يمسك بـه رجـلان وضـعت ملامحهما بدقة.. يحاول الرسول أن يتخلص منهما لكنـه لا يستطيع نظر إليه نور الدين زنكي نظرة العـاجز.. فهـو لا يستطيع أن يفعل شيئا.. ولما لم يتقدم زنكي نظر إليه الرسول ﷺ قائلاً: خلصني من هذين الرجلين.

طاردت هذه الرؤيا نور الدين زنكي عدة ليال لدرجة حرمته من النوم تماما.. جلس إلى مستشاريه ووزرائه سألهم الرأي والمشورة فقالوا له: "لابد أن تسافر إلى المدينة المنورة وتزور قبر الرسول ﷺ فلابد أنه في ضيق" وبالفعل شد نور

الدين زنكي الرحال إلى مدينة الرسول ﷺ.. وكان هدفـه أن يجد الرجلين اللذين كانا يمسكان بالرسول في المنـام نـادى وزيره في أهل المدينة أن زنكي أحضر معه أمـوالاً كثيـرة ويريد توزيعها عليهم. بدأت عملية التوزيع التـي قـام بهـا السلطان بنفسه.. وكلما تقدم منه واحد مـن أهـل المدينـة تفحصه وتأمل وجهه.. انتهى نور الدين زنكي مـن توزيـع الأموال ولم يجد فيمن أعطاهم أحدا ممن رآهما فـي المنـام فسأل أهل المدينة هل بقي أحد منكم لم يأخذ حقه مـن هـذه الأموال؟

وحدثت المفاجأة. قالوا له: أن هناك رجلين جاءا إلى الحج من بلاد المغرب وبعد أن زارا قبر الرسول اسـتوطنا المدينة.. كانت سمعة الرجلين طيبة فقد سارا بين أهل المدينة بالتقوى والصلاح.. ولم يكن يراهمـا النـاس إلا ملازمـين الصلاة في روضة الرسول الشريفة.. بدأ الشك يتسرب إلـى نفس نور الدين زنكي فطلـب أن يراهمـا وبـدلاً مـن أن يستدعيهما إليه ذهب هو إلى بيتهما حيث يقيمان.. دخل البيت وعندما رأى الرجلين.. شعر أنه أمام الرجلين اللذين رآهمـا

بجوار الرسول.. طاف بالبيت فوجد فيه سردابا ينتهي إلـى الحجرة النبوية الشريفة.

كان السؤال لماذا حفرا هـذا السـرداب؟.. أنكـرا معرفتهما به لكن نور الدين زنكي أمر بتعذيبهما حتى اعترفا بأنهما قدما من المغرب في زي حجاج ليسرقا جسد الرسول بعد أن ينبشا قبره.. كان عقاب الرجلين هـو القتـل تحـت الشباك الذي يلي الحجرة التي دفن فيها الرسول.. لكن بقيت أمام نور الدين زنكي مشكلة وهي كيف يحمي قبر الرسول.. ولم يكن أمامه إلا حفر خندق كبير أحاط به قبـر الرسـول وملأه بالرصاص المصهور.. ليكون ذلك سورا عظيما يمنع كل من تسول له نفسه أن يقترب من جسد الرسول.

وإذا كان نور الدين زنكي قد أنقذ الرسول من السرقة فإن الحاكم بأمر ا الخليفة العباسي غريب الأطـوار الـذي حكم مصر بتناقضاته وقراراته المتضاربة.. قرر – الحـاكم بأمر ا الذي كان شيعيا – أن ينقل قبر الرسول بعيدا عـن قبري أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب اللذين دفنـا إلـى جواره ﷺ.. لا يحظى أبو بكر وعمر بحـب الشـيعة علـى اعتبار أنهما سرقا الخلافة من علي بن أبي طالب الذي كـان

أولى بها منهما – كان الحاكم بأمر ا على رأس هذه العملية بنفسه فقد رأى فيها مهمة ضخمة تستلزم الإشـراف عليهـا مباشرة.. وصل إلى المدينة المنورة على رأس عـدد مـن رجاله الأشداء لنبش قبر الرسول وقرر أن يقتـل كـل مـن يتعرض له.. هذه المرة لم ينقذ جسـد الرسـول حـاكم ولا سلطان فقد كان بأمر ا شديد البطش.. لكـن عنـدما كـان رجال الحاكم بأمر ا يعملون بجد إذا بهـاتف يـدور فـي شوارع المدينة قائلاً: أيها الناس إن نبيكم ينبش.. فهب أهـل المدينة وقتلوا رجال الحاكم بأمر ا الذي فر هاربا قبـل أن يمسك به أحد.

حاكم مصري آخر هو "الحاكم العبيدي" قـذفت فـي قلبه فكرة هائلة وهي أن قبر الرسول لا يجب أن يكـون إلا في مصر.. فأهلها يحبونه ويكرمون أهل بيته ثم إن وجـود قبر الرسول في مصر سيكون شرفًا هائلاً يجب أن تحظى به مصر.. جاءت الفكرة للعبيدي بعد أن نصحه بعض وزرائـه بأن ينقل قبر الرسول وصاحبيه هذه المرة من المدينة المنورة إلى مصر.. وبدلاً من أن يزور الناس المدينة تصبح مصـر هدفًا ومقصدا ويشد الرحال إليها.

كان مبعوث الحاكم العبيدي هذه المرة رجلاً اسـمه أبو الفتوح أمره أن ينبش قبر الرسـول دون أن يشـعر بـه أحد.. فقد أدرك العبيدي خطورة ما هو مقدم عليه.. وصـل أبو الفتوح إلى قبر الرسول بالفعل وعندما بدأ في نبش القبر أمسك به أهل المدينة وكادوا يقتلونه.. لكن قبل أن ينفذوا فيه حكمهم هبت على المدينة ريح عاتية اقتلعت كل شيء حتـى كادت البيوت أن تهدم على أصحابها. اعتذر أبو الفتوح عما أقدم عليه ووشى بتفاصيل المؤامرة كاملة.. ويومها قال: إنه يجب أن أعصي الحاكم العبيدي حتى ولو قتلني.. فهذا كـان أفضل عندي من أن أتعرض للموضع الشريف بسوء!

تبقى بعد ذلك محاولات صغيرة لسرقة جسد الرسول منها المحاولة التي كان سور نور الدين زنكي بطلها.. فقـد أقامه زنكي لحماية قبر الرسول من السرقة.. لكن منفذي هذه المحاولة قرروا استغلال هذه السور فقد ربطوه بعدد كبيـر من السلاسل.. وقرروا سحب السور بـالقبر عـن طريـق الخيول.. ولكن الخيول فشلت في مجرد الحركة وكأن أقدامها ثبتت في الأرض.. لتعود إلى الأذهان قصة فرس.. يكشـفها

أهالي المدينة.. لكن أصحابها جربوا حظهم ففشـلوا.. ولـم يعلن عنها إلا بعد سنوات عديدة.

محاولة فاشلة أخرى كان أبطالها هذه المرة أربعـين رجلاً أشداء وصلوا إلى المدينة هذه المرة من سوريا وتحديدا من حلب.. لم يستخدموا الحيلة ولكنهم استخدموا الرشـوة.. أرادوا إخراج قبري أبو بكر وعمر ﵄ من حجرة الرسـول الشريفة.. قدموا للقائمين على أمور المسجد أمـوالاً كثيـرة وهدايا ثمينة.. ونال أمير المدينة منها جزء كبيرا وطلبوا منه أن يمكنهم من فتح الحجرة النبوية ودخولهـا. وافـق أميـر المدينة على فتح الحجرة الشريفة وأمر خـادم الحجـرة أن يرافقهم ويمكنهم مما يريدون ولا يعترض طريقهم.. ذهبـوا جميعا إلى حجرة القبر الشريف ودخلوا من بـاب السـلام.. كانت المفاجأة أن خادم الحجرة الشريفة وجد مع أهالي حلب أدوات حفر كثيرة.. لكنهم قبل أن يصلوا إلى منبر الرسـول ابتلعتهم الأرض وخلصت جسد الرسول منهم وأصبح الخادم هو مصدر الحكاية وحده ولا يعلم أحد هل هي قصة حقيقيـة أم أنها أسطورة من الأساطير التي حاول الخادم نسجها حول قبر الرسول؟!

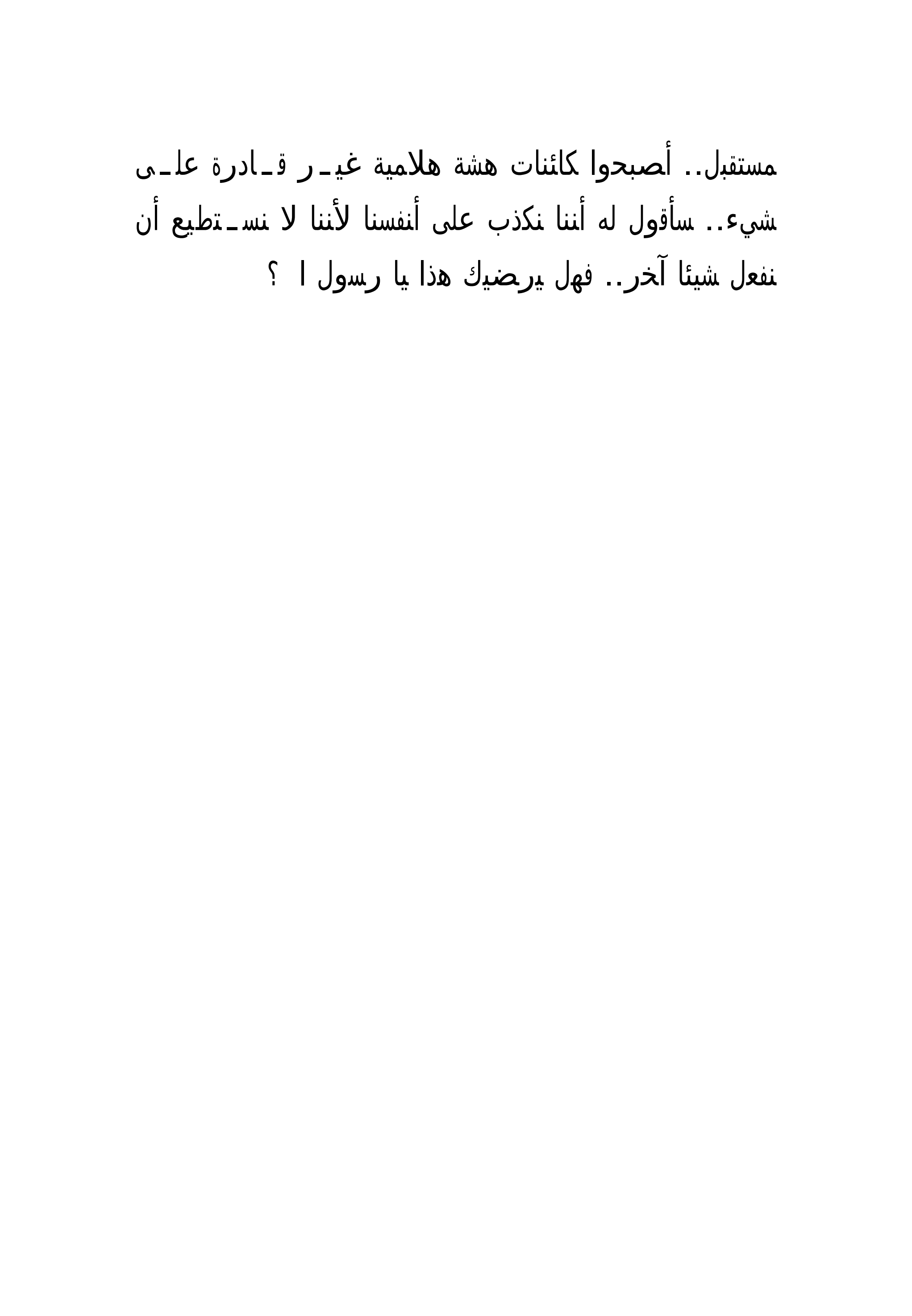
المحاولة الأخيرة حاول أصحابها نقب جـدار القبـر النبوي مباشرة دون نفق أو رشوة لكنها كانت محاولة ساذجة فقد اكتشفت سريعا وتم قتل أصحابها الذين كـانوا يريـدون مصادرة جسد الرسول ودفنه من جديد في مكـان يحددونـه بأنفسهم.. وليتحول الرسول على أيديهم إلى مزار يتكسـبون منه ويربحون من خلفه.. لكن ا سلم.

كانت هذه محاولات مادية تمت بإشـراف منفـذيها الأشرار لسرقة جسد الرسول وكان الهدف منها جميعا ماديا بحتًا.. لكن محاولات سرقة الرسول مازالت قائمة حتى اليوم يقوم عليها وينفذها من يتحدثون باسمه.. من يعلقـون علـى صدورهم لافتة كبيرة مكتوب عليها وبخط واضح "قـال ا وقال الرسول"... حولوا الرسول ﷺ إلى تجارة يتكسبون منها ويربحون من خلالها الملايين التي تتحول إلى أرصـدة فـي البنوك وعقارات ضخمة وسيارات فارهة وعنجهية فارغة لا معنى لها ولا أساس لها.

لقد كانت أمامي وأنا أطالع محاولات سـرقة جسـد الرسول كل الوقائع التي تعتصرها وتـتحكم فينـا وتصـبح مصائرنا.. لقد انتقلنا إلى ذيل الأمم رغم أننا نملك تراثًا هائلاً

من القوة وعوامل البقاء والصمود.. لكننا تخلينا عـن كـل ذلك.. هجرنا الرسول ووصاياه فهجرتنا رحمة ا .. وكـأني بيد ا الرحيمة التي ترعى عباده قـد رفعـت مـن خلـف ظهورنا فتركنا فرادى دون أن يحمينا أحد..

لا أخفيكم سرا أني أحلم بمقابلة الرسول الأعظم.. لن أحدد المكان بل يحدده هو في دار الأرقم بـن الأرقـم.. أو بجوار الكعبة أو في طريقه إلى الهجرة أو في بيته بالمدينـة أو في مسجده أو بين جيشه وهو في طريقه إلى فتح مكة أو أمام الخندق الذي حفره ليحرم الأحزاب فرحة الانتصار عليه واستئصال دينه.. سأقف أمامه طالبا العفو والسماح.. لكنـي سأشكو ما يحدث لنا.. سأقول لـه أن الـدعاة الـذين مـن المفروض أن يكونوا أنبياء بما يحملون مـن علـم وحكمـة أصبحوا مجرد تجار يحسبون قدرهم بما يكسبون ومـا فـي جيوبهم من أموال.. سأقول له أن الحاكم أصبح لا يسـمع إلا نفسه ولا يرى إلا وجهه، تركنا نعاني ولم يكلف نفسه مجرد مشقة السؤال عنا.. سأقول له أن شباب أمتـك الـذين مـن المفروض أن يكونوا وقودا لحماية الـدين والنهـوض بـه أصبحوا بلا قدرة على العمل بـلا مسـتقبل ولا أمـل فـي



مستقبل.. أصبحوا كائنات هشة هلامية غيـر قـادرة علـى شيء.. سأقول له أننا نكذب على أنفسنا لأننا لا نسـتطيع أن نفعل شيئا آخر.. فهل يرضيك هذا يا رسول ا ؟

دم الحسين في كربلاء

دم الحسين في كربلاء

لكل أمة مسيحها..

ومسيح أمتنا الحسين..

حمل روحه على كفه مطمئن القلـب ليقـدمها إلـى السماء اعتذارا مقدما عما سيقترفه الذين اغتصبوا الخلافـة ولكل من سيأتون من بعدهم ليحولوا رسالة النبي الأعظم إلى سيف على من يغضب وذهب لمن يخضع.

لم يختر الحسين أن يركن ظهـره، ولـم يسـتعذب الراحة، لكنه قطع طريق الآلام من مكة إلى الكوفـة رافعـا روح البطولة والقتال، فالمعاني الكبيرة لابد لها من شـهداء، وليس أكرم عند ا من شهيد نما في ظـلال بيـت النبـوة، المشهد الدامي أغمد سيفه في ضـمير التـاريخ لا يريـد أن يبرحه، وعذابات كربلاء لم تغادر بعد قلب الذين تخلوا عنـه ونحروه، رغم أنه كان يقدم نفسه فداء لهم.

نحن الآن في العام الخامس من الهجرة، الرسول ﷺ يجلس في مسجده بين أصحابه، يأتيه من يبشره بأن فاطمـة أحب الناس إليه وضعت طفلها، فيسرع إلى دارها.. تقابلـه

أسماء بنت عميس فيقول لها: يا أسماء هاتي ابني، تحمله إليه ملفوفًا في خرقة بيضاء، أذن الرسول في أذنه اليمنى وأقـام في اليسرى، ثم وضعه في حجره وبكى، سألته أسـماء لـم تبكي يا رسول ا ؟ فقال لها: من ابني هذا، قالت له: إنه ولد الساعة. فيرد عليها الرسول بصوت دامع، يا أسـماء تقتـل ابني الفئة الباغية من بعدي. لا أنالهم ا شفاعتي.

وبعد ستة وأربعين عاما.. وفي العاشر من المحـرم من العام الحادي والستين من الهجرة، رأت السيدة أم سـلمة النبي في منامها وكان على لحيته التراب، فسألته عما حـدث فقال لها: كنت ادفن أبني الحسين، فعرفت أن الحسين قد قتل.

ما بين بكاء لحظة الميلاد وتراب لحظـة الوفـاة.. جرت بين دفتي النهر مياه كثيرة. أقام أبو بكر وعمر العـدل في الأرض وأحييا فيها روح الإسلام، كمـا صـاغها نبيـه العظيم، وقتل عثمان ليفتح باب الفتن على المسلمين بريحـه السامة، وقدم على نفسه فداء للإسلام بنفس راضية، واغتيـل الحسن بن علي بعد أن دست له زوجته جعدة بنت الأشـعث السم في طعامه مرضاة لمعاوية بن أبي سفيان الـذي رسـم

الخطة وأشرف على تنفيذها من أجل أن يمهد الطريق لأبنائه ليركبوا الخلافة الإسلامية ولا ينزلوا عنها.

كان الإمام الحسن قد تنازل لمعاوية وبايعه بالخلافة، على أن يصبح الأمر شورى بين المسلمين من بعده.. لكـن من قال أن لأبناء الطلقاء الذين أعلنوا إسلامهم يوم فتح مكة مخافة السيف عهودا أو مواثيق، ثم جاء الدور على الحسـين ليسمع التاريخ كلمته ويسجل موقفه من الطغاة الذين قـرروا أن يحولوا الإسلام إلى ملك وزينة بعد أن كان خلافة راشدة.

في العام الستين من الهجرة مات معاوية، لم يجد في جعبته ما يسديه من نصح لأمته إلا ما قاله لابنه يزيد، إني لا أخاف عليك سوى أربعة رجال – الحسين بن علي وعبد ا بن عمر.. وعبد الرحمن بن أبي بكر.. وعبد ا بن الزبير.. ولأن يزيد كان ضعيفًا فقد أخذ وصيته بالهمس الذي قيلـت به.. ولذلك عندما جلس مكان أبيه أرسل إلى والـي المدينـة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان قائلاً له: خذ حسينًا وعبد ا بن عمر وعبد ا بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر بالبيعـة أخذًا شديدا – ليس فيه رخصة حتى يبايعوا..

وجد والي المدينة نفسه في مأزق.. فكيف سـيطلب البيعة من الحسين وهو يعلم عنـاده وصـلابته ومعارضـته الشديدة ليزيد بن معاوية الذي عرف أهل الشام شذوذ أفكاره ومشاعره، وتربيته التي كانت تعكس روحا جاهلية مشـبعة بالفجر والفسوق الذي يمارسه ابن معاوية على مسمع ومرأى من كثير من المسلمين في بلاد الشام كاللهو الماجن واللعـب الخليع وشرب الخمر ومنادمة الفتيات والقرود، استشار والي المدينة قريبا له اسمه مروان، ويبدو أن مروان هـذا كـان قاسيا.. فقالها صريحة لقريبه: "أما ابن عمر وابن أبي بكـر، فابعث إليهما فإن بايعا وإلا فاضرب أعناقهما قبل أن يذيع في الناس نبأ موت معاوية فيثب كل واحد منهما في ناحية".

ألم يكن يعلم مروان أنه يتحدث عن رقبة الحسـين، كان يعلم بالطبع لكنه الملك الذي يعمي الأبصـار ويطمـس البصائر، دعا والي المدينة الوليد بن عتبة الحسين إلى بيتـه ولما أخبره الوليد بموت معاوية وطلب منه مبايعة يزيد قـال الحسين: إن مثلي لا يعطي بيعته سرا فاجمع الناس ليبـايعوا وأبايع على ملأ، شعر الوليد بأن الحسين يناور فما كان مثله ليبايع من هو مثل يزيد ولذلك تركه يرحل.. وفي الصـباح

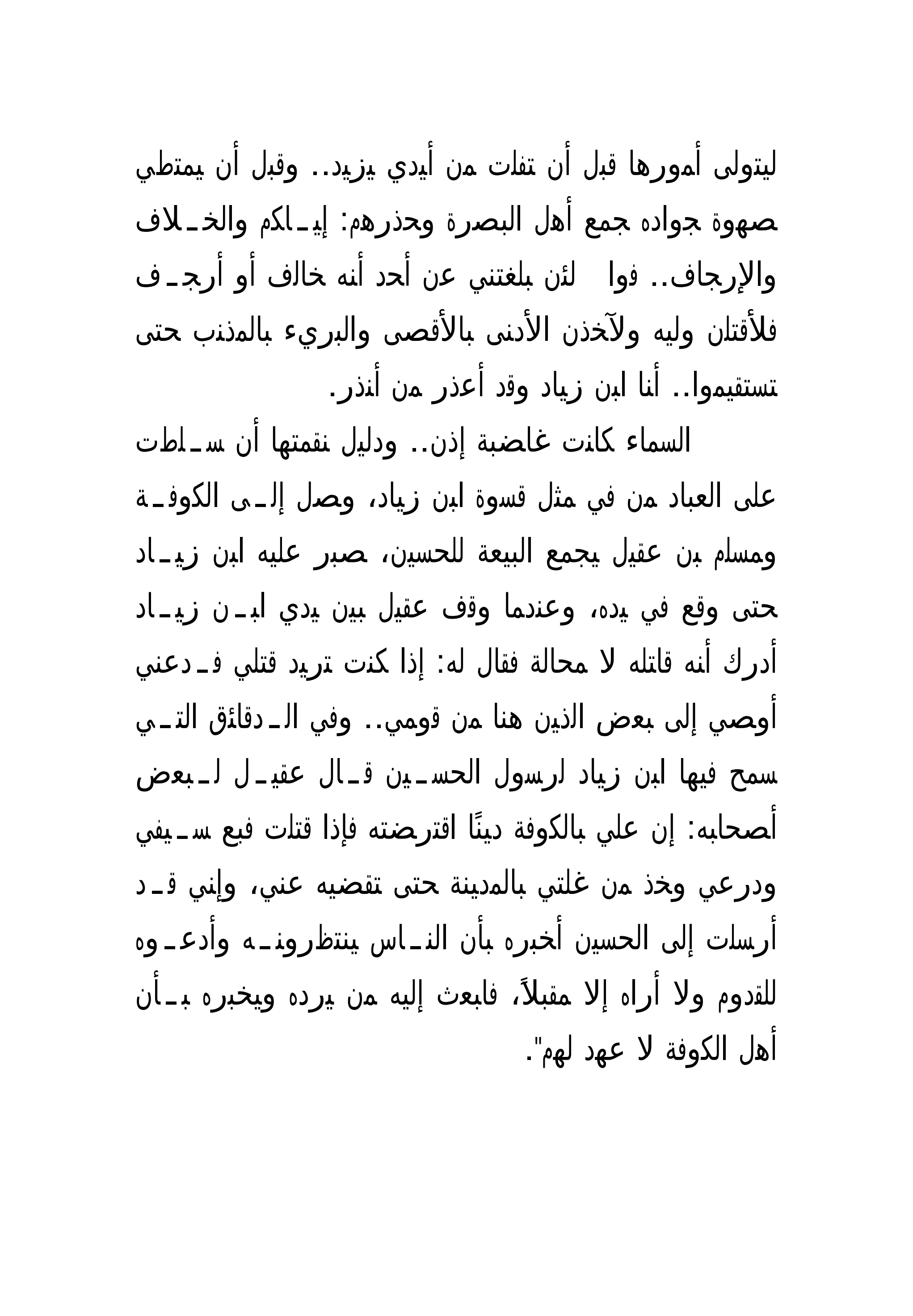
علم الوليد أن الحسين رحل إلى مكة.. وقبل أن يفيق من الصدمة نهره مروان.. لأنه أضاع فرصة القضاء على الحسين من يده.. فلم يجد الوليد ما يرد به إلا قوله: "أتشير علي بقتل الحسين بن فاطمة بنت رسول ا ، وا إن الذي يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند ا ".

لم يخرج الحسين وحده إلى مكة.. حمل معه أختيه السيدة زينب والسيدة أم كلثوم وإخوته أبو بكر والعباس وجعفر وأولاد أخيه الحسن ومن كان بالمدينة من أهل بيته عدا أخاه محمد بن الحنفية الذي آثر البقاء في المدينة على الرحيل.. كانت الرحلة طويلة.. وقد يكون في آخرها هلاكه ومن معه.. لكنه خرج وبعد أن استقر في مكة ليكون بعيدا عن خيوط المؤامرة جاءته كتب أهل الكوفة تدعوه للقدوم إليها ليبايعه أهله، فقد ضجوا من ظلم يزيد، ويريدون أن يزيحوا عن كواهلهم العار الذي لحق بهم باستخلاف هذا الفاجر.

لم يفرح الحسين بكتب أهل الكوفة.. فلم يكن طالب دنيا ولا عبد مال. أرسل إليهم من يستطلع الأمر، اختار ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب.. وصل الكوفة يحمل

رسالة الحسين إلى أهل الكوفة: من الحسين بن علي إلى من يبلغه كتابي هذا من أوليائه وشـيعته بالكوفـة.. سـلام ا عليكم.. أما بعد فقد أتتني كتبكم وفهمت ما ذكرتم من محبتكم ورغبتكم في قدومي إليكم، وإني باعث إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهلي "مسلم بن عقيل" ليعلم لي كنه أمركم ويكتـب إلي بما يتبين من جمعكم، فإن يك أمركم على ما جاءتني به كتبكم وأخبرتني رسلكم أسرعت القدوم إلـيكم إن شـاء ا تعالى".

وكأنه كان يستريب في أمرهم.. وكـأن قلبـه كـان يحدثه بأن نهايته ستكون على أيدي من دعوه ليناصروه، لكن ولأن الأقدار كانت قد قالت كلمتها.. فقد سارت الأمور فـي مراكبها وكان لابد أن يظهر في الصورة إلى جوار الحسـين شقي من أشقياء الدنيا هو عبيد ا بن زيـاد، كـان والـي البصرة، وقد اقتحم البصرة هكذا.. أرسل الحسين إلى أهالي البصرة يدعوهم إلى إحياء معـالم الحـق وإماتـة البدعـة والباطل، عندما علم ابن زياد بشأن رسول الحسـين ألقـى القبض عليه وفي وحشية ليست غريبـة عليـه قـام بقتلـه وصلبه.. وقبل أن يغسل يديه من دمه رحـل إلـى الكوفـة



ليتولى أمورها قبل أن تفلت من أيدي يزيد.. وقبل أن يمتطي صهوة جواده جمع أهل البصرة وحذرهم: إيـاكم والخـلاف والإرجاف.. فوا لئن بلغتني عن أحد أنه خالف أو أرجـف فلأقتلن وليه ولآخذن الأدنى بالأقصى والبريء بالمذنب حتى تستقيموا.. أنا ابن زياد وقد أعذر من أنذر.

السماء كانت غاضبة إذن.. ودليل نقمتها أن سـلطت على العباد من في مثل قسوة ابن زياد، وصل إلـى الكوفـة ومسلم بن عقيل يجمع البيعة للحسين، صبر عليه ابن زيـاد حتى وقع في يده، وعندما وقف عقيل بين يدي ابـن زيـاد أدرك أنه قاتله لا محالة فقال له: إذا كنت تريد قتلي فـدعني أوصي إلى بعض الذين هنا من قومي.. وفي الـدقائق التـي سمح فيها ابن زياد لرسول الحسـين قـال عقيـل لـبعض أصحابه: إن علي بالكوفة دينًا اقترضته فإذا قتلت فبع سـيفي ودرعي وخذ من غلتي بالمدينة حتى تقضيه عني، وإني قـد أرسلت إلى الحسين أخبره بأن النـاس ينتظرونـه وأدعـوه للقدوم ولا أراه إلا مقبلاً، فابعث إليه من يرده ويخبره بـأن أهل الكوفة لا عهد لهم".

كان ابن زياد قد اشترى ذمم أهل الكوفـة فبـاعوه الحسين دون أن تهتز في رءوسهم شعرة، ودون أن يشعروا ولو بوخزة عابرة من ضمائرهم، لم يسألوا أنفسهم بأي وجه سيقابلون الحسين – وماذا سيقولون له.. وهو الـذي مضـى إليهم بعد رسالة تسلمها من ابن عمه مسلم بن عقيل يطمئنـه فيها أن أهالي الكوفة معه.. لم يعلم الحسـين مقتـل عقيـل فمضى في طريقه.. ولو كان علم بما حدث فمؤكد أنه كـان سيمضي.. فلم يخرج الحسين من أجل مغانم الدنيا وزينتها.. ولكنه خرج من أجل المبدأ.. من أجل ألا يخان الإسلام مـن أهله.. وألا يصبح كتاب ا خادما في قصور الملوك.. لـم يكن يرغب في الخلافة.. لكنه كان يتمنى الشهادة من أجل أن تذهب الخلافة لمن يستحقها.. لقد خرج الحسين من مكـة.. لأنه كان يعلم أنه لو لم يخرج لجيوش يزيد لجاءت هي إليه.. وقد أعلنها لأهله وشيعته: لأن أقتـل فـي أي مكـان مـن الأرض، أحب إلي من أن أقتل هنا في مكة فيسـتباح البلـد الحرام بسببي.

لقد قابل الحسين في طريقه إلى الكوفة ما يجعله يعود أدراجه.. لكنه مضى، قابله الفرزدق الشاعر قادما من الكوفة

فسأله الحسين، كيف تركت النـاس مـن ورائـك؟ فأجابـه الفرزدق: تركتهم قلوبهم معك وسيوفهم عليك.. كان لابد أن يعود الحسين لكنه مضى فلله الأمر من قبـل ومـن بعـد، وعندما قابله بعد ذلك عبد ا بن مطيع قادما من العراق قال له راجيا: أناشدك ا ألا تذهب إلى الكوفة – فوا لئن أتيتها لتقتلن.. لم يزد الحسين إلا أن قال له: قل لن يصيبنا إلا مـا كتب ا لنا، وحتى عندما يعلم أن ابن عمه ورسـوله إلـى الكوفة مسلم بن عقيل قتل يردد بينه وبين نفسه: إنا وإنـا إليه راجعون عند ا نحتسب أنفسنا ولا خير في العيش بعد هؤلاء.

كانت الكوفة تضج بما فيها ومن عليها، عزلها ابـن زياد عن العالم، منع أهلها من الخروج إلا لمن كان يقصـد الحج، وفي الوقت نفسه أطلق جواسيسه وطلائعه وسـراياه ليتربصوا بالقادم من أرض النبي، عند إحدى القرى قابلتـه سرية "الحر بن يزيد التميمي" رآه الحسين قادما نحـوه هـو ورجاله يتصببون عرقًا من شدة الحر وقد تيبست شفاههم من الظمأ، فأمر فتيانه بأن يستقبلوهم بالماء فشربوا، وعندما حل

وقت الصلاة سأل الحسين الحر بن يزيد: أتصلي بأصحابك وأصلي بأصحابي؟ فأجابه الحر: بل نصلي جميعا بصلاتك.

كان لابد من حوار بعد أن انتهت الصلاة وبدأه الحسين قال لهم: إني لم آتيكم حتى أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم، فإن أعطيتموني ما أطمئن إليه من عهد وميثاق دخلت معكم مصركم وإن تكن الأخرى انصرفت عنكم.. لم يكن عند الحر بن يزيد جواب، فهو لم يكن يدري من الأمر شيئا.. كل ما يعرفه أنه كلف من أمير الكوفة والبصرة بمهمة محددة وهي أن ينتظر ركب الحسين حتى يلتقيه.. ثم يقوده إلى ابن زياد في الكوفة.. لم يمهل الحسين عبد سيده من أن يكمل كلامه فقال له: الموت أدنى إليك مما تريد، وعندما هم الحسين وأصحابه بأن ينصرفوا حاول الحر بن يزيد أن يقطع الطريق عليهم. فقال له الحسين ولعله كان يصرخ في وجهه: إنها الحرب إذن!

لم يكن الحر بن يزيد بالقوة التي تجعله يقول للحسين في وجهه نعم إنها الحرب.. تراجع عن موقفه وقال بصوت أرهقته قلة الحيل، إني وا لا أريد قتالك ولم أومر به، وإني لأرجو أن يرزقني ا فيك العافية ولا أبتلى بشيء، من

أمرك، ولقد أمرت إن أنا لقيتك ألا أفارقك حتى أخبر الأمير ابن زياد فإن رأيت فاتخذ طريقًا لا تدخلك الكوفة ولا تـردك عنها حتى يأتينا رأي الأمير.. لم يستطع كذلك أن يخالف أمر سيده.

حاول الحسين أن يدخل الكوفة.. لكن جنود الحر بن يزيد وقفت له تمنعه حتى جاء كتاب الشقي ابن زياد: شـدد على الحسين في المكان الذي يوافيك عنده كتابي ولا تنزلـه إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير مـاء، وقـد أمـرت رسولي ألا يفارقك حتى تـأتيني بإنفـاذ أمـري.. الأوامـر صدرت إذن ولما أراد الحسين أن يسـتأنف سـيره متجهـا صوب بئر ماء منعه الحر بن يزيد، وظل يضيق عليه الخناق حتى نزل الحسين في أرض فضاء موحشة انقبضت روحـه فسأل من حوله: ما اسم هذا المكان؟ فقالوا له، كربلاء.. هي كربلاء إذن..

لم يكن الاسم الذي حملته مدينة تقع الآن على بعـد ١٥٠ كيلو مترا إلى الجنوب الغربي من بغداد غريبا على آل البيت النبوي، وهذا هو الإمام أحمد في مسنده يـروي أن أم سلمة زوج الرسول قالت: رأيت رسول ا وهو يمسح رأس

الحسين ويبكي فقلت له: ما بكاؤك؟ فقال لهـا: "إن جبريـل أخبرني بأن ابني هذا يقتل بأرض يقال لها كـربلاء".. ثـم ناولها الرسول ﷺ كفا من تراب وقال: إن هذا مـن تـراب الأرض التي يقتل بها، فمتى صار أحمر فاعلمي أنه قد قتل. وكانت أم سلمة تضع التراب في قارورة عندها وتقـول: إن يوما يتحول فيه هذا دما ليوم عظيم..

وكربلاء مرة ثانية..

فقد روي أن جبريل كان عند النبي والحسين مـع أم سلمة فبكى فتركته يذهب إلى رسول ا ، فقال لـه جبريـل: أتحبه يا محمد؟ فقال له نعم، فرد جبريل إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، فبسـط جناحـه إلى الأرض فأراه أرضا يقال لها كربلاء.

وكربلاء مرة ثالثة..

كان الإمام علي في طريقه إلى معركة صفين وكـان معه الحسين، وعندما مرا على هذه البقعة من الأرض وفـي نفس المكان توقف الإمام علي وقال: هنـا محـط رحـالهم ومهراق دمائهم، ولابد أن الحسين عندما وصل إلى كـربلاء

قد استرجع كل هذا ووضعه أمامه وأيقن أن الموت قـادم لا محالة.

هي كربلاء إذن.. التي سينظر إليها المسلمون دائمـا في غضب يلعنون أهلها قربى للحسين دون أن يـدركوا أن الحسين قدم نفسه من أجل أن ترفع اللعنة عن المسلمين. وأن تكون روحه كلمة تقود الحائرين والمظلومين إلـى طريـق واحد وهو المقاومة من أجل الحق.. والدفاع عـن المبـدأ.. والموت دون العقيدة.. فرغم أن الحسين كان يعلـم أن فـي كربلاء مصرعه لكنه لم يغادرها.. ظل صامدا.. حتى يأتيـه الموت وهو واقف على قدميه.

لم يكن عند ابن زياد جيش مجهز لملاقـاة الحسـين ورجاله، فاستدعى جيش عمر بن سعد، والذي كـان يضـم أربعة آلاف فارس جهزهم ابن زياد للقضاء على ثورة الديلم في أرض همذان، بدلاً من أن يذهب عمر بـن سـعد إلـى همذان خرج إلى كربلاء، حاول أن يقـاوم ويـرفض هـذه المهمة التي لن تنتهي إلا بمقتل الحسين.. لكن رنين الـذهب أعمى بصره.. وبريق الملك أصم أذنيه، هدده ابن زياد بأنـه إن لم يخرج للحسين.. فسيحرم من الولاية التي كان يطمـح

إليها ويعزل عن الجيش، ضعفت نفس ابـن سـعد فاختـار القريبة على هزالها.. ولم يفكر فـي البعيـدة علـى غناهـا وثرائها.

نزل عمر بن سعد إلى كربلاء في اليوم الثاني مـن المحرم، وعسكر على مقربة من جيش الحسين الذي لم يكن في حقيقته جيشًا.. أرسل ابن سعد للحسين يسأله لماذا جاء.. وللمرة المائة يقولها الحسين: "إن أهل الكوفـة كتبـوا إلـي يذكرون أنهم لا إمام لهم ويسألونني القدوم إليهم، فجئت إليهم، وفي الطريق علمت بنكوصهم فأردت الرجوع فمنعني الحـر بن يزيد وسار بي إلى هذا المكان"، اعتقد عمر بن سـعد أن المشكلة انتهت إذن، ومادام الحسين يريـد أن يعـود فليعـد سالما، ولما كتب بذلك لابن زياد، رد عليه من فوره اعرض على الحسين البيعة ليزيد فإذا بـايع ومـن معـه فـأخبرني وسيأتيك رأيي.. قرأ الحسين كتاب سفاح الكوفة.. فردد مـا قاله ولم يحد عنه منذ خرج من المدينة: "لا أجيب ابن زيـاد إلى ذلك أبدا.. وإن يكن الموت فمرحبا به".

اختار الحسين الموت فجاءه أسرع مما يتخيل..

رفض أن يبايع يزيد الفاجر.. ظل صامدا.. ففعلها ابن زياد أرسل إلى عمر بن سعد أن يجيء بالحسين ومن معه إلى الكوفة عنوة فإن أبوا فليقاتلهم حتى الموت.. حمل الرسالة إلى عمر سفير الشيطان "شمر بن ذي الجوشن" وهو شقي آخر من أشقياء الأرض، لم يجد شمر بدا من التفاوض مع الحسين فقرر أن يشعل الأرض نارا، فقد خرج من الكوفة قاصدا رأس الحسين حتى لو دفع في ذلك أغلى ما يملك.. ولذلك أوصاه سيده ابن زياد أن يكون حادا مع عمر ابن سعد أكثر من ذلك وقد كان قال له: إني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتكون له عندي شفيعا.. ادع الحسين إلى ما أمرتك، فإن نزل وأصحابه على الحكم مستسلمين فابعث بهم إلي وإن أبوا فازحف عليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم. وبعد أن يقتل الحسين أوطئ الخيل صدره وظهره.. فإن مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وأن أبيت فاعتزل جندنا.. ودخل بن شمر بن ذي الجوشن والعسكر.

لم تكن البيعة مقصدهم..

لكنهم كانوا يريدون الانتقام.. كانوا يريدون إذلال أهل بيت الرسول ﷺ، وكأن يزيد سليل بيت أبي سفيان لم

ينس لوعة جدته الكبرى هند بنت عتبة.. ولم يكفهم دم حمزة سيد الشهداء ثمنًا لقتلى بدر، فصاروا في غـيهم وانتقـامهم، فالبيعة لا تكفي والقتل لا يكفي.. بل لابد من التمثيل بالقتلى.. الذين هم عطرة الرسول وشذا روحه.

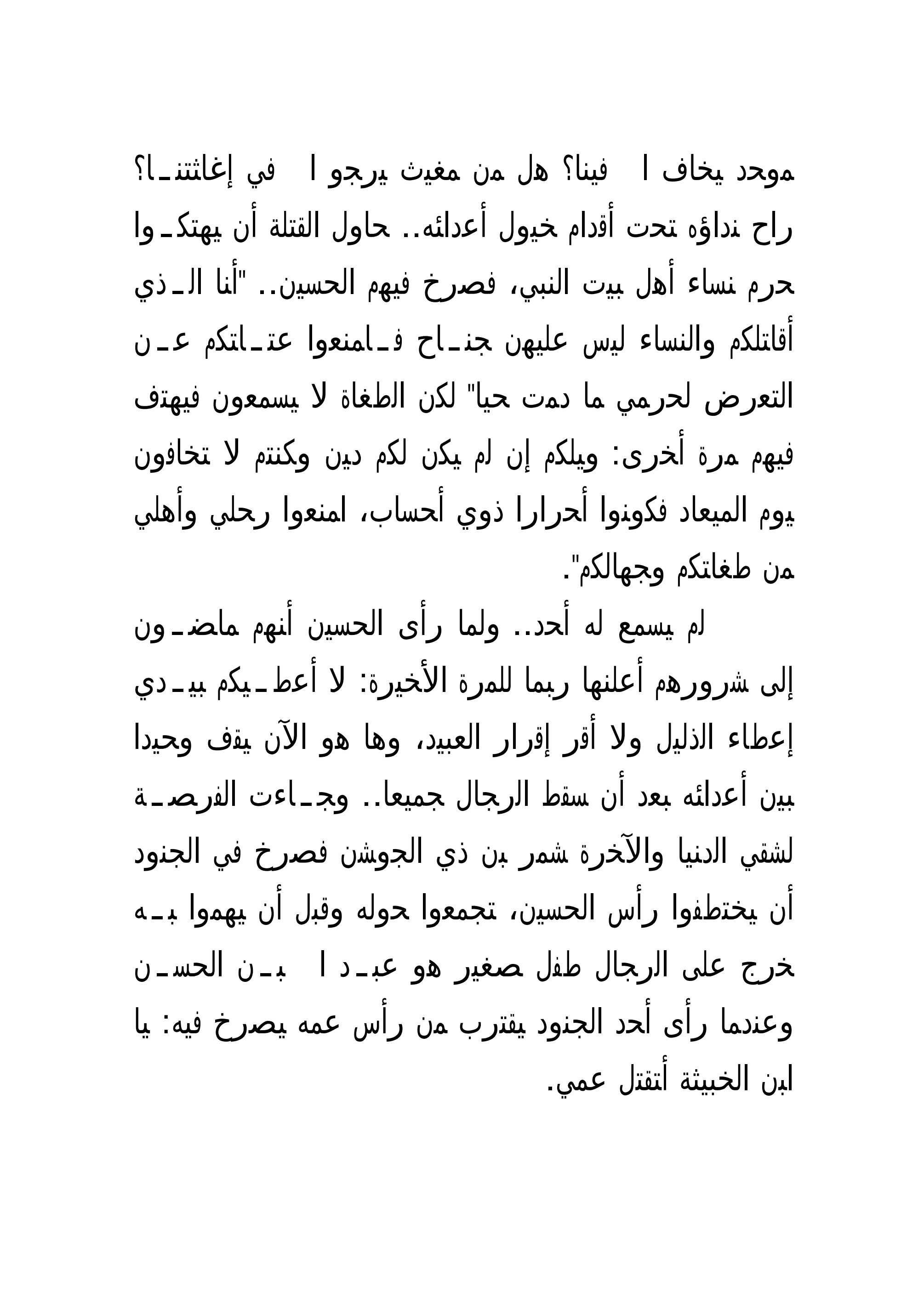
كانت أمام عمر بن سعد فرصة أن يشـتري دينـه بدنياه.. لكن غلبت عليه شقوته فمضى في طريق الشر وبـدأ القتال الذي كان أمره محسوما من البداية، فالحسين يواجـه باثنين وسبعين جيشًا قوامه أربعة آلاف، طلب الحسين مـن قاتليه إرجاء القتال إلى العاشر من المحرم.. يوما واحدا طلبه لا ليفكر أو ليعطي نفسه فرصة للتراجع.. ولكنه جمع رفاقه وقال لهم في فروسية نادرة، إني لا أعرف أصحابا خيرا من أصحابي ولا أهل بيت أبر من أهل بيتي، فجزاكم ا خيـرا فقد بررتم وأعنتم، وإنكم لتعلمون أن القوم لا يريدون غيري وإن يومي معهم غدا، وإني قد أذنت لكم جميعا فانطلقوا فـي غير حرج ليس عليكم مني زمام.. وهذا هو الليل قد غشيكم، فانطلقوا في سواده قبل أن يطلع النهار وانجوا بأنفسكم.

خير الحسين أصحابه.. فاختاروا.. أجابه أخوه لأبيه العباس بن علي: معاذ ا والشهر الحرام، وماذا نقول للناس

إذا رجعنا إليهم، نقول تركنا سيدنا وابن سيدنا غرضا للنبـال ودريئة للرماح وجرزا للسباع.. وفررنا منـه رغبـة فـي الحياة.. معاذ ا بل نحيا بحياتك ونموت معك..

كانت القضية واضحة فأتباع الحسين يعرفون أنهـم على الحق.. وأن قاتليهم أشر عباد ا خلقًا وخلقًا، وهذا نافع بن هلال البجلي أحد أصحاب الحسين يواجه شـمر بـن ذي الجوشن بصدق وثقة: "وا لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى ا بدمائنا فالحمد الذي جعل منايانا علـى أيـدي شرار خلقه".

هم شر الخلق إذن.. ولذلك لم يترددوا.. أطلق عمـر ابن سعد سهمه في اتجاه الحسين ليعلن بـذلك القتـال.. رأى الحسين جيش الظلام قادما نحوه فلم يفعل أكثر من الاعتصام بجاه ا . اللهم أنت ثقتي في كل كرب وأنت رجائي في كـل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة".. لم يتراجـع القتلة لكنهم سحقوا أصحاب الحسين وجعلوهم أشلاء متناثرة على أرض كربلاء.. صمدوا نعم.. لكنهم قـدموا أرواحهـم طاهرة في النهاية.. رأى الحسين جثث أهله وأصحابه مـن مواليه فنادى: هل من ذاب عن حرم رسول ا ؟ هـل مـن



موحد يخاف ا فينا؟ هل من مغيث يرجو ا في إغاثتنـا؟ راح نداؤه تحت أقدام خيول أعدائه.. حاول القتلة أن يهتكـوا حرم نساء أهل بيت النبي، فصرخ فيهم الحسين.. "أنا الـذي أقاتلكم والنساء ليس عليهن جنـاح فـامنعوا عتـاتكم عـن التعرض لحرمي ما دمت حيا" لكن الطغاة لا يسمعون فيهتف فيهم مرة أخرى: ويلكم إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم الميعاد فكونوا أحرارا ذوي أحساب، امنعوا رحلي وأهلي من طغاتكم وجهالكم".

لم يسمع له أحد.. ولما رأى الحسين أنهم ماضـون إلى شرورهم أعلنها ربما للمرة الأخيرة: لا أعطـيكم بيـدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد، وها هو الآن يقف وحيدا بين أعدائه بعد أن سقط الرجال جميعا.. وجـاءت الفرصـة لشقي الدنيا والآخرة شمر بن ذي الجوشن فصرخ في الجنود أن يختطفوا رأس الحسين، تجمعوا حوله وقبل أن يهموا بـه خرج على الرجال طفل صغير هو عبـد ا بـن الحسـن وعندما رأى أحد الجنود يقترب من رأس عمه يصرخ فيه: يا ابن الخبيثة أتقتل عمي.

لم ترحم صرخة الطفل الحسين ولم ترحمه هو نفسه إذ وجه إليه أحد الجنود سيفه فأوقعه قتيلاً.. وقبـل أن يلقـى الحسين حتفه يحمل الطفل الصغير إلى عمته السيدة زينـب التي شهدت مصارع أهلها.. وعندما يعود يجد السيوف فـي انتظاره.. تقدم منه جندي فضربه بسيفه على معصـم يـده اليسرى فطارت كفه، ثم تقدم ثان فضربه بسيفه على عاتقـه فوقع على الأرض.. وعندما قاوم اجتمعوا عليـه بسـيوفهم وبطعنة أخيرة مات الحسين.. ثم تقدم شمر بن ذي الجوشـن وبسيفه يجتز رقبة الحسين ليحملها هدية إلى سيده الشقي ابن زياد، وسيده الأشقى يزيد بن معاوية وهكذا مات الحسين..

والسؤال: هل كان لابد أن يقتل الحسين – والجواب نعم.. لأنه لم يكن يدافع عن حقه في حيـاة رغـدة أو ملـك ناعم.. ولكنه كان يدافع عن كلمة الحق كي تعلو.. قدم السيد نفسه فداء، كي يعرف الناس أن الحياة الحرة الكريمة لابد لها من تضحيات.. سالت دماؤه على أرض كربلاء ذكية غاليـة لتكون ثمنًا للقيم السامية والمبادئ العليا.. وما يفعلـه شـعب العراق الآن بعض من نفحات الحسين.. فقد قتـل أجـدادهم الحسين.. ولعل تقديمهم لأنفسهم ثمنًا لأرضهم ودفاعهم عنها

يكون كفارة وتكفيرا عن ذنبهم الذي اقترفوه.. ولعل ا يغفر لهم بذلك.

قتلة الحسين في الجنة!

قتلة الحسين في الجنة!

لن تكف جماعة أنصار السنة المحمدية عن العمل إلا بعد أن تجرنا جميعا لعصور مظلمة لن يقـدر أحـد علـى تحملها.. ولن تكف عن إصدار الكتيبات والفتاوى إلا بعد أن تجرد المصريين جميعا مـن تـدينهم الخـاص وطقوسـهم وارتباطهم الخاص بالإسلام.. منذ فترة أفتـى شـيخوهم أن زيارة قبر الرسول حرام ضاربين عرض الحائط بمـا قالـه النبي ﷺ "ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة".

لكن ما يقوله أحد كتبهم الصغيرة التي يوزعونها في المواصلات العامة وعند باعة منطقة الأزهر شـيء آخـر ومذهل تماما.. كتيب صغير يحمل عنوان "رأس الحسين سيد شباب أهل الجنة".. يحمل توقيع شيخهم الكبير ابن تيمية وقدم له على عبد العال الطهطاوي.. من مظهره يبدو كتابا عاديا.. لكن الأفكار الواردة فيه والمنهج الذي كتـب بـه.. يحمـل توجهات وأفكار أهل السنة.. من بين أفكاره الكثيرة فكرتـان مؤرقتان.. لا تحتاجان إلى المناقشة فقط.. ولكن يحتاجان إلى التصدي والكشف والرفض.

الفكرة الأولى تصدم ملايين المصريين الذين تتعلـق قلوبهم بأهل البيت في مصر والذين يزورون أضرحتهم مـن باب أنهم من رائحة الرسول ﷺ وليس من بـاب العبـادة أو التقرب بهم إلى ا .. يقول الكتيب ببسـاطة أحسـد عليهـا صاحبه ومحققه إن رأس الحسين لم تصل إلى القـاهرة وأن الضريح الذي يؤمه الناس ليس لسيدنا الحسين ﵁ ولكن لأحد الأقباط المدفونين فيه.. وهذا هو الكلام بالنص.

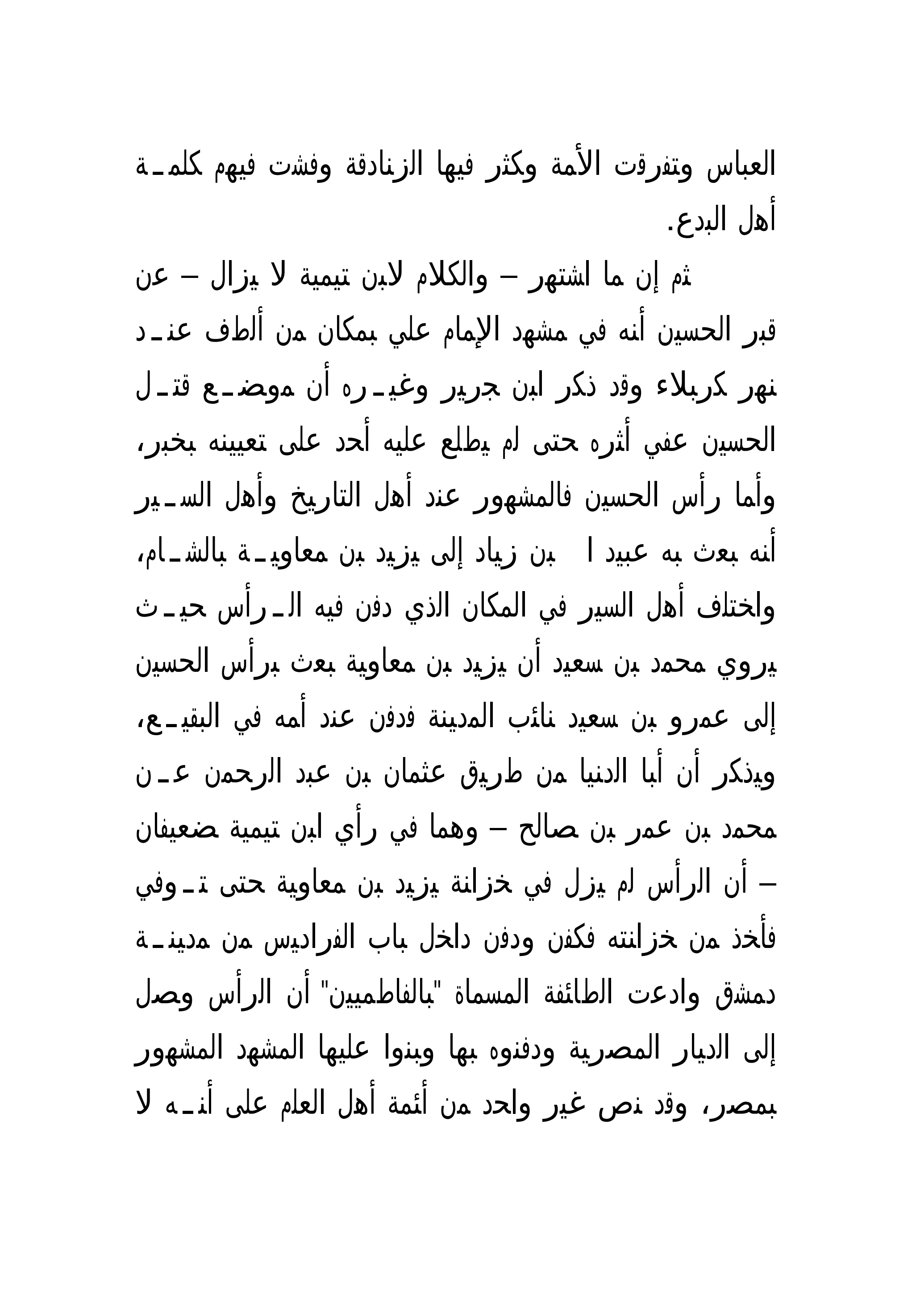
مشهد الحسين بالقاهرة مختلق بلا نزاع بين العلمـاء المعروفين عند أهل العلم الذين يرجع إليهم المسلمون في مثل ذلك لعلمهم وصدقهم، ولا يعرف عن عالم مسمى معـروف بالعلم والصدق أنه قال: إن هذا المشهد صحيح وإنما يـذكره بعض الناس قولا عمن لا يعـرف فهـم ينقلـون أحاديـث وحكايات وإذا طالبتهم بمن قال ذلك لم يكـن لهـم عصـمة يرجعون إليها بل غاية ما يعتمدون عليه أن يقولوا: أجمعـت الطائفة الحقة وهم عند أنفسهم الطائفة الحقة الذين هـم عنـد أنفسهم المؤمنون وسائر الأمة سواهم كفار.

ويحاول الكتيب أن يسـند وجهـة نظـره بـبعض المعلومات ومنها على سبيل المثـال أن المشـهد المنسـوب

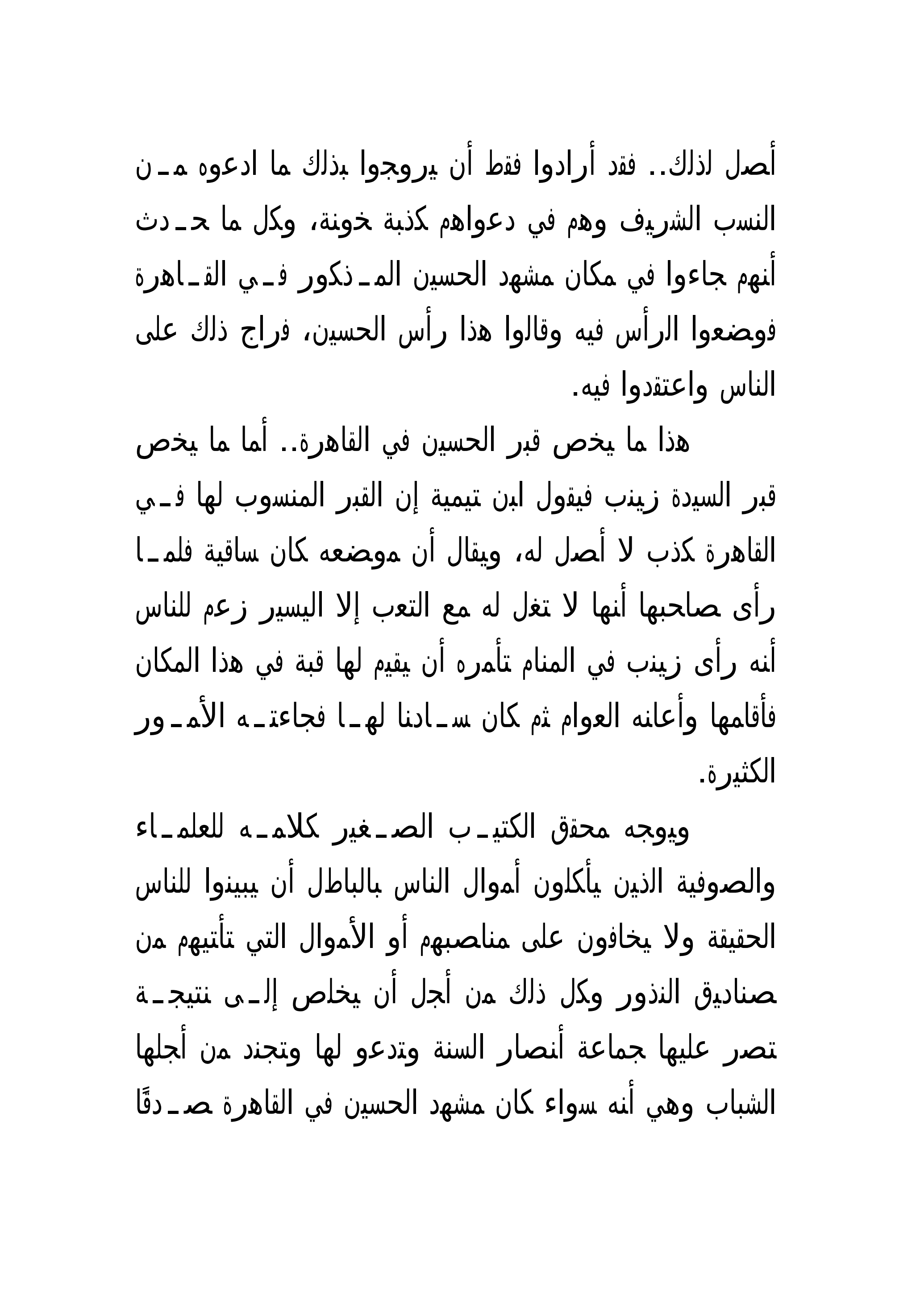
للحسين بني عام بضع وأربعين وخمسمائة وأنه نقل من مشهد بعسقلان بالعراق.. كان قد بني عام ٤٩٠ هجرية، ثم إن هذا المشهد العسقلاني بني بعد مقتل الحسين بأكثر من ٤٣٠ سنة.. ويقترب ابن تيمية من المشهد العسقلاني.

فيؤكد أن قول القائل إن الذي كان بعسقلان مبني على رأس الحسين قول بلا حجة لأن هذا لم ينقله أحد من أهل العلم الذين من شأنهم نقل هذا وغالب ما يستند إليه الواحد من هؤلاء أن يدعي أنه رأى مناما أو أنه وجد بذلك القبر علامة على صلاح ساكنه، فأما المنامات فكثير منها بل أكثرها كذب وأما ما يذكر من وجود رائحة طيبة خرق عادة بالقبر، فهذا لا يدل على تعيينه ويجزم ابن تيمية أن المشهد العسقلاني ليس مشهدا للحسين وذلك من وجوه عديدة.

منها على سبيل المثال أنه لو كان رأس الحسين هناك فلماذا تأخر كشفه إلى ما بعد مقتله بأكثر من ٤٠٠ سنة، ودولة بني أمية التي كانت تعاديه زالت قبل ظهور ذلك من ثلاثمائة وبضع وخمسين سنة ثم إن خلافة بني العباس لم تكن تعظم المشاهد سواء منها ما كان صدقًا أو كذبا.. ولم يكن ظهور المشاهد بهذه الكثرة إلا عندما ضعفت خلافة بني


العباس وتفرقت الأمة وكثر فيها الزنادقة وفشت فيهم كلمـة أهل البدع.

ثم إن ما اشتهر – والكلام لابن تيمية لا يزال – عن قبر الحسين أنه في مشهد الإمام علي بمكان من ألطاف عنـد نهر كربلاء وقد ذكر ابن جرير وغيـره أن موضـع قتـل الحسين عفي أثره حتى لم يطلع عليه أحد على تعيينه بخبر، وأما رأس الحسين فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السـير أنه بعث به عبيد ا بن زياد إلى يزيد بن معاويـة بالشـام، واختلاف أهل السير في المكان الذي دفن فيه الـرأس حيـث يروي محمد بن سعيد أن يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفن عند أمه في البقيـع، ويذكر أن أبا الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عـن محمد بن عمر بن صالح – وهما في رأي ابن تيمية ضعيفان – أن الرأس لم يزل في خزانة يزيد بن معاوية حتى تـوفي فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينـة دمشق وادعت الطائفة المسماة "بالفاطميين" أن الرأس وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليها المشهد المشهور بمصر، وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنـه لا



أصل لذلك.. فقد أرادوا فقط أن يروجوا بذلك ما ادعوه من النسب الشريف وهم في دعواهم كذبة خونة، وكل ما حدث أنهم جاءوا في مكان مشهد الحسين المذكور في القاهرة فوضعوا الرأس فيه وقالوا هذا رأس الحسين، فراج ذلك على الناس واعتقدوا فيه.

هذا ما يخص قبر الحسين في القاهرة.. أما ما يخص قبر السيدة زينب فيقول ابن تيمية إن القبر المنسوب لها في القاهرة كذب لا أصل له، ويقال أن موضعه كان ساقية فلما رأى صاحبها أنها لا تغل له مع التعب إلا اليسير زعم للناس أنه رأى زينب في المنام تأمره أن يقيم لها قبة في هذا المكان فأقامها وأعانه العوام ثم كان سادنا لها فجاءته الأمور الكثيرة.

ويوجه محقق الكتيب الصغير كلامه للعلماء والصوفية الذين يأكلون أموال الناس بالباطل أن يبينوا للناس الحقيقة ولا يخافون على مناصبهم أو الأموال التي تأتيهم من صناديق النذور وكل ذلك من أجل أن يخلص إلى نتيجة تصر عليها جماعة أنصار السنة وتدعو لها وتجند من أجلها الشباب وهي أنه سواء كان مشهد الحسين في القاهرة صدقًا

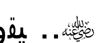
أم كذبا.. وسواء كان مشهد السيدة زينب في القاهرة صدقًا أم كذبا فإن بناء المساجد على القبور ليس من دين الإسلام بـل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي ﷺ.

والمشكلة ليست في هذا الجدل التاريخي الدائر الذي لا يريد أن ينتهي.. بل يتجدد دائما من خلال كتيبات صغيرة في الغالب توزع بمبـالغ زهيـدة للنـاس فـي الشـوارع والمواصلات العامة ترغيبا لهم فيها.. ولكن المشكلة في العقم الفكري الذي يكتنف جماعة أتباعها بمئات الآلاف في مصر جعلت من محاربة الأضرحة هـدفًا وعقيـدة لهـا.. وكـأن الأضرحة ستهدم الإسلام أو ستضربه في مقتل ويغفل هؤلاء أن المصريين لا يقدسون سوى ا ولا يعبدون سـواه ومـا زياراتهم إلى أولياء ا الصالحين وأهـل البيـت إلا تأكيـدا لحبهم، ثم إن من يصلي في مسجد به قبر لا يصلي للقبر ولا لصاحبه ولكنه يصلي وحده.. وا أعلم بما في القلوب.

إن هذه الرؤية الضيقة تصادر أحلى ما في الإسـلام المصري من رحابة واستقرار وروحانية لا توجد عند شعب آخر من الشعوب وحتى لو سلمنا أن رأس الحسين لم تصـل مصر وأن الفاطميين هم الذين ادعوا ذلك لتوطيـد أركـان

دولتهم.. وحتى لو آمن المصريون بذلك فلن ينصرفوا مطلقًا عن زيارة قبر الحسين أو قبر السيدة زينب.. لسـبب بسـيط أنهم سيعتبرون هذا المشهد رمزا للحسين أو للسـيدة زينـب وسيواصلون زيارتهما وقراءة الفاتحة أمامهما وطلب الرحمة لهما.. فالمصريون في النهاية لن يكونوا طرفًا في صراعات سياسية أو لعبة مصالح تديرها جماعات لا تعمل لوجـه ا بقدر ما تعمل لوجه نفسها ولمصالحها.

إن شيوخ السنة الذين يقفون من وراء سـتار خفـي خلف مثل هذه الدعوات لا يفهمون كيف يفكر المصـريون.. ولا يستطيعون إدراك أبعاد تكويناتهم النفسية.. ولـذلك لـن تلقى دعوتهم إلى تكفير من يزور قبـر الحسـين أو مشـهد السيدة زينب أدنى اهتمام اللهم إلا حملها وإلقاءها عن قصـد في أقرب سلة مهملات.

الفكرة الثانية المفزعة التي يطرحها كتيب ابن تيمية الذي يحمل على كتفيه كل أفكـار جماعـة أنصـار السـنة المحمدية تتعلق بقتل الحسين .. يقول ابن تيمية: إن كثيرا من تأويلات المتقدمين وما يعرض لهم فيها مـن الشـبهات معروفة يحصل بها من الهوى والشهوات، فيأتون ما يأتونـه

بشبهة وشهوة والسيئات التي يرتكبها أهل الـذنوب تـزول بالتوبة وقد تزول بحسنات ماحية ومصائب مكفرة وقد تزول بصلاة المسلمين عليه وبشفاعة النبي يوم القيامة فـي أهـل الكبائر ولهذا كان أهل العلم يختارون فيمن عـرف بـالظلم ونحوه مع أنه مسلم له أعمال صـالحة فـي الظـاهر مثـل الحجاج بن يوسف الثقفي وأمثاله.. فكانوا لا يلعنـون مـنهم أحدا بعينه بل يقولون كما قال ا تعالى "ألا لعنـة ا علـى الظالمين" فيلعنون من لعنه ا ورسوله عامـة ولا يلعنـون المعين وذلك لأن اللعنة من باب الوعيد، والوعيـد العـام لا يقطع به للشخص المعين وذلك يمكن أن يدخل فـي قائمـة التوبة أو الحسنات الماحية أو المصائب المكفرة أو الشـفاعة المقبولة، ولذلك فإن طائفة من العلماء لا يلعنون يزيـد بـن معاوية قاتل الحسين، بل هناك طائفة منهم يقولون نحبه لمـا فيه من الإيمان الذي أمرنا ا أن نوالي عليـه فهـو لـيس كافرا.

ويزيد عند ابن تيمية شخص تجتمع فيـه الحسـنات والسيئات فيثاب على حسناته ويعاقب على سـيئاته ويحمـد على حسناته ويذم على سيئاته وأنه من وجه مرضي محبوب

ومن وجه بغيض مسخوط ولهذا فهو يدخل عند أهل التأويل تحت أولئك المجتهدين المخطئين، خطؤهم مغفور لهم وهـم مثابون على ما أحسنوا فيه من حسن قصدهم واجتهادهم في طلب الحق واتباعه.. بل إن ابن تيمية يستشهد بما قاله النبي من أنه إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر.

معنى ذلك أن يزيد الحاكم عندما قتل الحسـين كـان مجتهدا مخطئًا.. فله أجر ومصيره سيكون الجنـة.. وتخيـل يزيد وهو يجلس إلى جوار الحسين في الجنة.. منتهى العبث ومنتهى الاستخفاف فماذا يريد الذين يقفون خلف طباعة هذه الكتيبات هل يريدون أن نكـون مسـلمين علـى مـزاجهم الخاص.. حتى لو خاصم ذلـك عواطفنـا ومشـاعرنا.. أم يريدون أن يحكمونا بمنطقهم المريض.. الذي يجعل من زائر قبر الحسين مشركًا.. وقاتله مجتهدا خانه التوفيق!

أم العواجز....
في موكب السبايا

أم العواجز في موكب السبايا

تحملت ما تعجز الجبال عن حمله والقيام به.. شهدت مقتل أخيها الحسن بعد أن غدرت به زوجته.. ووقفت على اغتيال أخيها الحسين وهو يجز رأسه.. واقتحمتها مشاهد قتل صغار بيتها لكنها دفنت أحزانها في قلبها ومضت لتحافظ على ما تبقى من أهل بيت الرسول إنها هي المرأة الشامخة.. السيدة زينب.

يضع المصريون في غدوهم ورواحهم همومهم بين يدي السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء وأخت الحسن والحسين.. يناجونها في كروبهم.. ويرسلون إليها بخفقات قلوبهم ويرجون منها المعذرة لأنهم يقصرون في حقها.. اعتبروها أمهم جميعا.. فهم عاجزون بأكثر مما ينبغي وهي طاهرة وعارفة بأحوالهم ولذلك فهي أم العواجز التي يهرعون إليها.. وعندما يفرحون تجدهم قد توجهوا إلى ضريحها المعروف باسمها لتشاركهم فرحتهم يفعلون ذلك فقط لأنهم يعرفون أن السيدة زينب نفسها كانت رمزا للبطولة.. شجاعتها كانت نادرة واجهت جيوش الظلام لم

تخضع لها.. ولم تطلب من أحد الرحمة.. فقد كانت تعلـم أن الأمر بيد ا وحده ومنه يكون الفرج.

بدأت مأساة السيدة زينب مبكرا.. ولم تكن كربلاء إلا الحلقة الأولى من الحزن الكبير بعد أن أحاط جـيش يزيـد بالحسين خرجت السيدة زينب من خيمتها وقالت فـي أسـى لعمر بن سعد قائد الجيش: يا عمر أيقتل أبو عبد ا وأنـت تنظر؟ لم يجبها عمر بشيء فقد كان الموقف أكبر منه وأعظم وما هو إلا فتى مأمور من سيد ظالم وكأنه لم يكن كافيا على زينب أن تشهد مقتل الحسين فشهدته وهو يمثل به شر تمثيل.

مات الرجال إذن.. وبقيت زينب وبدلاً من أن تترك لأحزانها جروها إلى أحزان أعظم.. فبعـد المعركـة سـاق الطغاة ذرية الرسول في موكب ضم السيدة زينب وأختها أم كلثوم وابنتي الحسين فاطمة وسكينة ومن حظنـا جميعـا أن بقي في الركب زين العابدين علي بن الحسين ليحفظ ذريـة الرسول من الفناء.. خرج الركب الطاهر على أقتاب الجمال بغير غطاء.. وعندما بدءوا السير.. مرت السيدة زينب على ما قطع قلبها.. رأت مصارع الشهداء.. جثث أهـل البيـت متناثرة وأشلاؤهم يختلط دمها بالتراب فقد بقيت الجثث ثلاثة

أيام ملقاة على رمضاء كربلاء، قبل أن يدفنها جماعة من بنى أسد كانوا يقيمون بالقرب من أرض المعركة.

لم تجد السيدة زينب ما تقوله فصرخت والألم يمزق قلبها: يا محمداه.. هذا حسين بالعراء.. مقطـع الأعضـاء.. وبناتك سبايا.. إلى الله المشتكى وإلى محمد المصطفى وإلى علي المرتضى وإلى فاطمة الزهـراء وإلـى حمـزة سـيد الشهداء، لم تجد إلا السابقين لتبثهم شكواها.. بعد أن أصمت الدنيا أذنيها عنها وفضلت أن تسمع للطغاة والأشقياء والفجار الذين استباحوا دين الله وجعلوا منه مطية يركبونها.

دخل موكب السبايا إلى الكوفة.. وما إن وقعت أنظار أهلها على آل البيت الشريف حتى أقبلوا يعطون الأطفال وهم على محاملهم بعض التمر والخبز والطعام فصـاحت فـيهم السيدة أم كلثوم: يا أهل الكوفة إن الصدقة حرام علينـا ثـم أخذت من أيدي الأطفال وأفواههم ما أخذوه من أهل الكوفـة وألقت به إلى الأرض.. بكت نساء الكوفة بحرقة علـى مـا صار إليه أهل البيت النبوي لكن السيدة أم كلثوم ردت لهـن الصاع صاعين.. إذ قالت وقلبها يعتصره الألم: صه يا أهـل

الكوفة يقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم فالحاكم بيننا وبيـنكم ا يوم فصل القضاء.

وقف أهل البيت أمام ابن زياد حاول أن ينال مـنهم ويحقرهم لكن السيدة زينب تصدت له.. قـال لهـا منتشـيا: الحمد الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم، فردت عليه بثقة: بل الحمد الذي أكرمنا بنبيه وطهرنا مـن الـرجس تطهيرا إنما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق وهو غيرنا.. لـم يصبر ابن زياد على ردها فقال لها: وكيف رأيت صـنع ا في أهل بيتك وأخيك؟ فقالت له رغم حزنها: مـا رأيـت إلا خيرا هؤلاء قوم كتب ا عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع ا بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلاح يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة.

لم تخش السيدة زينب شيئا رغم أنها امرأة مهزومـة أمام قائد منتصر لكن من قال أن أهل البيت كانوا يخشون في ا لومة لائم.. لم يصبر ابن زياد على أهل البيـت.. فقـد أهانهم عندما أخذ يعبث برأس الحسين أمامهم قبل أن يبعـث به إلى يزيد في دمشق، والتي ما إن اقتربوا منها حتى طلبت السيدة أم كلثوم من شمر بن ذي الجوشن أن يحمل الركـب

بعيدا عن الناس حتى لا ينظروا إليهم وهم في هذه الحـال، لكن شمر أمر بعكس ما طلبته أم كلثوم وسلك بهم الـدروب الواسعة وكأنه كان يريد أن يجعل الجميـع يشـهدون علـى جريمته في حق أهل البيت الشريف.

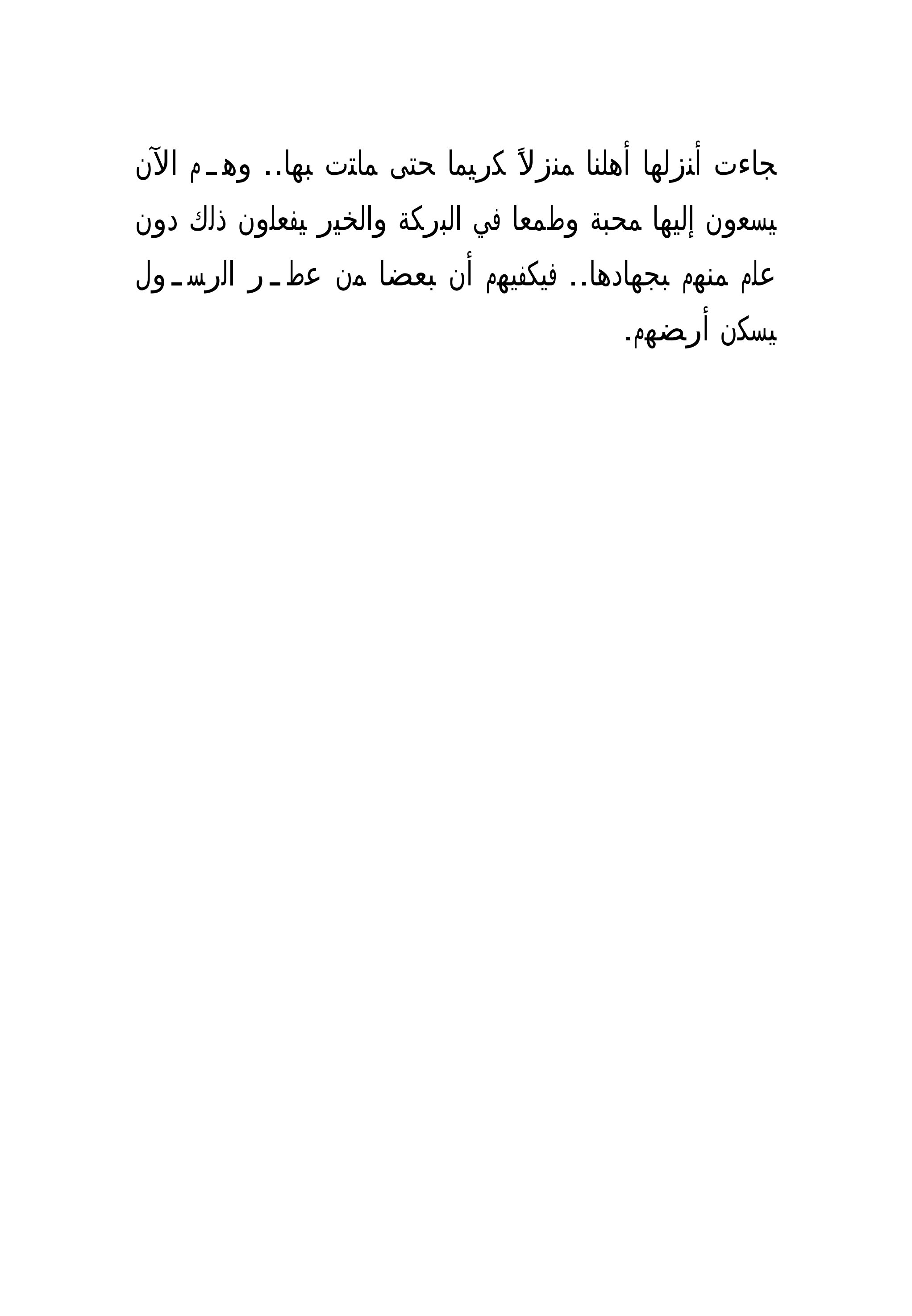
دخل الموكب على يزيد وعندما رأت نسـاء بيـت معاوية رأس الحسين صرخن وولولن.. وقبـل أن يتحـدث يزيد.. صرخت فيه السيدة فاطمة الصغيرة: أبنات رسول ا سبايا يا يزيد فقال لها: يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكره فقالـت له: ما ترك لنا فرد أي اعتبار في الرأي فقال لها: مـا أتـى إليكن أعظم مما أخذ منكن ويبدو أن أحد منافقي الـبلاط أراد أن يجامل يزيد فقال له في جرأة: هب لي هذه الجاريـة يـا أمير المؤمنين تكن خادمة عندي، سمعت فاطمة ذلك ففزعت ولملمت ثيابها ولم يكن أمامها إلا عمتها السيدة زينب فقالـت لها باكية: يا عمتاه أو يتمتم وأستخدم. فردت السيدة زينب في ثبات عجيب على الشامي المنافق: كذبت ولؤمت ما جعل ا لك ذلك ولا لأميرك.

استفز رد السيدة زينب يزيد فقال لها: كذبت وا إن ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت فقالت له: كلا وا ما جعل

ا   ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدينت بغير ديننا فـزاد غضب يزيد فقال: إياي تستقبلينني بهذا الكلام إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فلم تصبر عليه السيدة زينب فقالت لـه: بدين أبي وأخي اهتديت أنت وأبوك وجدك إن كنت مسلما؟.. زاد الغضب أكثر فقال يزيد كذبت يا عدوة ا ، ولما لم تكن زينب عدوة   فقالت له: يا يزيد أنت أمير تشتم ظالما وتقهر بسلطانك، فكف عن الكلام وأخذ يعبث بقضيب كان معه في رأس الحسين الشهيد.

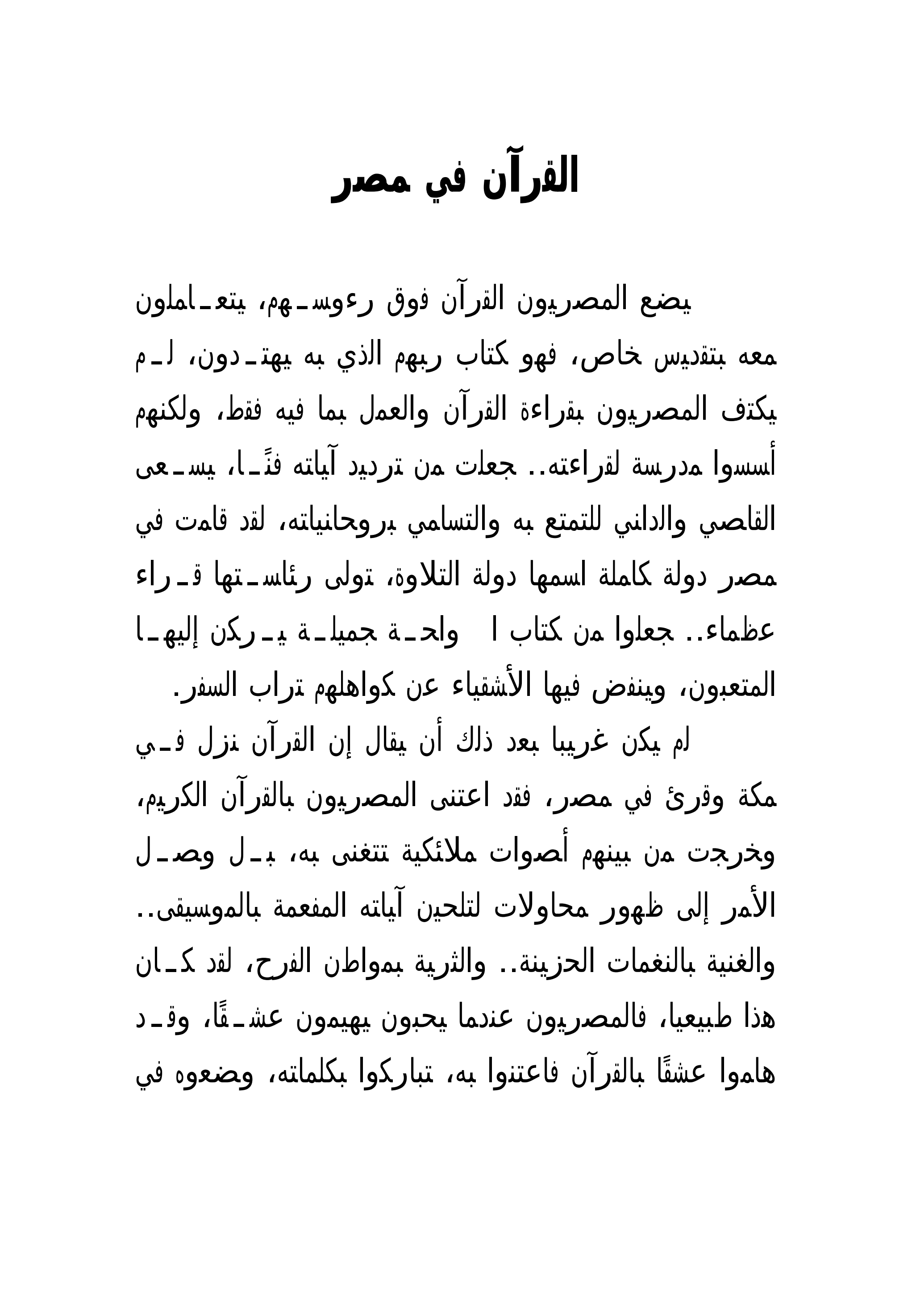
كانت السيدة زينب ثابتة الفؤاد.. فقالتها ليزيد: كيـد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوا   لا تمحو ذكرنـا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمرنا ولا ترحض عنك عارها وهـل رأيك إلا فند.. وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد يـوم ينـادي المنادي ألا لعنة ا   على الظالمين فالحمد   رب العـالمين الذي ختم لأولنا بالسـعادة والمغفـرة ولآخرنـا بالشـهادة والرحمة.

حفظت السيدة زينب بجرأتها وشجاعتها نسل الرسول من الاندثار وعندما خيروها اختارت مصر لتستقر فيها لمـا سمعت عن أهلها من محبة لآل بيت رسـول ا .. وعنـدما



جاءت أنزلها أهلنا منزلاً كريما حتى ماتت بها.. وهـم الآن يسعون إليها محبة وطمعا في البركة والخير يفعلون ذلك دون علم منهم بجهادها.. فيكفيهم أن بعضا من عطـر الرسـول يسكن أرضهم.

القرآن في مصـــــــر



القرآن في مصر

يضع المصريون القرآن فوق رءوسهم، يتعاملون معه بتقديس خاص، فهو كتاب ربهم الذي به يهتدون، لم يكتف المصريون بقراءة القرآن والعمل بما فيه فقط، ولكنهم أسسوا مدرسة لقراءته.. جعلت من ترديد آياته فنًا، يسعى القاصي والداني للتمتع به والتسامي بروحانياته، لقد قامت في مصر دولة كاملة اسمها دولة التلاوة، تولى رئاستها قراء عظماء.. جعلوا من كتاب ا واحة جميلة يركن إليها المتعبون، وينفض فيها الأشقياء عن كواهلهم تراب السفر.

لم يكن غريبا بعد ذلك أن يقال إن القرآن نزل في مكة وقرئ في مصر، فقد اعتنى المصريون بالقرآن الكريم، وخرجت من بينهم أصوات ملائكية تتغنى به، بل وصل الأمر إلى ظهور محاولات لتلحين آياته المفعمة بالموسيقى.. والغنية بالنغمات الحزينة.. والثرية بمواطن الفرح، لقد كان هذا طبيعيا، فالمصريون عندما يحبون يهيمون عشقًا، وقد هاموا عشقًا بالقرآن فاعتنوا به، تباركوا بكلماته، وضعوه في

سياراتهم وتحت وسائدهم وعلى صدور نسائهم، وتميمة في أسقف بيوتهم.

ولأن للمصريين طبيعة خاصة في كل شيء.. فقد تعاملوا مع القرآن تعاملاً خاصا لن تراه في أي بلد من بلاد العالم، جعل المصريون القرآن حاضرا معهم في كل وقت، يأخذون منه ما يريدون لما يريدون، كل منا يفهم القرآن على طريقته الخاصة ولتحقيق أغراضه الخاصة أيضا.. ولن تتعجب عندما أقول لك مثلاً إن المصريين أدخلوا آيات القرآن في النكت التي يرددونها.. المجمل يحتاج إلى بعض التفصيل.

قد نقرأ القرآن وقد نسمعه من الإذاعة.. لكن عندما نبحث عنه في حياة المصريين العملية، سنجده في صالون الحلاقة على الحائط مختصرا في (**وجوه يومئذٍ ناعِمةٌ**) بل إن بعض الحلاقين يستخدم الآية الكريمة من (**نَحن نَقُص عليْك أَحسن الْقَصص**) ويضع كلمتي (**نَحن نَقُص**) فقط على اعتبار أن قص الشعر ورد في القرآن، وعندما تترك صالونات الحلاقة وتدخل محلات عصير القصب ستجد القرآن تم اختصاره في (**وسقَاهم ربهم شَرابا طَهورا**).

تسير الأمور هكذا على طول الخط فـ القرآن بدايـة الاحتفالات أيا كان نوعها وهدفها (**إنا فَتَحنَا لَكَ فَتْحا مبِيناً ـا**) وعند أي حاكم عادلاً كان أو ظالما (**أَطِيعـوا ا وَأَطِيعـوا الرسولَ وَأُولِي الأمرِ مِنْكُم**) وعند المرضـى (**ونُنَـزلُ مِـن الْقُرآن ما هو شِفَاء ورحمةٌ**) وعنـد أصـحاب الصـيدليات وعيادات الأطباء (**وإِذَا مرِضتُ فَهو يشْفِين**) وعند الطلبة (**إِنا لاَ نُضِيع أَجر من أَحسن عملاً**) وعند رجال الأعمال (**وقُـلِ اعملُوا فَسيرى ا عملَكُم**) حتى لو كـان عملهـم هـذا لا يرضي ا ولا يرضي رسوله، وعنـد أصـحاب محـلات الدواجن (**ولَحمِ طَيرٍ مما يشْتَهون**) وفي النهاية عندما تسـأل الشباب لماذا يعاكسون البنات يقولون لك (**وأَما بِنعمةِ ربـك فَحدثْ**)!

هذه أمثلة فقط.. حصـلنا عليهـا مـن الصـيدليات وعيادات الأطباء وصالونات الحلاقين ومحـلات الـدواجن، مكتوبة بالفعل.. يطلب من كتبوها البركة بسر القرآن الكريم، وقد يعتبر بعض المتشنجين أن كتابة هذه الآيات على المحال التجارية فيه نوع من الانتهاك للقرآن، لكن من قـال هـذا، فالمصريون البسطاء يتباركون بكتاب ربهم، جلبـا للـرزق

وليس بحثًا عن اللعنة، فصاحب محل العصير قد يعتبر كتابته لآية من القرآن على محله تقربا إلى ا .. بينمـا يمكـن أن يعتبر الآخرون ذلك نوعا من المعصية.

البسطاء ليسوا وحدهم الذين يأخذون من القرآن مـا يريدون لما يريدون، فقد فعلها أيضا صناع السينما ومبكـرا جدا، فقد لجئوا إلى تسمية أفلامهم بكلمات أو آيات من القرآن الكريم، وذلك في أفلام "المال والبنون" الذي أخرجه إبـراهيم عمارة عام ١٩٥٤ وكان يعالج مسألة عقوق الوالدين، وقـد قدم حسن الإمام هذا الفيلم قبل عامين فقط أي عـام ١٩٥٢، وكان باسم "غضب الوالدين"، وفي عام ١٩٨٣ قدم محمـود أبو زيد فيلمه "كيدهن عظيم"، ومن الأفلام التي أخذت أجزاء من الآيات الفيلم الذي قدمه بشير الـديك والمخـرج محمـد حسيب وكان اسمه (**إن ربك لبِالْمِرصادِ**).

صناع السينما لم يستخدموا كلمات القـرآن كأسـماء لأفلامهم فقط ولكنهم وضعوا في بـدايتها أو نهايتهـا آيـات بعينها للوعظ والإرشاد أحيانًا وللتذكير بقوة ا أحيانًا أخرى، في فيلم "الإنس والجن" الذي قدمه عادل إمام عـام ١٩٨٥، وضعت الآية (**وما خَلَقْتُ الْجِن والإِنْس ِإلا ِليعبـدون * مـا**

أُريد مِنْهم من رزقٍ وما أُريد أَن يطْعِمون) وفي فيلم العـار الذي أخرجه علي عبد الخالق وكتبه محمود أبو زيد وضعت الآية (**ونَفْسٍ وما سواها * فَأَلْهمها فُجورها وتَقْواها**) فـي نهاية الفيلم.. تنعي أبطاله وتحذر من وقوع المشاهدين فـي مصائر تشبه مصائرهم.

قد تصف عامة الناس بأنهم جهلة وقد تصف صـناع السينما بأنهم لا يعرفون ربنا ولذلك يتعاملون هذا التعامل مع القرآن، لكن المفاجأة أن أهل القرآن والقائمين على تحفيظـه لهم أيضا تعاملهم الخاص ونوادرهم مع القرآن، ولو جالست حفظة القرآن ستجد من أمرهم مع القرآن عجبا، فهذا شـيخ يقول لزميله "سمعت اللي بعد يوسف في ودانـك" وعنـدما تبحث عن اللي بعد سورة يوسف في ترتيب سـور القـرآن الكريم ستجدها سورة الرعد.. فبدلاً من أن يقول له سـمعت الرعد في ودانك يقول له سمعت اللي بعد يوسـف، بـل إن بعض حفظة القرآن يحاولون استعراض مهاراتهم في الحفظ، سأل أحدهم صاحبه "أين تجد فحم الكوك" في القـرآن، فـرد عليه بأن القرآن ليس فيه فحم كوك نهائيا، فقال له السـائل.. بل موجود، وإذا أردت أن تعرف فـأقرأ قـول ا تعـالى

"وتركوك قائما"، وعندما تفصل "وتر" عن "كوك" ستحصـل على فحم الكوك في القرآن بسهولة، وكما سأل أحد الحفظـة عن "فحم الكوك"، سأل آخر صاحبه قائلاً له: "أين تجد بيض أمك" في القرآن ولما لم يجد المسئول إجابة، قال له السـائل اقرأ قوله ا تعالى "بيض مكنون" وستجد فيها بيض أمـك.. فإذا حذفت "النون والواو والنون" ستصبح الآية "بيض مك"!

دلال حفظة القرآن على كتاب ا لا ينتهي عند هـذا الحد، فهم يتبارون في الأسئلة والإجابـات، سـأل أحـدهم صاحبه أين تجد "لأجل الورد ينسقي العلاق في القرآن" ولما عجز المسئول عن الإجابة قال السائل: ألم تقرأ قوله تعـالى يخاطب النبي (**وما كان ا ُ لِيعذبهم وأَنتَ فِيهم وما كان ا ُ معذبهم وهم يستَغْفِرون**) فالورد في هذه الآية هو الرسول ﷺ ومن أجله يرحم ا العلاق وهم قومه!

ومن اللطائف التي يعرفها أهل القرآن أن طالبا كان يقرأ على شيخه وعندما جاء عند قوله تعالى "فخـر علـيهم السقف من فوقهم" قرأها من تحتهم فقال له الشيخ: لا، فقـال الطالب من أمامهم، فقال الشيخ: لا، فقال الطالب: من خلفهم فقال له الشيخ: لا ثم صرخ فيه: يا أخي إن لم تكـن حافظـًا

فهندس، أي إن لم تكن حافظًا للقرآن بشكل جيـد، فهنـدس المسألة فالسقف لا يسقط إلا من أعلى، وأصبحت هذه الكلمة مثلاً يقال عند أي خطأ غير معقول أو غير منطقي يقع فيـه قارئ القرآن.

استعراض عضلات حفظه القرآن جعلهـم يـدخلون قاموس النكت المصرية الذي لا يترك شيئا في حاله، صحيح أن النكت التي تم استخدام آيات قرآنية فيها كثيرة ومتعـددة، ومعظمها يدخل تحت طائلة الحساب.. لكن هناك نكتًا يمكـن أن تروى، فقد اجتمع ثلاثة مشايخ على مائدة واحدة وكانـت أمامهم وزة، فقال أحدهم: كل واحد فينا يجيب آية على جزء من الوزة يأخذه، قال الأسرع "فك رقبة"، فحصل على رقبـة الوزة وأكلها، وقال الثاني "واخفض لهما جنـاح الـذل مـن الرحمة" فأخذ الجناح وأكله، وأخذ الثالث يفكر فلم يجد آيـة واحدة فيها جزء من الوزة، نام الثلاثة وبعد فترة قام الشـيخ الثالث وأكل الوزة كلها.. وفي الصباح لم يجدوا الوزة فسألوه لماذا أكلت الوزة كلها.. فقال لهم.. قرأت عليها الآية الكريمة (**فَطَافَ عليها طَائِفٌ من ربك وهم نَائِمون**).

* * *

نقطة نظام قبل أن تتسرع وتتهمنا بأننا نسـيء إلـى القرآن، ونتهكم عليه وننقل النكت التي يقولها العامـة عنـه، أولاً هذه النكتة لا يرددها العامة، لأنهم ليسوا حافظين للآيات بشكل جيد.. ولكنها نكت تتردد في جلسات المشايخ.. التي لا تخلو من نكت أخرى لا يجوز لنا ذكرها لتطاولها على قدسية القرآن وحرمته، قد يقول البعض أن نقل النكت ونشرها أمر لا يليق، فهو يجعل الذي لا يعرف يعرف، ومن لم يصـادفه الحظ ويسمع.. يسمع من جديد.

ورغم صحة ذلك لكن من قال أن المعرفة تضـر.. فالمصريون أصحاب ظاهرة فريدة من نوعها، فهم يقدسـون القرآن ويضعونه قبلة لهم.. لكنهم في نفس الوقت لا يترددون في التندر بآياته والاقتطاع منها لما يفيد تجـارتهم وحيـاتهم ومصالحهم، قد تكون هذه الظاهرة في حاجة إلى فهم ودراسة وبحث، لا يقوم به علماء الـدين وشـيوخ الأزهـر، فهـم سيحرمون كل اقتراب من القـرآن لـيس علـى قواعـدهم وتفسيرهم ورأيهم، الدراسة يجب أن يقوم بها علماء اجتماع.. أصحاب خبرة بأحوال الناس وتقلباتهم.. ودوافع تصـرفاتهم! ما الذي يجعل المصريين يجلسون فـي سـرادقات العـزاء

يسمعون القرآن وهم يدخنون السجائر ويضعون قدما على قدم.. وعندما تمر عليهم آية تهز أفئدتهم تجدهم ينتبهون ويرفعون أصواتهم بالثناء على القارئ ويطالبونه بالمزيد!

نعرف أن المصريين لهم بصمتهم الخاصة على كل شيء، فقد جاء الإسلام من مكة.. لكننا أعدنا صياغته وقرأنا قرآنه بطريقتنا، ثم صدرناه مرة أخرى إلى أهله وقمنا بتعليم أصوله وقواعده، حتى عندما دخل القراء السعوديون في سباق مع القراء المصريين، لم يثبتوا نجاحا.. ولم يكن لهم حول ولا طول.. فقد أخذوا وقتهم ثم مضوا وبقيت دولة التلاوة في مصر تتحدى حتى الذين نزل القرآن في أرضهم!

قد تكون هناك تجاوزات في حق القرآن من جانب عدد كبير من المصريين، لكنها في الحقيقة تجاوزات تحدث بحسن نية وبدون سوء قصد، فلا يمكن أن يتصور مواطن مصري بسيط يعمل حلاقًا أنه عندما يعلق على حائط صالونه الآية الكريمة (**وجوه يومئذٍ ناعِمةٌ**) أنه يغضب ا   بـذلك.. ولو قال لك أحد هذا لرددت عليه بعفوية وبساطة وتلقائية.. يا راجل.. ربك رب قلوب!

حقيقة....

عمرو بن العاص

حقيقة عمرو بن العاص

غضب كثيرون من مشاهدي مسلسل "رجل الأقـدار" وضع مؤلفه سامي غنيم على لسان بطله نور الشريف الـذي قام بدور عمرو بن العاص جملة.. اعتبروها لا تليق.. لقـد فزعوا عندما رأوا عمرو بن العاص يأخذ بيد زوجته قـائلاً لها: تعالى أفسر لك أحلامك يا قطتي التي تأكل وتنكر.. في إشارة إلى لحظات حميمية يقضيها الرجـل مـع زوجتـه.. ومصدر الفزع أن الناس ترفض أي حديث يمكن أن يضـع رتوشًا على شخصيات الصحابة.. فهم عندهم كأنهم ملائكـة تمشي على الأرض.. وإذا قلت أن الصحابة كانوا بشرا مثلنا يأكلون ويشربون ويمارسون حياتهم الطبيعية بل ويتفننـون فيها.. ستجد من ينظر لك شذرا منكرا كل ما تقوله.

ولا أدري ما الذي يمكن أن يقوله جمهور عمرو بن العاص عندما يتعرفون على الوجه الآخر له، وهو وجه لـن أرسمه من عندي.. ولكن ترسمه كلماتـه ومواقفـه.. نقـاط ضعفه وطموحه الذي كان بلا حدود.. تطلعاتـه ورغباتـه.. حيله ودهاءه، خططه التي رسمها بعناية شديدة كـي يحقـق

أحلامه التي كانت عريضة منذ كان طفلاً يلعب في شـعاب مكة وحتى وصوله إلى قمة السلطة حاكما لمصر ومسـيطرا على مقدراتها وعابثًا بثرواتها من أجل إرضاء السلطة الدينية التي كانت مستريحة في مكة للأموال التي تتدفق من مختلف الأمصار التي تم فتحها.

دخل عمرو بن العاص الإسلام بعد أن أيقن أن كفته أصبحت راجحة وأن النصر سيكون له لا محالة.. فهو كـل يوم يكسب أرضا جديدة.. ولأن شخصية الفارس عند عمرو كانت تأبى عليه أن يجد نفسه مهزوما في يوم من الأيام.. فقد قرر أن يدخل الدين الجديد.. وبالفعل دخله ليس مـن بابـه الواسع حيث الاعتقاد الجازم بسمو الرسالة ولكن من البـاب الخلفي له كدين بدأت القوة تـدب فـي أوصـاله.. وتمـلأ شرايينه.. بما يعني أن الغلبة لابد أن تكون له في النهاية.

تحرك عمرو بن العاص إلى الإسلام ليحفظ مشروعه الخاص وهو أن يكون في الحياة قائدا عظيما لا يشـق لـه غبار.. ولذلك قبل أن يتفقه في أمور الدين سارع ليكون قائدا لبعض السرايا التي كان يبعث بها الرسول لتأمين المدينـة.. وفي إحدى سراياه حدث وأن قام من نومه جنبا.. وبدلاً مـن

أن يغتسل ليزيل أثار جنابته اكتفى بالوضوء تمهيـدا ليـؤم المصلين في صلاة الفجر.. كـان يمكـن أن يتـأخر ليـؤم المصلين غيره من الجنود وفيهم من هو أقدم منـه إسـلاما وأكثر منه فقها.. لكنه تمسك بحقه حتى النهاية فهو القائـد.. فلابد أن يكون الإمام.. وبعد أن عاد إلى المدينـة عـرض الصحابة الأمر على الرسول.. فسأل عمرا فيما حدث.. فقال للنبي: إنني اكتفيت بالوضوء ولم أغتسل لأن الماء كان باردا وخشيت إن اغتسلت به أن أهلك.. فاخترت الوضوء فقط أقر الرسول عمرا على ما فعله مبتسما.. فالرسول القائـد كـان يعرف أقدار رجاله جيدا ولذلك فهو لم ينتظر من عمرو بـن العاص اجتهادا فقهيا.. ولكنه كان يعتمد عليه كقائـد حربـي وعبقرية سياسية.

بهذه المساحة السياسي وليس الفقيه عاش عمرو بـن العاص طوال حياته.. حتى عندما حاول الخليفة الثاني عمـر ابن الخطاب فتح مصر.. دخل له من بـاب المصـلحة.. لا ننكر أنه كان يضع مصلحة الإسلام العليا أمام عينيه.. لكنـه وضع أمام عمر بن الخطاب أهمية تأمين الفتوحات الإسلامية في الشام بالسيطرة على مصر.. لأن الخطر لابد وأن يـأتي

منها.. ثم إنه وضع أمام الخليفـة وجـوه الخيـر المختلفـة والمتعددة التي يمكن أن تعود علـى حاضـرة الخلافـة إذا سقطت مصر في أيدي المسلمين.. فجوها عجـب ونسـاؤها لعب ورجالها عبيد من غاب.. وبهذا التصور يمكن أن نقبل ما حدث في عام الرمادة.

في هذا العام اعتصرت المجاعة المدينة وما حولها.. نظر عمر بن الخطاب فيمن حوله فوجد الجوع يكـاد يأكـل بطونهم فأرسل إلى عمرو بن العاص يسأله المدد.. وما بين السطور كان.. أين كل الخير الذي تحدثت عنه قبل أن تقـدم على فتح مصر؟ وجاءت الإجابة من عمرو إلى عمر أسرع من البرق.. قال له: سأرسل إليك بقافلة أولهـا عنـدك فـي المدينة وآخرها عندي في مصر.. قافلة تحمل من كل ما تلذ الأعين وتشتهي الأنفس.. وأجدني أسأل نفسي من أين له بكل ذلك.. لقد دخل عمرو مصر وعندما ظهر خراجهـا أخـذه ليوزعه على جوعى المسلمين.. وهو عمل جليل لا ننكره.. لكنني فقط أضع علامة استفهام أمام وضع المصريين الـذين كانوا وربما حتى الآن يخرجون من يد مستغل جبار إلى يـد مستغل أكثر عتوا وتجبرا.

ظل عمرو بن العاص في مصر طوال خلافة عمـر ابن الخطاب.. عاش فيها أيام سعده.. لكن ولأن للأقدار حكما لا يرده أحد انقلبت الأيام على عمرو عندما وضع عثمان بن عفان أخاه في الرضاعة عبد ا بن أبي السرح على كتفـي عمرو في مصر.. كان عثمان يقرب أقاربه ويجعلهم بطانته راجيا أن يكتب له ذلك في سجل حسناته مـن بـاب صـلة الرحم.. لكنه آذى الإسلام بما فعله من حيث لا يدري..

ترك عمرو بن العاص مصر وهو عـازم علـى أن يعود إليها مهما كانت التضحيات.. وعندما اشـتعلت الفتنـة حول الخليفة الثالث عثمان بن عفان لم يتـردد عمـرو فـي إشعال نارها وإذكائها.. كان يعرف أن عثمان لابد أن يقتـل فمضى مع الفتنة حتى آخرها.. ففي اللقاء الذي حضره فـي بيت عثمان للتشاور في إصلاح الأمر وقمع الفتنـة.. كـان المدعوون إلى المؤتمر هم معاوية وعمرو بن العاص وعبـد ا بن أبي السرح وعبد ا بن عامر وسعيد بن العـاص.. وتوالت الكلمات.. قال لهم عثمان: إن لكـل امـرئ وزراء ونصحاء وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي.. وقد صـنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا إلي أن أعزل عمـالي وأن أرجـع

عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم وأشيروا علي"، وقال معاوية: "أرى لك يا أميـر المـؤمنين أن تـرد عمالك على الكفاية لما قبلهم وأنا ضامن لك قبلي" وقال عبد ا بن عامر:. رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهـاد يشغلهم عنك وأن تجمهرهم في المغازي حتى يذلوا لك فـلا يكون همة أحدهم إلا نفسه وقال عبد ا بن سـعد: أرى يـا أمير المؤمنين أن الناس أهل طمع فأعطهم من هـذا المـال تعطف عليك قلوبهم".. كل واحد منهم قال ما عنده بما يحقق أهدافه.. وكان لعمرو بن العاص أن يتكلم قال: أرى أنك قـد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزم أن تعدل فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل.. فإن أبيت فاعتزم عزما وامض قدما".

كان رأي عمرو بن العاص رأي رجل عينه علـى الخليفة والعين الأخرى على الثوار لا يريد أن يخسر أحدا.. لأنه يرغب في أن يكسب الجميع.. ليكسب وحده في النهاية.. ولذلك لم يكن غريبا أن يبقى عمرو إلى جوار عثمان بعد أن يتفرق المجتمعون ثم يقول للخليفة: وا يا أميـر المـؤمنين لأنت أعز علي من ذلك ولكني قد علمت أنه سـيبلغ النـاس

قول كل رجل منا فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بـي فـأقود إليك خيرا وأدفع عنك شرا".

هل كان عمرو بن العاص مخلصا فيما يقوله لعثمان ابن عفان؟.. بالطبع لا.. فقد كان مخلصا فقط لعمـرو بـن العاص يعمل من أجله.. فهو يلعب على كل الحبال.. والحبل الذي يظل مشدودا يمسك بطرفه في النهاية ولا يفلته.. ولذلك عندما رأى كعب الثوار يعلو على كعب عثمان ويحاصرونه لم يتردد في أن ينقلب علانية على الخليفة المحاصر.. وقف ذات مرة في المسجد يخاطب عثمان بن عفان وهو محبـوس في بيته قائلاً: اتق ا يا عثمان فإنـك قـد ركبـت أمـورا وركبناها معك فتب إلى ا نتب، ثم ترك عثمان في المدينـة بين الذين يطلبون رقبته ومضى إلى فلسطين.. ولا ينكر مـا قاله بنفسه بعد ذلك: وا إني كنت لألقى الراعي فأحرضـه على عثمان.. لم يتوقف دور عمرو بن العاص في الفتنة عند ذلك.. فبعد أن قتل عثمان انضم كلية إلى معسـكر معاويـة وكان ذلك طبيعيا.. فالصراع كان بين الدين والـدنيا.. بـين علي ومعاوية.. وعمرو رغم إسلامه.. لكنه كان يسعى وراء الملك والسلطة والقيادة.. وهذه كان سيمنحها له معاوية وليس

علي.. لأن عليا لم يكن راضيا عن أداء ولاة عثمان.. ومؤكد أنه عندما يعتلي أريكة الخلافة.. لن يتـردد فـي إبعـادهم وعزلهم.

لعب عمرو بن العاص على المضمون إذن.. ووضع فكره وسيفه في خدمة معاوية.. ودار القتال ويصـل تـاريخ الإسلام إلى موقعة صفين. وفي وقعـة "الهريـر" وبعـد أن حاصرت الهزيمة جيش معاوية رفع جنوده المصاحف علـى الحراب طالبين تحكيم القرآن في المعركة الدائرة.. لم يرض علي بالتحكيم اعتقادا منه أن في الأمر خدعة.. لكن أنصـار التحكيم تكاثروا عليه وقالوا له صراحة: يا علي أجـب إلـى كتاب ا عز وجل فقبلناه وا لتفعلنها أو لنفعلنها بك".

قبل علي التحكيم وهو كاره.. اختار أهل الشام عمرو ابن العاص نائبا عنهم واختار أنصـار علـي أبـا موسـى الأشعري.. لكن عليا رفضه لأنه لا يثق فيه قال: لقد فارقني أبو موسى وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى آمنته بعـد أشهر ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك.. رد عليه أنصاره: لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ليس إلـى واحـد

منكما بأدنى إلى الآخر.. وجد علي إصرار قومه على أبـي موسى فرضخ لهم قائلاً في تسليم تام: اصنعوا ما بدا لكم.

اجتمع الحكمان عمرو بن العـاص وأبـو موسـى الأشعري في منطقة "دوقة الجندل" لتكون وسطًا بين العـراق والشام.. كان أبو موسى الأشعري يرى أن سلامة الإسـلام في اجتناب الفريقين والقعود عن القتال.. تظاهر عمرو فـي البداية أن هذا رأيه أيضا.. اجتمع الحكمان مرات عديـدة.. امتدت بينهما الحوارات وتشعبت وفي النهاية اتفقا على يـوم يعلنان فيه القرار.. الذي كان يقضي بأن خلع علي ومعاويـة أمر لا مناص منه.

وجاء اليوم الموعود تقدم أبو موسى الأشعري قائلاً: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلـم نـر أصـلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمـرو عليه وهو أن نخلع عليا ومعاوية ونستقبل بهذا الأمر فيولـوا منهم من أحبوا عليهم وإني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً.. وبعد أبـي موسى تقدم عمرو قائلاً: إن هذا – يقصد أبا موسى – قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلـع.. وأثبـت

صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان بن عفان ﷺ والطالب بدمـه وأحق الناس بمقامه".

تحول البحر الهادئ إلى عاصفة.. وجم الحاضرون.. وكان لابد لأبي موسى الأشعري أن يتحدث فهـو المحكـم المخدوع والمضحوك عليه قال لعمرو في غضب: مالـك لا وفقك ا غدرت وفجرت إنما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.. فابتسم عمرو ابتسامة من يعرف أنـه غدر وخدع.. وقال في هدوء يحسد عليه: إنما مثلـك مثـل الحمار يحمل أسفارا!

الموقف مفزع بالفعل فمصير الإسلام كله يحدده كلب وحمار.. وصفا أنفسهما بذلك لم يقدر عمـرو بـن العـاص المسئولية الملقاة على عاتقه.. لقد تحول الإسلام علـى يـد عمرو بن العاص من خلافة راشدة إلى ملك عضوض ركب عليه بنو أمية وزعيمهم معاوية بن أبي سفيان.. هذه الوقـائع ليست جديدة.. فهي موجودة فـي بطـون الكتـب التراثيـة والحديثة على السواء.. وكان الغريب حقًا أن يطالب الأزهر الشريف بحذفها كاملة من حلقات مسلسل "رجل الأقدار" الذي

يصور حياة عمرو بن العاص.. وكان المؤسف بعد ذلـك أن توافق رقابة التليفزيون على الحذف وتنفذه.

إن أحداث التحكيم ووقائعه ليست إلا وقائع تاريخيـة ليس من حق أحد أن يحجبها أو يمنعها أو يفرض وصـايته عليها.. إنها ليست أمرا مرتبطًا بالعقيدة.. وحتى هذه الأمور فيها نظر.. قد يكون رجال الأزهر تحكمهم رغبة في الحفاظ على صورة الصحابة التي تعلمناها في كتب الدراسة المعلبة والكتب التي دخل أصحابها إلى حياتهم من بـاب القداسـة.. وهي رغبة ليست في صالح الإسلام ولا تخدم مسـتقبله.. إن عمرو بن العاص كان محاربا فذًا لا ينكر ذلك أحد.. بل إنه لم يكن يتردد مطلقًا في أن يستخدم كل الحيـل والأسـاليب الخداعية لينقذ نفسه.. لقد التقى علي بن أبي طالب بعمرو بن العاص في معركة "صفين".. السيف فـي مقابـل السـيف.. والعزم في مقابل العزم.. حمل على عليه فأسقطه أرضـا.. وقبل أن ينزل علي بسيفه على عمرو إذا به يكشف ثوبه عن عورته فيتراجع علي بن أبي طالب بسيفه حتى لا يتطلع إلى عورة عمرو.. عرف عمرو أن عليا يغلبه الحياء وأنه لابـد وأن يتراجع.. وهذا ما حدث بالفعل.

إن الصحابة الكرام ﷺ جميعا لم يكونوا فوق مستوى البشر.. بل كانت لهم أخطاؤهم التي لم ينكروها.. كانت لهم هناتهم التي لم يتبرءوا منها.. كانوا يـدركون أنهـم ليسـوا أنبياء.. بل هم جنود نبي.. كان يصر على أنه ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في شعاب مكة.. ولا أدري هـل لا يفهم علماء الأزهر أبعاد الشخصيات الإسلامية ودوافعهـا أم أنهم يريدون أن يريحوا رءوسهم؟.. ولذلك فهم يغلقون الباب تماما.. ويسدون كل منافذ الهواء.. المشاهد تم حـذفها مـن المسلسل.. لكنها لن تحذف من الكتب وهي على ما أعتقد في متناول أيدي الناس.

مكة....

مدينة خلقها اللّه

مكة.. مدينة خلقها ا

من يشد الرحال إليها يظل قلبه معلقًا بهـا.. ومـن يعجز عن زيارتها ولو مرة واحدة يظل من أحلامه القريبـة إلى قلبه أن يدخلها ولو مجرد عـابر.. إنهـا مكـة.. ومـا غيرها.. المدينة التي صنعها ا بيده.. ورعـى شـئونها.. وحفظها على عينيه.. وأهداها إلى أحب أنبيائه إليه وعلق في رقبتها كلمة السر ساحرة المفعول "واجعل أفئدة مـن النـاس تهوى إليهم".. فبدون سابق معرفة.. تجد نفسك تهفو إليهـا.. بلا سبب ظاهر.. ولا مبرر مقنع.. لكنك لا تجـد نفسـك إلا محبا لها.. وراغبا في دخولها.

لا يعرف المسلمون عن مكة إلا أنها بلد ا الحرام.. نزل فيها الوحي على نبيه ﷺ... وصافحت السماء من خلالها الأرض بكلمات قرآنية سامية وآيات إلهية راقية تأخـذ بيـد البشر من ورطتهم الدنيوية إلى حيث رحابة الحياة في الآخرة تحت جناح ا وظله.. تحن إليها القلوب.. فهي البلد الـذي كان موطئ قدم الرسول ﷺ.. شهدت طفولته وشبابه وسنوات دعوته الأولى.. وتابعت عن قرب دموعـه وهـو يتركهـا

مهاجرا قائلاً: "أنت أحب بـلاد ا   إلـي ولـولا أن أهلـك أخرجوني منك ما خرجت" وطلب من ا   عنهـا العـوض.. فإذا كان ترك أحب بلاد ا   إلى نفسه فلا أقل من أن يسـكنه ا   أحب البلاد إلى ا .. فكانت المدينة المنورة.

ولأن الرسول ﷺ كان يحمل مكة في قلبه فـي حلـه وترحاله.. فعندما فتح ا   عليه مكة أراد أن يولي عليها أحد أصحابه، فجاء بعتاب بن أسيد وقال له: "يا عتـاب أتـدري على من استعملتك؟ على أهل ا   تعـالى فاسـتوص بهـم خيرا".. وفي ساعة الفتح الأعظم قال ﷺ: "إن هذا البلد حرمه ا   تعالى يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة ا   إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط إلا من عرفها ولا يختلى خلاها".

مكة قديمة قدم الحياة.. ويرجح مؤرخوها أن السكن بها يرجع إلى أيام سيدنا إبراهيم وابنه سيدنا إسماعيل عليهما السلام.. اللذين عاشا في القرن التاسع عشر قبـل المـيلاد، قصة مكة تبدأ إذن من قصة السيدة هاجر عليها السلام.. تلك المرأة المعجزة التي أهدتها مصر إلى العـالم لتكـون أمـا للأنبياء جميعا وجدة للرسول ﷺ.

لكن كيف دخلت السيدة هاجر إلى التاريخ؟... وكيف عاشت في مكة؟... تقول أخبار أهل الأخبار أن إبراهيم عليه السلام عندما نجا من نار الملك النمرود بكلمة ا أن تكون بردا وسلاما عليه، طلب منه النمرود أن يخرج من أرضه حتى لا يفسد عليه شعبه.. صحبته في رحلته السيدة سارة وكانت قد آمنت به.. وخرج معهما ابن أخيه لوط عليه السلام.. عمل سيدنا إبراهيم بالتجارة فزاد ماله وبعد سنوات قضاها في أرض حوار شد الرحال إلى أرض مصر.. كانت السيدة سارة شابة جميلة حسناء ذات قد واعتدال.. حتى قيل أنه لم تكن في زمانها امرأة أجمل منها، وعندما دخل سيدنا إبراهيم بأهله إلى مصر قال له أهلها: إن ملك مصر من عاداته إذا سمع بامرأة جميلة يتزوج بها قهرا وكان اسمه "طوطيس"، وكان له حراس يقيمون على الطرقات ليأخذوا إليه الجميلات من المسافرات!

عندما دخل سيدنا إبراهيم مصر وضع سارة في صندوق ليخفيها عن الملك فلما دخل سيدنا إبراهيم بين يدي الحراس أرادوا فتح الصندوق ليروا ما فيه، لم يستطع سيدنا إبراهيم أن يمنعهم.. فتحوا الصندوق فوجدوا السيدة سارة

فيه.. حملوها إلى الملك فسألهم: من هذه المرأة؟ فقالوا له كما قال لهم سيدنا إبراهيم عندما سألوه: هـذه أخـت إبـراهيم.. فطلب منه الملك أن يزوجه إياها.. فقال له إبـراهيم، إنهـا متزوجة.. لم ير الملك في ذلك عيبا فأخذ سارة قهرا.. حاول الملك أن يأخذها أكثر من مرة لكن – وكما تقول الروايـة – تيبست يداه، أدرك الملك أنه لن يستطيع أن يحصل من سارة على شيء، فتاب الملك وأكرم إبراهيم وزاد علـى ذلـك أن أهداه السيدة هاجر التي أكرمها ا بـإبراهيم ﵇ فخرجـت على يديه من عالم الرق والجواري إلى أن تكون من سيدات الدنيا كلها.

خرج سيدنا إبراهيم من مصر بزوجته سارة سـالمة وجاريته هاجر.. أقام في منطقة تسـمى "وادي السـبع"، زاد رزقه وزادت تجارته.. تزوج إبراهيم بالسيدة هاجر بعـد أن وهبته سارة إياها.. كانت هاجر مطيعة لسيدتها فهـي فـي النهاية كانت أدنى منزلة منها.. وكانت سارة تعطـف علـى جاريتها.. لكن الأمر تغير تماما عندما أصبحت هـاجر أمـا لإسماعيل وبقيت سيدتها دون ابن، شـعرت هـاجر بـالقوة فأصبحت تعارض سارة وتراجعها.. فغضبت عليهـا سـارة

وأقسمت أن تقطع قطعة من لحمها.. لكنهـا عنـدما هـدأت وجدت نفسها في حيرة، فكيف تبر بقسـمها علـى بشـاعته فأنقذها سيدنا إبراهيم بأن قال لها: اثقبي أذنها ففعلت، لم يهدأ بيت النبي الزوج، وقالت سارة أنها لن تستطيع أن تعيش مع هاجر في بيت واحد.. فأوحى ا إلـى سـيدنا إبـراهيم ألا يخالف سارة وأن يخرج بهاجر وابنها إلى محل الحرم.

أركب إبراهيم ولده إسماعيل وأمه على بعير وأخـذ معه سقاية وجرابا فيه دقيق وسار إلى مكة التي كانت وقتها واديا غير ذي زرع.. صنع لهما بيتًا من عريش من الشجر وترك لهما السقاية والجـراب المملـوء دقيقًـا.. وقبـل أن ينصرف شعرت هاجر أن إبراهيم سيتركها وولدها في هـذه الصحراء القاسية ويمضي، فاستوقفته قائلـة: كيـف تـذهب وتتركنا لهذا المكان الذي لا جليس فيه ولا أنيس.. ولا مـاء ولا نبات.. ثم قالت له: هل أمرك ا بهذا؟ فقال لها: نعـم، فحسمت الأمر كله: إذن لن يضيعنا.

ترك إبراهيم أهله وقطعة من قلبه ولابد أنـه التفـت إليهما وهو يدعو لهما بدعائه الذي ظل لأهل مكة حتى اليوم. قال: (**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْـد**

بيتِك المحرمِ ربنَا لِيقِيموا الصلاةَ فَاجعلْ أَفْئِدةً مـن النـاس تَهوي إِلَيهم)، أصبحت السيدة هاجر وحيدة تواجه مصـيرها الذي وضعه سيدنا إبراهيم في يد ا ثم انصرف.. بعد ثلاثة أيام فقط فرغ ما معها من ماء وزاد. فجرت تبحث عن عون السماء.. سعت بين الصفا والمروة ست مرات.. وفي السابعة وجدت الماء تفجر بين قدمي طفلهـا الرضـيع.. فرضـيت بعطاء ربها قائلة له "زم.. زم.. ليظهر زمزم للوجود".

بعد أن عم الخير المكان مرت على هاجر جماعة من بني خزاعة من أولاد جرهم.. أقاموا عندها وعندما سألوها: لمن كل هذا الماء؟ قالت لهم: إن ا تعالى خصـني بـه.. فقالوا لها، أننزل عندك حتى نجعل اك نصيبا مـن مواشـينا فقالت لهم: نعم، فنزلوا عندها وضربوا حولهـا المضـارب وأقاموا عندها.. وفي حمى بني خزاعة كبر سيدنا إسـماعيل ﵇ وتعلم منهم اللغة العربية والفروسية.. وتزوج بنتا مـن بناتهم ورزق منها أولادا.. ولذلك أصبح طبيعيا أن يعـرف إسماعيل ﵇ بأبي العرب.

لم ينس إبراهيم ﵇ إسماعيل وأمه السيدة هـاجر.. وبعد سنوات استأذن من زوجته السيدة سارة أن يزور ابنـه

إسماعيل وزوجته هاجر فأذنت له.. لكنها اشترطت عليه ألا يكلم هاجر ولا ينظر إليها.. وعد إبـراهيم ﷺ سـارة بـأن يفعل.. لم تدخله السماء في تجربة.. ولم تضعه في موقـف حرج بأن تكون هاجر على مقربة منه ولا يكلمها.. فعنـدما نزل إبراهيم ﷺ مكة وجد أن هاجر ماتت ودفنت قريبا مـن الحجر وكان عمرها وقتها نحو ستين عاما.

في غمرة الحديث عن مكة ينسى الجميع قصة هاجر المرأة التي ينتهي نسب الرسول ﷺ إليها.. لقد عمرت مكـة حولها.. زرعها ا فليها وزرع في قلوب عباده هوى إلـى المكان الذي شهد جهاد امرأة مع الحياة وضعت في اختبـار صعب للغاية.. لكنها تفوقت فيه فاحتفت بها السماء وهنأتهـا على نجاحها بامتياز..، قد يعتقد البعض أن السـيدة هـاجر رضي ا عنها قد ظلمت.. فضرتها السيدة سارة أبعدتها عن بيتها وزوجها وأقرتها السماء على ذلك.. ولعل في ذلك مـا يجعلنا على ثقة أن السماء لم تظلم هاجر.. بل ادخرتها وابنها لتحمل نصيبها من رسالة السماء.. تساهم في إنقاذ البشرية.. تمنحها جدة الرسول الأعظم ويأخذ المسلمون شعائرهم فـي

الحج الأكبر منها.. فلا يسعى حاج بين الصفا والمـروة إلا ويتمثل بين جناحيه جهاد هاجر وصبرها.

وكما تنسى السيدة هاجر في غمـرة الحـديث عـن مكة.. فإن أهل مكة بعاداتهم وتقاليدهم وتركيبـاتهم النفسـية ينسون كذلك.. فمكة عند المسلمين هي البيت الحـرام ومـا حوله فقط.. ولهم الحق في ذلك فقد اهتم الجميـع ببيـت ا الحرام منذ وضع للناس.

هل أستأذنكم قليلاً في الجو الأسطوري الذي بني فيه البيت العتيق.. عندما أراد إبراهيم ﷺ أن يبني البيت نـزولاً على أوامر السماء رأى حجرا من رخام وعليه ثلاثة سطور:

السطر الأول: مكتوب أنـا ا لا إلـه إلا أنـا، رب البيت، مغليها وهي غزار ومرخيها وهي قفار.

والسطر الثاني: مكتوب أنا ا لا إلـه إلا أنـا رب البيت، مهلك الطغاة ومفقر الزناة، ومخزي تارك الصلاة.

والسطر الثالث: مكتوب أنا ا لا إله إلا أنـا، رازق من لا حيلة له حتى يعلم من له حيلة أن لا حيلة له.

ثم جاء إبراهيم ﷺ بحجارة البيت من خمسة جبال: طور سيناء وطور زيتا وجبل لبنان والجودي وجبل حـراء

بمكة.. استمر إبراهيم ﷺ يبني البيت إلى أن ارتفـع البنـاء ويقال أن الحجر الذي يعرف بمقام إبراهيم كان إذا بني عليه تارة يرتفع به إذا ارتفع البنـاء وتـارة يهـبط بـه إذا أراد الأرض.

وفي رواية أنس بن مالك ﷺ أنه رأى أثر قدم إبراهيم ﷺ في هذا الحجر، وقد أثر فيه كعبـه وأخمـاص أصـابع رجليه غير أنه اختفى رسمه من كثرة لمس الناس له بأيديهم فمحي ذلك من كثرة الأيام والليالي.. تم بناء البيت ولم يبـق إلا إخبار زواره به.. أوحى ا إلى سيدنا إبراهيم بأن يصعد إلى سطح البيت ليؤذن في الناس بالحج كان الطلـب غريبـا فكيف يصل صوته الضعيف إلى كل الناس، لكن ا حسـم الأمر كله.. فعلى إبراهيم النداء وعلى السماء البلاغ.. نادى إبراهيم فوصل نداؤه إلى النطف في أصلاب آبـائهم.. قـال إبراهيم ﷺ: "يا أيها الناس إن ا تعالى قد بنى لكـم بيتًـا فحجوا إليه" فبلغ مدى صوته المشرق والمغرب فمن أجابـه بالتلبية كتب له الحج ومن لم يلب لم يحج".

ظل البيت الحرام على حالته التي بناه عليها إبراهيم ﷺ حتى عام خمس وثلاثين من ميلاد الرسول ﷺ فهدمتـه

قريش وجعلت بداخله صور أربعة من الملائكة هم جبريـل وميكائيل وإسرائيل وعزرائيل وجعلوا فيه عددا من صـور الأنبياء والرسل، فلما فتح ا   على نبيه ﷺ مكة طمس تلـك الصور جميعها.. أول توسعة للبيت الحرام تمت فـي عهـد عمر بن الخطاب  وشملت إضافة أسوار وأبواب للحـرم، ثم قام الخليفة الثالثة عثمان بن عفان بتجديد المسجد الحـرام وتوسعته وبنى فيه رواقًا مسقفًا.

عندما جاء الأمويون كانت لمكة معهم شـأن آخـر فرغم أنهم رموا البيت الحرام مرتين بـالمنجنيق.. هـدموا خلالهما الكعبة وما حولها وقتلوا أهل مكـة جميعـا.. إلا أن الدولة الأموية وبعد أن استقرت لها الأمور قامت بإصلاحات عديدة في مكة منها شق الطرق وتعبيدها.. وقام الوليـد بـن عبد الملك بتجديد المسجد الحرام وتوسعته وتسقيف أروقتـه بالصاج المزخرف وجعل أعمدة البيت من الرخـام.. وأقـام فوق الأعمدة عقودا مزينة بالفسيفساء.

العباسيون اهتموا بدورهم بعمارة البيت الحرام ومن حوله بيوت مكة.. وجاء التغيير تحديدا على يد أبـي جعفـر المنصور الذي أقام رواقًا دائريا يحيط بالمسجد.. فقد اشترى

الدور الواقعة شمال المسجد فزادت مساحته واهـتم بجمـال المسجد حيث زين أسقف رواقه بـالنقوش وفـرش الأرض بالرخام.. وعندما جاء المهدي اشترى هو أيضا عـددا مـن البيوت التي تحيط بالحرم وضمها إليه وكذلك فعـل الخليفـة المقتدر ليصل اتساع المسجد إلى مداه.. وظـل علـى ذلـك عقودا طويلة.. ففي عصور الفاطميين والأيوبيين والمماليـك والعثمانيين.. اهتموا فقط خلال سـنوات حكمهـم بـالترميم والإصلاح.

مع بدايات القرن العشرين وعنـدما كانـت شـمس الخلافة الإسلامية في طريقها إلى الأفـول، كـان الحجـاج يجدون الأمرين في طريقهم إلى الكعبة.. فقد كانـت قبائـل البدو التي تحيط بالمدينة ومكة المكرمة ترى في موسم الحج مناسبة لابد من اقتناصها ويرون في الحجيج غنيمة لابد من افتراسها.. وهو ما جعل أمير الشعراء أحمد شوقي يسـتغيث بالسلطان العثمان عبد الحميد عام ١٩٠٤ بقصـيدة مطلعهـا يقول: "ضج الحجاز البيت والحرم.. واستصرخت ربها فـي مكة الأمم".

لم تفعل الدولة العثمانية شيئا.. لأنها لم تكن تستطيع أن تفعل شيئا.. حتى جاء عام ١٩٥٥ وقتها شعرت الدولة السعودية بأهمية ذلك فأمنت الطريق إلى الحج.. ولأن أعداد الحجيج تضاعفت بشدة.. فقرر الملك سعود أن يعتني بالمسجد بشدة.. أجرى فيه أول توسعة يشهدها الحرم المكي في عصره الحديث، ظل العمل في هذه التوسعة ست سنوات كاملة.. أزيلت خلالها المباني والمنشآت السكنية والتجارية التي كانت قائمة بالقرب من مسعى الصفا والمروة، وبنى للمسجد طابقًا ثانيا ثم بدأ بعد ذلك في بناء الأروقة المختلفة الجنوبي ثم الشمالي.. وليكتمل على يديه بناء الطابق السفلي الذي أقيم تحت أبنية الحرم.

أصبح المسجد الحرام بعد هذه التوسعة ضخما وهائلاً.. مساحته وصلت إلى ١٩٣ ألف متر مربع بعد أن كانت ٢٩ ألف متر مربع فقط.. زاد المسجد إذن سبعة أضعاف مرة واحدة، وفيها بلغ عدد أبواب الحرم ٦٤ بابا.. وحفرت حوله الأنفاق من جميع الاتجاهات، لم يكن هذا فقط ما جرى للبيت.. فخلال المشروع السعودي الثاني لتوسعة البيت الحرام والذي بدأه الملك فهد عام ١٩٩٣.. أضيف ٧٦

ألف متر مربع إلى مساحة المسـجد وزعـت علـى أدوار المسجد المختلفة لتصل طاقته إلى حوالي مليون مصل.. في هذه التوسعة أضيفت ثلاثة أبواب رئيسية و٢٧ مدخلاً عاديـا للمسجد.. كما أضيفت كذلك مئذنتان تتشابهان في تصميمهما مع المآذن التسعة التي كانت قائمة قبل ذلك.

الحرم المكي الآن عبارة عن ثلاثة طوابق في كـل منها ٤٩٢ عمودا مكسوة بالرخام.. فيهـا أجهـزة التكييـف والصوت ووصلات الكهرباء بحيث يظل الرخـام محافظـًا على رونقه.. تكاليف توسعة الحرم هذه المرة وصلت إلـى رقم فلكـي بالأرقـام هـو ٧٧٥، ١٨١، ١٧٨، ٣٠ ريـالاً سعوديا، وهو رقم – كما يقول محمد المنسي قنديل في حديثه عن رحلته إلى الحج والذي نشر في مجلة "العربي الكويتيـة" في مارس – ٢٠٠٠ – لا يعرف أحد كيف ينطقه بواسـطة الحروف.

سنخرج بكم من البيت إلى مكة بشعابها وحواريهـا وشوارعها.. هي مركز اليابسة في الأرض.. هذا ما وصلنا من كلام العلماء واجتهاداتهم.. ويحكي د. محمد كامل عبـد الصمد قصة اكتشاف أن مكة هي مركز الأرض.. فقد كـان

الهدف من البحث أمرا مختلفًا تماما كان عن إيجـاد وسـيلة تساعد كل شخص في أي مكان من العالم على معرفة وتحديد مكان القبلة.. فكر د. حسين كمال الدين أن يرسـم خريطـة جديدة للكرة الأرضية لتحديد اتجاهات القبلة عليها، وبعـد أن وضع الخطوط الأولى في البحث التمهيـدي لإعـداد هـذه الخريطة ورسم عليها القارات الخمس، ظهر له فجـأة هـذا الاكتشاف الذي أثار دهشته، فقد وجـد د. حسـين – وهـو بالمناسبة مصري – أن موقع مكة المكرمة في وسط العـالم تماما، أمسك برجلاً وضع طرفه على مدينـة مكـة ومـر بالطرف الآخر على أطراف جميع القارات فتأكـد مـن أن اليابسة على سطح الأرض موزعـة حـول مكـة توزيعـا منتظما.. لتكون مكة بذلك هي مركز اليابسة.

لم يكتف د. حسين كمال الدين بـذلك.. بـل أعـد خريطة للعالم القديم قبل اكتشاف أمريكا واسـتراليا وكـرر محاولته فإذا به يتأكد أن مكة ومن خلال هذه الخريطة أيضا هي مركز الأرض اليابسة حتى بالنسبة للعالم القديم.

يعتبر البعض أن ما توصل إليه العالم المصري مـن أفضال مكة وخيراتها.. ويمكن أن نضيف إلى ذلك وهو مـا

ورد بأحاديث الرسول ﷺ، "فأهل مكة مقدمون على غيرهم.. وسكانها في ثواب دائم حتى يوم القيامـة.. أطلـق علـيهم الرسول ﷺ أنهم أهل ا ، اختارهم ا لجوار بيتـه وميـزهم برحمات عديدة منها الطواف حول البيت والنظر إليه والقرب منه.. حتى مقابر مكة لها فضل.. وهذا هو الرسول ﷺ يقول: نعم المقبرة هذه حتى إن سبعين ألفًا مـن المـدفونين فيهـا يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحد منهم في سـبعين ألفًا وجوههم كالقمر البدر".

شرف مكة عند المسلمين كذلك أن بها مكـان مولـد الرسول ﷺ.. وهو مكان بسوق الليل.. لا تخطئه الأعين حتى الآن.. والجميع يعرف أنه في المكان الذي أقيمت عليه مكتبة "مكة المكرمة" الآن.. ولذا يحبها المسلمون.. أما لماذا كـان يحبها الرسول ﷺ فهذه قصة طويلة.. ففيها ولد.. وفيها عاش طفولته وشبابه.. وفيها – وهذا هو الأهـم – تعـرف علـى زوجته وحبيبته السيدة خديجة.. وعندما دفنت فيها شعر بأن قطعة من قلبه اقتطعت ودفنت فيها.. ظل الرسول ﷺ يحـن إلى مكة.. وإلى ديارها.. وإلى قبر زوجته التي فقد بموتهـا نصيرا ومعينًا على أمور دعوته.

وضع مكة ذلك يجعلها تجـذب الأفئـدة والأبصـار إليها.. فالصلاة فيها أفضل من الصلاة في غيرهـا.. يقـول الرسول ﷺ "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.. وصلاة في المسجد الحرام أفضـل من صلاة في مسجدي هذا بمائة مرة".. ويحرم استقبال مكة أو استدبارها عند قضاء الحاجة.. وكان الرسول ﷺ حريصـا على أن يوصي بذلك قال: "لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بـول ولا تستدبروها ولكن شرقوا وغربوا".

تأخرنا كثيرا على أهل مكة.. ناسها الـذين يطلـق عليهم أهالي السعودية "حج ولم يعد" فأهلها ليسـوا سـكانها الأصليين.. لكنهم دخلوا حجيجا متفرقين ثم مكثـوا فيهـا.. دخلوا للحج لكنهم لم يخرجوا منها.. إن البعض يعتقد أن مكة بلا أي سكان.. وأن سكانها هم الحجاج فقط.. لكن المفاجـأة أن سكان مكة لهم عـاداتهم وتقاليـدهم وأمثـالهم الخاصـة وطرقهم في الزواج والطلاق.. سكانها يصلون إلى حـوالي مليون نسمة على الأكثر.. وهي بذلك ثالثة المدن السـعودية من حيث السكان.. درجة الحرارة فيها في المعتاد تصل إلى ٣١ درجة.. تختلف بين فصل وآخر حتى تصل في الصيف

إلى ٤٨ درجة وتنخفض في الشتاء حتى تصل إلى ١٨ درجة فقط.

ولمكة أكثر من ثلاثين اسما أشهرها بكة وأم القـرى والبلد الأمين ومكة.. وفي معجم ياقوت الحموي عن البلـدان أن مكة سميت بذلك لأنها تمك الذنوب أي تذهب بها كما يمك الطفل ضرع أمه فلا يبقي شيئا.. ولأنها كذلك تمك من ظلـم أي تقصمه.. وهناك سبب جغرافي أيضا وهو من مك القرى أي مصها لقلة مائها.. صغار مكة يتسلون بلعبة كرة القـدم ولعبة البرجوة ولعبة الاستغماية ولعبة الكبت ولعبة الكبـوش ولعبة علبة الطيرة ولعبة الدوان ولعبة المرصاع.. أما الكبار فيتسلون بالمزمار والدومينو والطاولة والشطرنج والكوتشينا ولعبة الكيرم.. ولا يسهر أهالي مكة كثيرا.. فلا توجد لديهم أماكن يمكن أن يسهروا فيها حتى الفجر مثلاً.

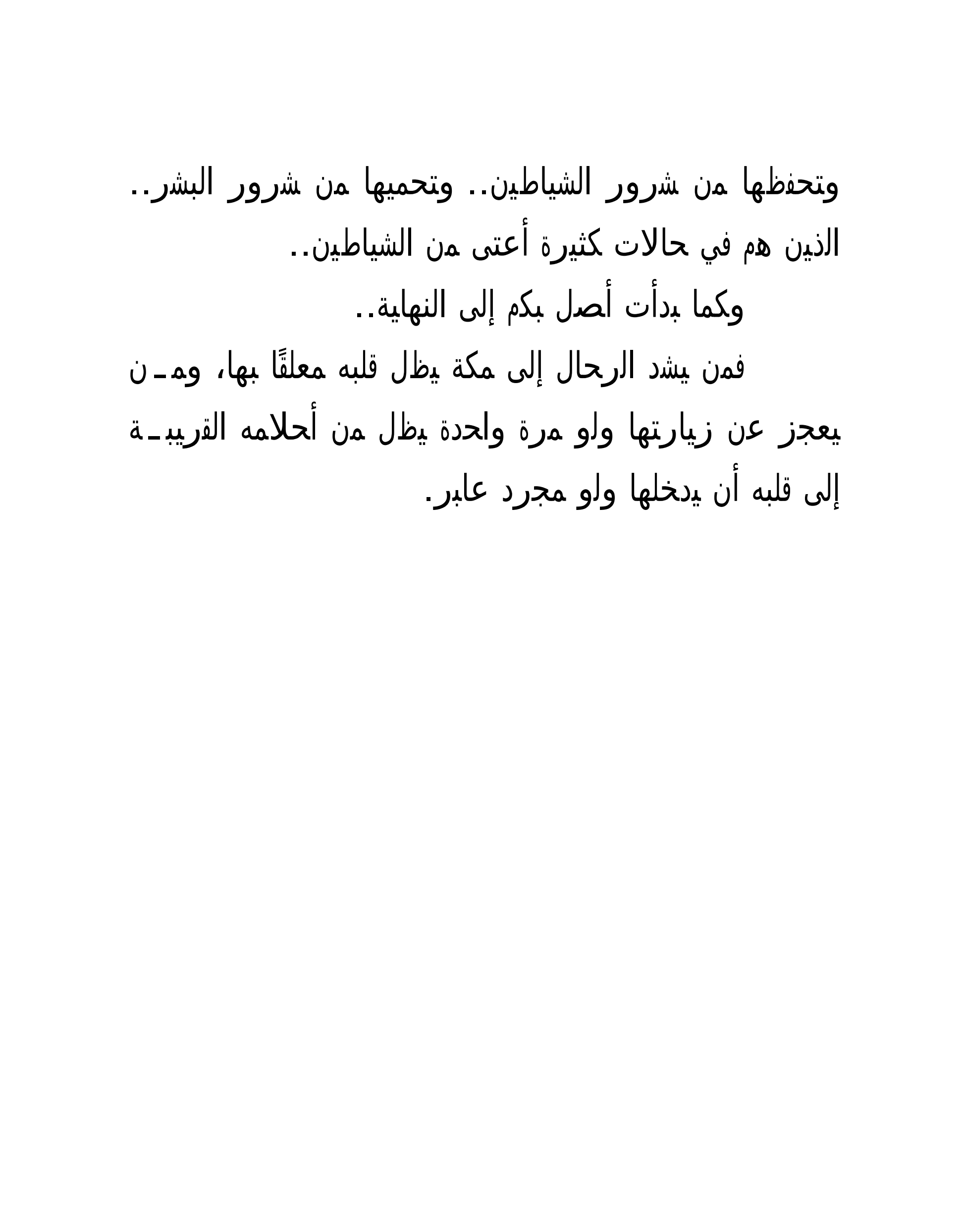
ولا يتميز أهالي مكة بأكلة معينة لأنهم خلـيط مـن الشعوب الإسلامية.. ولذلك أصبح طعامهم خليطًا من أطعمة تلك الشعوب.. ومن المعتاد عند أهل مكة أن يتناولوا طعامهم وهم جلوس على الأرض سواء كان ذلك في الولائم أو فـي الأوقات العادية في بيوتهم.. ومـن بـين أطعمـتهم الفـول

والمعصوب والمطبق والسليق والمبشور والهريسة والمقـادم والسقط واللقيمات ومرقة الهوى وحتى لا يفهم أحـد الأكلـة الأخيرة خطأ.. فهي من الأطعمة الخفيفة التي تلجأ إليها نساء مكة عند انشغالهن، وتسمى مرقة هوى لأنها خالية من اللحم وطريقتها أن يوضع البصل في السمن إلى أن يحمر ثم يطفئ بالماء ويفت الخبز ثم يصب عليه المرق ويقـدم بعـد ذلـك للآكل.

ولأهالي مكة أمثالهم أيضا.. وهي ليست غريبة.. خذ عندك مثلاً: ضربني وبكا سبقني واشتكى، يضرب لمن يتظلم وهو الظالم، مزين بسط استفتح بأقرع، وهو مثـل يضـرب لمن خاب في مسعاه، الجنازة حارة والميت كلـب، يضـرب لمن لا يستحق التقدير ويأخذ أكثر عناية، يأكـل مـا يشـبع ترسله ما يرجع تنهره ما يسمع، ويضرب لمن يكـون فـي غاية الغباء والبلادة، يا للي تزكي مالك يبكي، يضرب لمـن يتظاهر بما لا طاقة له عليه.. وهي أمثال كما ترون عاديـة للغاية لا تعكس خصوصية معينة.. فأهالي مكة بشر عاديون للغاية.. ولذلك فلهم فنونهم الخاصة ورقصاتهم المميزة ومنها الصعبة وهو فن من فنون التواشيح المكية يؤدى في أفـراح

الزواج والأعياد.. ويتميز المكيون بلعب المزمـار أيضـا.. وهو لعب اقترن بالأفراح والليالي الملاح.. ويلعبـه الكبـار والشباب بحركات بدنية ووقع خاص من تحريك رجل ولـف عصا باليد على إيقاعات، ويلعب المكيون المزمار عادة فـي أية مساحة فضاء من حارات مكة.. ولمزمار المكيين قوانين وآداب.. وفيهم كذلك رجولة وشـهامة لا تكسـر فيـه ولا مجون.. فلا يفعله المكيـون إلا تسـلية وإظهـارا للفـرح والسرور.

يعيش أهل مكة الحياة كما يعيش بقيـة خلـق ا .. لكنهم يشعرون وكأن ا اختصهم وحدهم برحمته وفضـله.. فقدروا ذلك.. لا تجد مكيا مغرورا أو متطاولاً على خلق ا لمجرد أنه مكي.. يعلم أن كل المسلمين يحلمون بزيارة بلده.. المشي في شوارعها.. استنشاق عبيرها.. تنسم عطر ابنهـا النبي الأكرم.. لقد ذهبت الأيام مع مكة.. وعادت بها.. لكنها مازالت تتمتع بشموخها وقوتها.. فهـي مدينـة خلقهـا ا ورعاها وسندها بيده.. يشعر من يمشي في شـوارعها بـأن الملائكة تتجول فيها وتنثر على مداخلها الرحمة والبركات..



وتحفظها من شرور الشياطين.. وتحميها من شرور البشر.. الذين هم في حالات كثيرة أعتى من الشياطين..

وكما بدأت أصل بكم إلى النهاية..

فمن يشد الرحال إلى مكة يظل قلبه معلقًا بها، ومـن يعجز عن زيارتها ولو مرة واحدة يظل من أحلامه القريبـة إلى قلبه أن يدخلها ولو مجرد عابر.

بيزنس...

الحج والعمرة!

بيزنس الحج والعمرة!

ينفق المصريون على الثرثرة في المحمول أكثر من مليارين ونصف المليار جنيه سنويا، وينفقون في شراء أجهزة جديدة للموبايل نفس الرقم، أي أن المحمول وحده – حتى يظل محمولاً وفي يد الجميع – يلتهم من ميزانية المصريين خمسة مليارات جنيه سنويا.. هذه واحدة..!

وبعد المحمول تأتي الدروس الخصوصية التي تلتهم هي الأخرى ١٣ مليار جنيه سنويا من جيوب الأسرة المصرية، هذا غير ثلاثة مليارات تنفق على الكتب الخارجية، دعك من هذه أيضا فهناك سبعة مليارات جنيه تنفق على الفياجرا الزرقاء سنويا، صحيح أن وزير الصحة نفى هذا الرقم وقال أن الرقم الحقيقي هي ٦٠٠ مليون جنيه فقط. لكن هو إنفاق ضخم على أية حال، هل نتحدث عن المخدرات أيضا؟! ولم لا ونحن ننفق على المخدرات سنويا أكثر من ١٥ مليار جنيه.. وهذا الرقم يشكل أضعف تقدير فالرقم الحقيقي أكبر بكثير.

قد نلتمس العذر لمن ينفقون كل هذه المبالغ الطائلـة على مزاجهم الجنسي أو حبهم وعشقهم للكيف أو رغبتهم في النجاح أو حرصهم على المنظرة ودفع أي شيء مـن أجـل ظهورهم والمحمول في يدهم لكن ما لا يمكن أن نتصوره أن يصبح التقرب إلى ا وسيلة للإنفاق فيما لا يرضيه.. تصبح المليارات التي يجب أن تنفق من أجل صالح الإنسانية تنفـق في غير موضعها، في كل عام يعود المصريون مـن الحـج عازمين على ترك المعاصي والذنوب ويعاهـدون ا علـى ذلك.. لكنهم لا يلتفتون لشيء مهم للغاية.

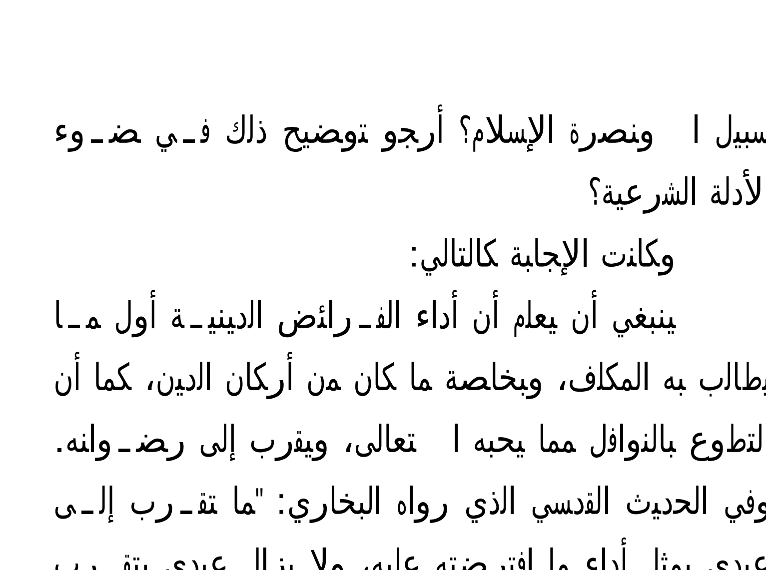
يدفع المصريون في الحج والعمرة كل عام حـوالي سبعة مليارات جنيه كاملة.. ولا نستطيع أن نمنع الناس مـن الحج الذي هو فريضة على كل مسلم ومسلمة متى اسـتطاع لذلك سبيلاً. لكن عندما يكون أكثر من ٨٠% مـن الحجـاج والمعتمرين المصريين يؤدون الفريضة للمرة الثانية أو الثالثة أو ربما العاشرة فلابد لنا أن نتوقف.. خاصة وأن المجتمـع يشهد ظواهر غاية في الغرابة.. فالمصريون أصبحوا يعملون الجمعيات ويقترضون من أجل الحج أو العمرة ويا ليت ذلك

يكون لوجه ا .. ولكن لأن الجارة الفلانية عملت عمـرة.. فلماذا لا أكون مثلها.

وحتى لا يحملنا أحد شيئا لم نقله فهذه ثلاثـة فتـاوٍ لشيوخ يطمئن إليهم الناس في مصر نسجلها لأنها تؤكـد أن الحج لا يجب أن يكون إلا مرة واحدة فقط. وأن تكراره ليس ضروريا إلا إذا كان لنذر.

معنا الشيخ يوسف القرضاوي.. وكان نص السؤال..

يحرص بعض المسلمين على أن يحجوا كـل عـام، وربما حرصوا – مع ذلك – أن يعتمروا أيضـا فـي كـل رمضان، مع ما يصاحب الحج في هذه السنين مـن زحـام شديد، يسقط معه بعض الناس صرعى، من كثافة التزاحم – وخاصة عند الطواف والسعي ورمي الجمار. ألـيس أولـى بهؤلاء أن يبذلوا ما ينفقونه في حج النافلة، وعمرة التطـوع، في مساعدة الفقراء والمساكين، أو في إعانـة المشـروعات الخيرية، والمؤسسات الإسلامية، التي كثيـرا مـا يتوقـف نشاطها، لعجز مواردها، وضيق ذات يدها؟ وهل تعتبر النفقة في تكرار الحج والعمرة أفضل من الصدقة والإنفـاق فـي



سبيل ا ونصرة الإسلام؟ أرجو توضيح ذلك في ضوء الأدلة الشرعية؟

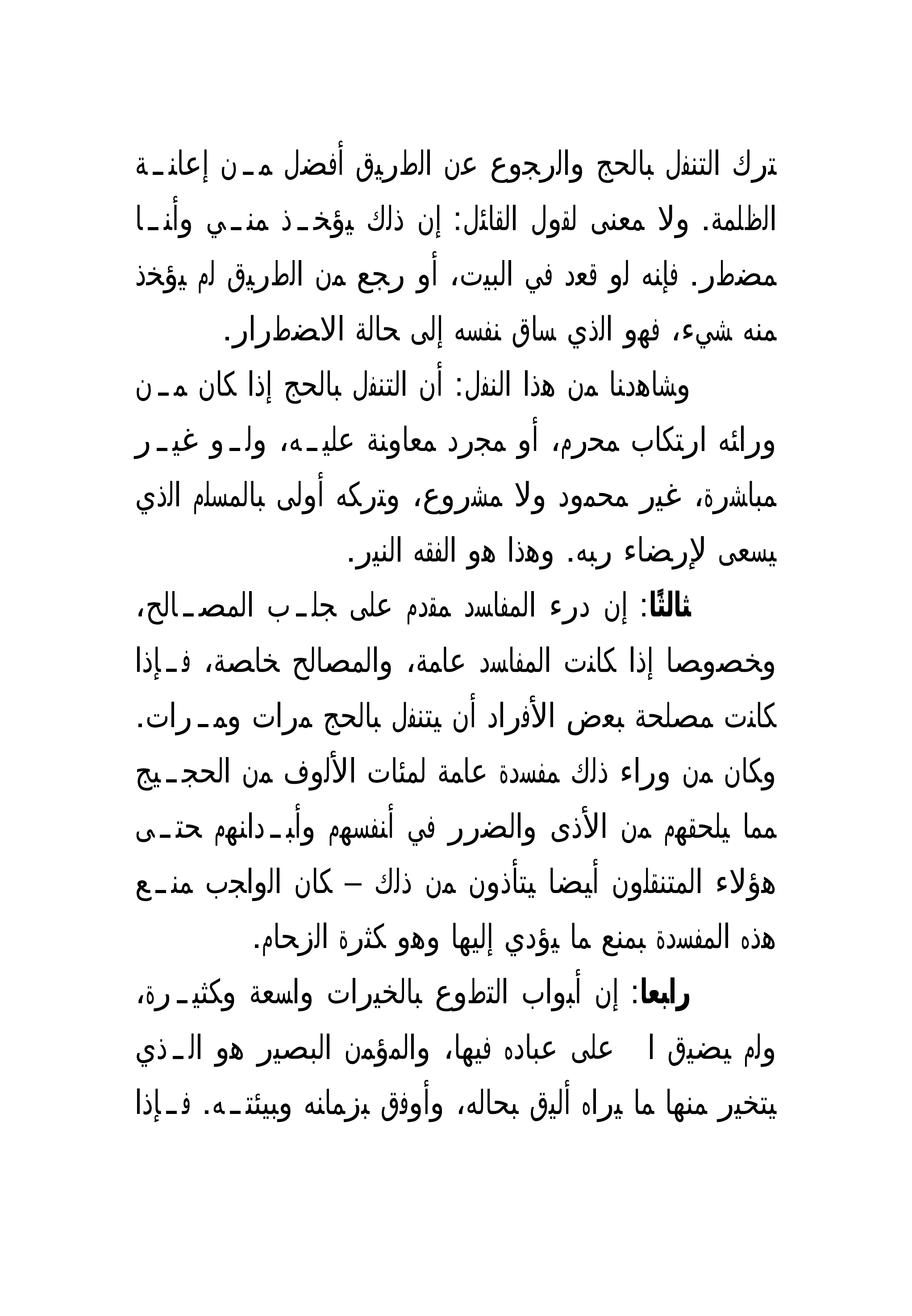
وكانت الإجابة كالتالي:

ينبغي أن يعلم أن أداء الفرائض الدينية أول ما يطالب به المكلف، وبخاصة ما كان من أركان الدين، كما أن التطوع بالنوافل مما يحبه ا تعالى، ويقرب إلى رضوانه. وفي الحديث القدسي الذي رواه البخاري: "ما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به.." ولكن ينبغي أن نضع أمام أعيننا القواعد الشرعية التالية..

أولاً: أن ا تعالى لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة. وبناء عليه، نرى أن كل من يتطوع بالحج أو العمرة وهو – مع هذا – يبخل بإخراج الزكاة المفروضة عليه كلها أو بعضها، فحجه وعمرته مردودان عليه. وأولى من إنفاق المال في الحج والعمرة أن يطهره أولاً بالزكاة. ومثل ذلك من كان مشغول الذمة بديون العباد من التجار وغيرهم، ممن باع له سلعة بثمن مؤجل فلم يدفعه في أوانه،

أو أقرضه قرضا حسنًا، فلم يوفه دينه، فهذا لا يجـوز لـه التنفل بالحج أو العمرة قبل قضاء ديونه.

ثانيا: أن ا لا يقبل النافلة إذا كانت تؤدي إلى فعـل محرم، لأن السلام من إثم الحرام مقدمة على اكتساب مثوبة النافلة. فإذا كان يترتب على كثرة الحجاج المتطوعين إيـذاء لكثير من المسلمين، من شدة الزحام مما يسبب غلبة المشقة، وانتشار الأمراض، وسقوط بعض الناس هلكى، حتى تدوسهم أقدام الحجيج وهم لا يشعرون، أو يشعرون ولا يسـتطيعون أن يقدموا أو يؤخروا – كان الواجب هو تقليل الزحـام مـا وجد إلى ذلك سبيل، وأولى الخطوات في ذلك أن يمتنع الذين حجوا عدة مرات عن الحج ليفسحوا المجال لغيرهم، ممن لم يحج حجة الفريضة. وقد ذكر الإمام الغزالي من الآداب التي يجب أن يراعيها الحاج: ألا يعاون أعداء ا سبحانه بتسـليم المكس (وهو ضريبة تؤخذ ظلما) وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة، والأعراب المترصدين في الطريـق. فإن تسليم المال إليهم، إعانة على الظلـم وتيسـير لأسـبابه عليهم، فهو كالإعانة بالنفس، فليتلطف في حيلـة للخـلاص. فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء – ولا بأس بما قاله – أن

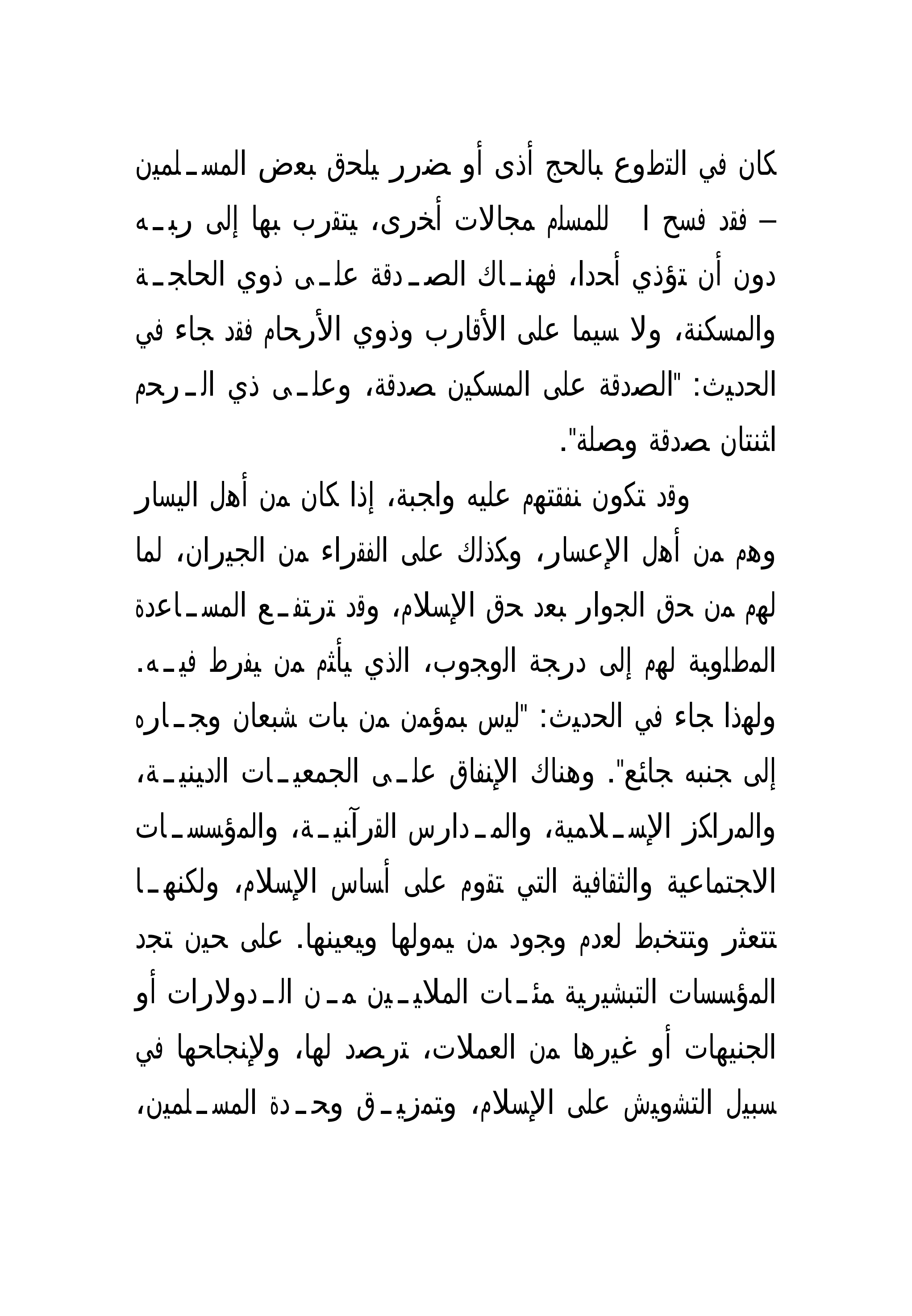


ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل مـن إعانـة الظلمة. ولا معنى لقول القائل: إن ذلك يؤخـذ منـي وأنـا مضطر. فإنه لو قعد في البيت، أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء، فهو الذي ساق نفسه إلى حالة الاضطرار.

وشاهدنا من هذا النقل: أن التنفل بالحج إذا كان مـن ورائه ارتكاب محرم، أو مجرد معاونة عليـه، ولـو غيـر مباشرة، غير محمود ولا مشروع، وتركه أولى بالمسلم الذي يسعى لإرضاء ربه. وهذا هو الفقه النير.

ثالثًا: إن درء المفاسد مقدم على جلـب المصـالح، وخصوصا إذا كانت المفاسد عامة، والمصالح خاصة، فـإذا كانت مصلحة بعض الأفراد أن يتنفل بالحج مرات ومـرات. وكان من وراء ذلك مفسدة عامة لمئات الألوف من الحجـيج مما يلحقهم من الأذى والضرر في أنفسهم وأبـدانهم حتـى هؤلاء المتنفلون أيضا يتأذون من ذلك – كان الواجب منـع هذه المفسدة بمنع ما يؤدي إليها وهو كثرة الزحام.

رابعا: إن أبواب التطوع بالخيرات واسعة وكثيـرة، ولم يضيق ا على عباده فيها، والمؤمن البصير هو الـذي يتخير منها ما يراه أليق بحاله، وأوفق بزمانه وبيئتـه. فـإذا



كان في التطوع بالحج أذى أو ضرر يلحق بعض المسلمين – فقد فسح ا للمسلم مجالات أخرى، يتقرب بها إلى ربه دون أن تؤذي أحدا، فهناك الصدقة على ذوي الحاجة والمسكنة، ولا سيما على الأقارب وذوي الأرحام فقد جاء في الحديث: "الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة".

وقد تكون نفقتهم عليه واجبة، إذا كان من أهل اليسار وهم من أهل الإعسار، وكذلك على الفقراء من الجيران، لما لهم من حق الجوار بعد حق الإسلام، وقد ترتفع المساعدة المطلوبة لهم إلى درجة الوجوب، الذي يأثم من يفرط فيه. ولهذا جاء في الحديث: "ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع". وهناك الإنفاق على الجمعيات الدينية، والمراكز الإسلامية، والمدارس القرآنية، والمؤسسات الاجتماعية والثقافية التي تقوم على أساس الإسلام، ولكنها تتعثر وتتخبط لعدم وجود من يمولها ويعينها. على حين تجد المؤسسات التبشيرية مئات الملايين من الدولارات أو الجنيهات أو غيرها من العملات، ترصد لها، ولإنجاحها في سبيل التشويش على الإسلام، وتمزيق وحدة المسلمين،

ومحاولة إخراج المسلم عن إسلامه، إن لم يكن إدخاله فـي النصرانية، المهم زعزعة إسلامه وإن بقـي بغيـر ديـن.

وإخفاق كثير من المشروعات الإسلامية لـيس لقلـة مـال المسلمين، فمن الأقطار الإسلامية اليوم ما يعد أغنـى بـلاد العالم، ولا لقلة أهل الخير والبذل فيهم، فما زال في المسلمين الخيرون الطيبون، ولكن كثيرا من البذل والإنفاق يوضع في غير موضعه. ولو أن مئات الألوف الذين يتطوعون سـنويا بالحج والعمرة رصدوا ما ينفقون في حجهم وعمرتهم لإقامة مشروعات إسلامية، أو لإعانة الموجود منها، ونظـم ذلـك تنظيما حسنًا، لعاد ذلك على المسلمين عامة بالخير وصـلاح الحال والمال، وأمكن للعاملين المخلصين للدعوة إلى الإسلام أن يجدوا بعض العون للصمود في وجه التيارات التبشـيرية والشيوعية والعلمانية وغيرها من التيارات العميلة للغرب أو الشرق، التي تختلف فيما بينها، وتتفق على مقاومة الاتجـاه الإسلامي وعرقلة تقدمه وتمزيق الأمة الإسلامية بكل سبيل.

وهذا ما أنصح به الأخوة المتدينين المخلصـين الحريصـين على تكرار شعيرتي الحج والعمرة أن يكتفوا بما سبق لهـم

من ذلك، وإن كان ولابد من التكرار، فليكن كل خمس سنوات، وبذلك يستفيدون فائدتين كبيرتين لهما أجرهما:

الأولى: توجيه الأموال الموفرة من ذلك لأعمال الخير والدعوة إلى الإسلام، ومعاونة المسلمين في كل مكان من عالمنا الإسلامي، أو خارجه حيث الأقليات المسحوقة.

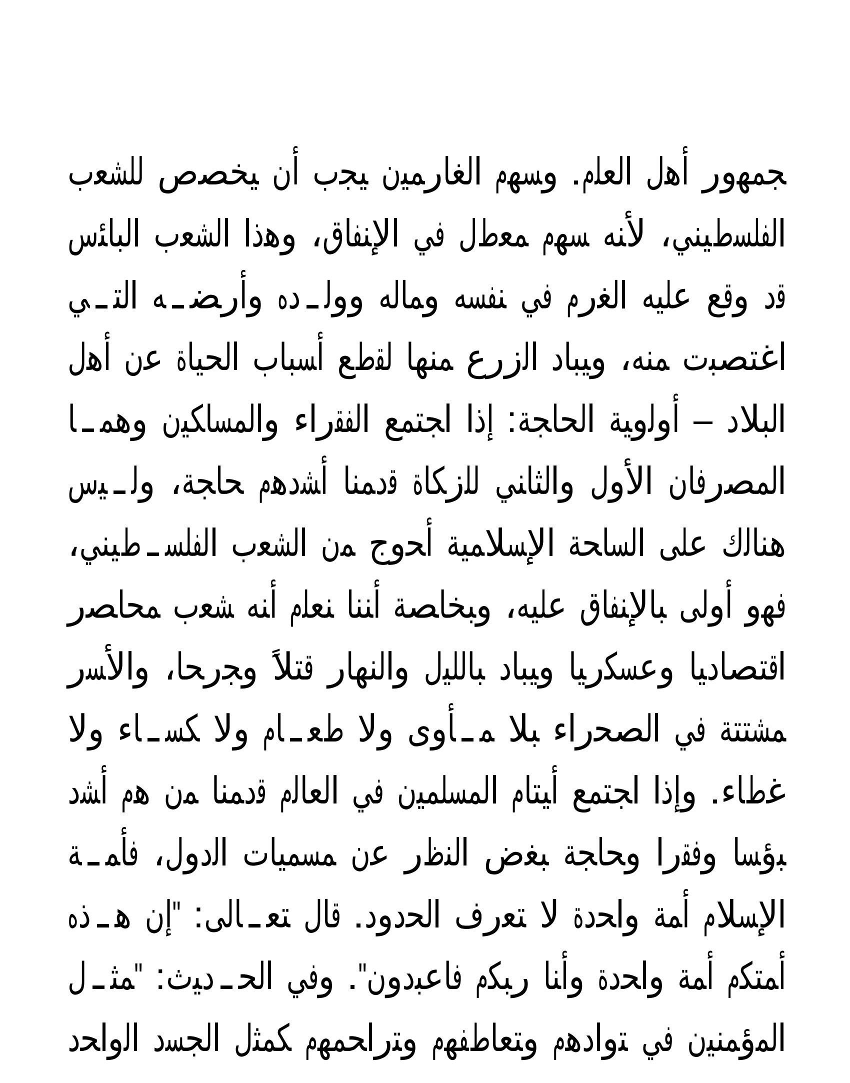
الثانية: توسيع مكان لغيرهم من المسلمين الوافدين من أقطار الأرض، ممن لم يحج حجة الإسلام المفروضة عليه. فهذا أولى بالتوسعة والتيسير منهم بلا ريب. وترك التطوع بالحج بنية التوسعة لهؤلاء، وتخفيف الزحام عن الحجاج بصفة عامة، لا يشك عالم بالدين أنه قربة إلى الله تعالى، لها مثوبتها وأجرها "وإنما لكل امرئ ما نوى". ومما يذكر هنا: أن جنس أعمال الجهاد أفضل من جنس أعمال الحج، وهذا ثابت بنص القرآن، يقول تعالى: (**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**).

وهذه فتوى أخرى.. قالها د. فؤاد علي مخيمر كـان نص السؤال:

ما واجب المسلمين سواء كانوا حكومات أو أفـرادا تجاه الانتفاضة الفلسـطينية ومـا يفعلـه اليهـود بالشـعب الفلسطيني الأعزل؟ وهل يحق للمسلمين أن يدفعوا لهم زكاة أموالهم؟ وما حكم المسلمين الذين ينفقون الملايين في تكرار الحج والعمرة ويتركون المسلمين العزل دون أن يدفعوا لهـم شيئا؟

وكانت الإجابة كالتالي:

في الحديث: "من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له.. ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له" – وقال تعالى: ".. وتعاونوا على البر والتقوى.." – ومن الأولويات في الفقه الإسلامي: "إذا اجتمعت مصلحتان قدمت أيهما أنفع للأمة المسلمة". "وإذا تعارضت المصـلحة العامة مع المصلحة الخاصة قدمت المصلحة العامـة علـى الخاصة من باب الإيثار" – ومن الضوابط والأحكام الفقهية: "أن سهم الزكاة في قوله تعالى: ".. وفي سـبيل ا " مـوطن إنفاقه الجهاد، ونحن في ساحته فلا يخرج عنها". وهذا قـول



جمهور أهل العلم. وسهم الغارمين يجب أن يخصص للشعب الفلسطيني، لأنه سهم معطل في الإنفاق، وهذا الشعب البائس قد وقع عليه الغرم في نفسه وماله وولـده وأرضـه التـي اغتصبت منه، ويباد الزرع منها لقطع أسباب الحياة عن أهل البلاد – أولوية الحاجة: إذا اجتمع الفقراء والمساكين وهمـا المصرفان الأول والثاني للزكاة قدمنا أشدهم حاجة، ولـيس هنالك على الساحة الإسلامية أحوج من الشعب الفلسـطيني، فهو أولى بالإنفاق عليه، وبخاصة أننا نعلم أنه شعب محاصر اقتصاديا وعسكريا ويباد بالليل والنهار قتلاً وجرحا، والأسر مشتتة في الصحراء بلا مـأوى ولا طعـام ولا كسـاء ولا غطاء. وإذا اجتمع أيتام المسلمين في العالم قدمنا من هم أشد بؤسا وفقرا وحاجة بغض النظر عن مسميات الدول، فأمـة الإسلام أمة واحدة لا تعرف الحدود. قال تعـالى: "إن هـذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون". وفي الحـديث: "مثـل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". ففي الحديث عموم، وليس فيه إشارة إلى تخصيص، ذلك لأن التخصيص تعصب، والعصبية نبـع مـن الجاهليـة، وفـي

الحديث: "من دعا إلى عصبية فليس منا". وفي الحديث أيضا: "إذا نزل العدو بأرض الإسلام كان الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة". وإذا كنا محاصرين عن الجهاد بالنفس؛ فالجهاد بالمال فرض محتم، وبخاصة إذا توفرت القدرة على أدائه كل بحسب استطاعته – المجاهدون من هم أشد حاجة إلى المال يؤدي إلى الإثم لما فيه من التعصب وتعطيل أو تعويق الجهاد – إن المعركة الشرسة التي فرضت علينا تحتاج إلى تجييش الأمة عسكريا واقتصاديا وعلميا.

فالعسكرة: مسئولية الحكومات أمام ا والشعوب. وأما الاقتصاد والعلم: فمسئولية الأفراد. وفي ضوء ما سبق بيانه بالنظر لأولوية حاجة المسلمين أقول:

أولاً: الحج فريضة، والجهاد فريضة، والعمرة واجبة عند الجمهور وسنة عند آخرين. والحج فرضه ا .. جلت حكمته – في العمر مرة لما فيه من مشقة السفر وبذل المال، فيعد تكرار الحج نافلة؛ فيتقدم إنفاق المال على الجهاد على أداء النافلة، وكذلك العمرة متى أديت مرة فإنفاق ما يبذل فيها على الجهاد أمر واجب وبخاصة عند تكرارها، لأن الجهاد فرض وقد شُرع دفاعا عن الدين والنفس والمال والعرض

وأرض الوطن والمقدسات، ويتأكد وجوبه ويتحـتم إذا نـزل العدو واغتصب أرض الإسلام. وهذا هو الواقع الذي نعـيش فيه على أرض فلسطين واغتصاب المسجد الأقصى، فعندئـذ قد أضحى الجهاد فرض عين على كل مسلم كما أخبر بـذلك المعصوم ﷺ. ولذا نقول: إن ما ينفق على أداء الحج المكرر (النافلة) والعمرة المكررة (النافلة)، يجب أن يوجـه لإغاثـة الشعب الفلسطيني؛ حيث إنهم يعانون من نقص في الطعـام والدواء والمسكن؛ لأنهم عزل أمام عتاة في الأرض، ورؤيتنا للواقع تغنينا عن الوصف، وإن تركنا العدو وشأنه فسـيأتي علينا الدور، وتدور الدائرة على شعوب الأمة المسـلمة. ألا فتلفق الأمة من غفلتها، وإن ترشيد الإنفاق في ضوء مقاصد الشريعة أمر واجب.

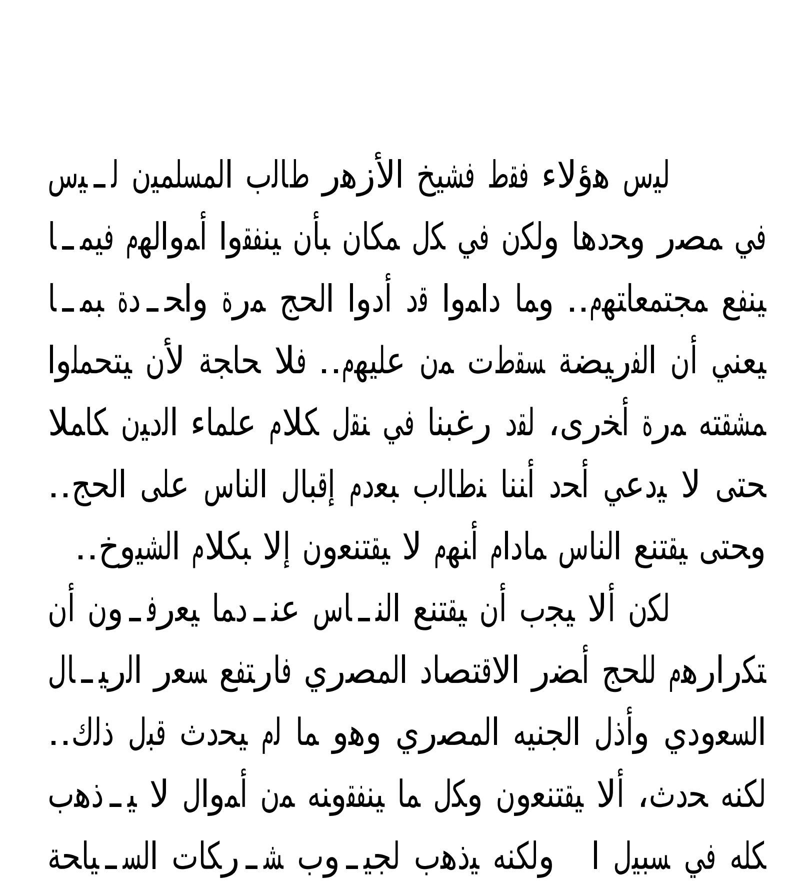
ثانيا: يأثم المسلمون القادرون إن تباطئوا في تقـديم الدعم المادي للشعب الفلسطيني المجاهد، أو تعصبوا لأهـل بلادهم في هذه الآونة الجهادية. ولهم – إن شاء ا تعـالى – الشرف والعز والفضل ونعيم الجنات متى تسارعوا إلى نجدة إخوانهم المرابطين، بل يعدون – إن شاء ا – من السابقين المقربين. وأرى أنه لا بأس إن أعطوا جزءا من زكاتهم إلى

من هم في حاجة ملحة مـن أقـاربهم وجيـرانهم الفقـراء. وبجانب هذا أرى أيضا أن مقام الرفعة يتجلى فـي الإيثـار الذي امتدحه ربنا سبحانه في قوله: "ويؤثرون على أنفسـهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسـه فأولئـك هـم المفلحون".

ثالثًا: على الأجهزة المعنية في دول العالم الإسلامي أن تقف بجوار شعوبها، فإن الشعوب قادرة بإذن ا تعـالى على تقديم الدعم المادي بمعناه الواسع في كل ميدان. وكفانا استهزاء من عدونا وسخرية بنا. إن في أموال الزكـاة عنـد المسلمين ما يقدم لنصرة الإسلام والمسلمين في شتى ميادين الحياة، وفيه كفاية. أقول: يجـب علـى حكومـات الـدول الإسلامية أن تستغل الطاقات الإيمانية – وليست الإرهابيـة، لحماية مقدساتنا وأرضنا. إن الصهاينة في العـالم يقـدمون الدعم المالي والبشري والإعلامي والحربي لصهاينة إسرائيل لإبادة الشعوب المسـلمة. والأمـر الغريـب والعجيـب أن المسلمين لا يزالون يستنكرون ويشجبون وينتظرون الصـلح مع أولئك السفهاء، والدماء تسيل، والأرض تغتصب، فـأين إباء المسلمين وعزتهم؟!!

رابعا: إن الاشتغال بالطعام والشراب والشهوات والترف وتعبئة الإعلام بالزيف من المرائي، والعبث من الكلام والمعركة مشتعلة يعد ذلك عبثًا وهزيمة أمام النفس والشيطان والعدو.

تبقى فتوى ثالثة يحدثنا بها الشيخ سيد سابق صاحب كتاب فقه السنة يقول "أجمع العلماء على أن الحج لا يتكرر وأنه لا يجب في العمر إلا مرة واحدة إلا أن ينذره فيجب الوفاء بالنذر، وما زاد فهو تطوع، فعن أبي هريرة قال "خطبنا رسول ا ﷺ فقال: إن ا كتب عليكم الحج فحجوا، فقال رجل أكل عام يا رسول ا ؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا ثم قال ﷺ: لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم" ثم قال "ذروني ما تركتم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"، وعن ابن عباس رضي ا عنهما قال "خطبنا رسول ا ﷺ فقال يا أيها الناس كتب عليكم الحج فقام الأقرع بن حابس فقال أفي كل عام يا رسول ا ؟ فقال: لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا الحج مرة فمن زاد فهو تطوع".



ليس هؤلاء فقط فشيخ الأزهر طالب المسلمين ليس في مصر وحدها ولكن في كل مكان بأن ينفقوا أموالهم فيما ينفع مجتمعاتهم.. وما داموا قد أدوا الحج مرة واحدة بما يعني أن الفريضة سقطت من عليهم.. فلا حاجة لأن يتحملوا مشقته مرة أخرى، لقد رغبنا في نقل كلام علماء الدين كاملا حتى لا يدعي أحد أننا نطالب بعدم إقبال الناس على الحج.. وحتى يقتنع الناس مادام أنهم لا يقتنعون إلا بكلام الشيوخ..

لكن ألا يجب أن يقتنع الناس عندما يعرفون أن تكرارهم للحج أضر الاقتصاد المصري فارتفع سعر الريال السعودي وأذل الجنيه المصري وهو ما لم يحدث قبل ذلك.. لكنه حدث، ألا يقتنعون وكل ما ينفقونه من أموال لا يذهب كله في سبيل ا ولكنه يذهب لجيوب شركات السياحة والنصابين والمزورين وبائعي التأشيرات وهؤلاء لا يشغلهم أن يقبل ا حج أحد أو يرفضه، ألا يقتنعون وهناك مئات الجهات التي تحتاج لأموالهم التي تنفق للتفاخر والتظاهر بالغنى.. ففقراء هذا الوطن كثيرون ويحتاجون لمن يعولهم.

لقد تحول الحج إلى بيزنس.. يشترك فيه الجميع الذين يؤدون الحج أكثر من مرة يسعون لاعتراف الناس بهم

أتقياء وأنقياء والذين تسهل لهم الحكومة فيحصلون على كل ما يحتاجونه من أموال.. إذا لم يقتنع المصريون بذلك وهم الذين يدفعون أكثر من ٧ مليارات جنيه في الحج والعمرة فإننا نضع أمامهم هذه الأرقام فـالمجلس الأعلى للشباب والرياضة مثلاً وهو الذي عليه رعاية ٢٤ مليون شاب يمثلون أكثر من نصف المجتمع لا تزيد ميزانيته على ٢٢٠ مليون جنيه.. أي أن كل شاب يحصل على ستة جنيهات، فقط، فمن أولى بالرعاية؟!

إن ما ننفقه على الحج والعمرة لأشخاص يصرون على تكرارها يزيد عن دخلنا السنوي من قناة السويس بمراحل؛ معنى ذلك أننا نقضي على جزء من دخلنا القومي دون أن ندري..

وإذا لم يقتنع المصريون بهذه الأرقام أيضا.. فأمامهم الفتاوى الدينية التي تؤكد أن الذي يحتاجه البيت يحرم على الجامع.. خاصة إذا كنت قد أديت ما عليك للجامع!

الإسلام....

على طريقة التبليغ

والدعوة

الإسلام على طريقة التبليغ والدعوة

قبل سنوات عديدة كنت أسير مع صديقي على شاطئ النيل في قريتنا البعيدة على فرع دميـاط. اسـتوقفنا رجـل أربعيني العمر يرتدي جلبابا قصيرا بعض الشـيء وعلـى رأسه غطاء غريب، عرفت بعد ذلك أن اسمه قلنسوة.. بدون مقدمات دعانا لصلاة المغرب والاستماع لـدرس قصـير.. ذهبنا إلى المسجد، فوجدت به وجوها عديدة لم تعتد ارتيـاد المساجد.. لكن هذا الرجل الغريب استطاع أن يجرهم إلـى المسجد بكلماته البسيطة وابتسامته التي لم تكن تغادر وجهه.

بعد الصلاة بدأ في إلقاء درسه.. كان يتحـدث عـن الأخلاق وكيف يكون المسلم صادقًا مع نفسه ومع الناس ومع ا .. تحسر على الأخلاق التي ضاعت.. لكنه كان متفـائلاً من أن الإسلام سيعود إلى قلوب الناس من جديد.. كانت هذه هي المرة الأولى التي عرفت فيها جماعة التبليغ والـدعوة.. من وقتها وأنا أتابعهم عن بعد.. أقـرأ بعـض أخبـارهم.. وأصبحت صورتهم عندي أنهم جماعة تـدعو النـاس إلـى طريق ا .. ويخرجون في جماعات إلـى المـدن والقـرى

يرغبون الناس في العبادات والفضائل ولا يبتغون في ذلـك سوى وجه ا .

لكن، ومنذ فترة تجمعت لدي أسباب عديدة للاهتمـام بجماعة التبليغ والدعوة.. ففي بعض قرى الصعيد لوحظ أن أعدادا كبيرة من الشباب تسافر إلى الهند وباكستان.. يمكثون ما بين أربعين يوما وثلاثة أشهر.. وبعد أن يعـودوا تتغيـر حياتهم تماما.. بعضهم يكون فقيرا، فإذا به يتزوج ويفتح بيتًا ومشروعا اقتصاديا يدر عليه ربحا معقولاً.. يقـول هـؤلاء الشباب أنهم يخرجون للدعوة في سبيل ا ، رغم أن الكثيرين منهم لا يمتلكون حصيلة علمية أو أي مؤهلات تمكنهم مـن هذه الدعوة.. يرد على ألسنتهم كثيرا اسـم جماعـة التبليـغ والدعوة.. وأنهم أعضـاؤها.. وأن خـروجهم إلـى الهنـد وباكستان ليس إلا نوعا من الجهاد.. وهو عندهم جهاد أكبر يفوق كل جهاد.

أبناء الصعيد بظروفهم القاسية ليسوا وحدهم في هذا المركب.. فأبناء عائلات كبيرة انخرطوا في أنشطة جماعـة التبليغ والدعوة التي دخلت مصر بعد سنوات قليلة من نشأتها في الهند.. فقد نشأت على يد قندهلوي حوالي عـام ١٩١٤..

والأمثلة كثيرة.. شاب يدرس في إحدى كليات القمة انقطـع منذ أشهر عن الدراسة.. أصبح يغيب عـن البيـت فتـرات طويلة.. أطلق لحيته وارتدى القلنسوة وكل كلامه عن الحلال والحرام.. وما يجب وما لا يجب.. كان يخرج في معسكرات مع زملائه يقول عنها أنها للإعداد والتدريب.. ومـا أزعـج أهله أنه بدأ يخرج إلى محافظات مختلفة وقرى متعددة ليدعو أهلها إلى الإسلام كما يقول.. وتعجبت والدته التي أصـبحت لا تفهم كثيرا مما يقوله ابنها.. وعندها حق فهي لا تعرف أن جماعة التبليغ والدعوة من الجماعات التـي يطلـق عليهـا جماعات إعادة الدعوة.. وهي حركات ترى أن المجتمعـات المعاصرة تشبه مجتمع مكة بعد البعثة النبوية، ولـذلك فـإن دعوة أو بعبارة أدق إعادة دعوة للنـاس الموجـودين فيهـا والذين يجهلون الإسلام، كما كان الكافرون في مكة يجهلونه تعد المهمة الوحيدة التي يجب عليهم القيام بهـا، كمـا فعـل المسلمون الأوائل.

لا تعرف أم هذا الشاب كيف تتصرف، لكنها حتـى الآن تنظر بعين الريبة إلى جماعة التبليغ والدعوة.. تشـعر أنهم اختطفوا منها ابنها وحولوا مستقبله لطريـق لـم تكـن

تريده.. فهي كانت تعده ليصبح طبيبا ناجحا، فإذا بها تجـده يتحول إلى داعية.. ما حدث مع الشاب الـذي يعـيش فـي القاهرة، يحدث في محافظات عديدة في مصر.. صـحيح أن الشباب لا يتورط في أعمـال معاديـة للحكومـة.. ولـذلك فالجماعة تعيش في أمان تام.. لكن من يعلم ففي لحظة واحدة يمكن أن يتحول الشاب الذي يعتنق فكر التبليغ والدعوة إلـى شاب يعتنق أفكار جماعة الجهاد.

هذه الواقعة تؤكد ذلك، فقبل ثلاث سـنوات حـوكم عضو من جماعة التبليغ والدعوة أمام محكمة أمن الدولـة، كانت مصر قد تسلمته من البوسنة وكان قد حكم عليه غيابيا بالمؤبد في قضية إحراق نـوادي الفيـديو فـي منتصـف الثمانينيات، المتهم رفض التهم الموجهة إليه، وقال للمحققين أنه لم يكن هاربا لكنه خرج من مصر بصـورة مشـروعة، وأنه كان يعيش في البوسنة وزار باكستان.. تهمـة عضـو جماعة التبليغ كانت تشكيل جماعة سـرية بهـدف اغتيـال شخصيات سياسية والاشتراك في إحراق ٢٥ مكانًـا بينهـا معسكر لتدريب قوات الشرطة وعدد من الملاهـي الليليـة ومحلات بيع أشرطة الفيديو! هو ابن من أبناء جماعة التبليغ

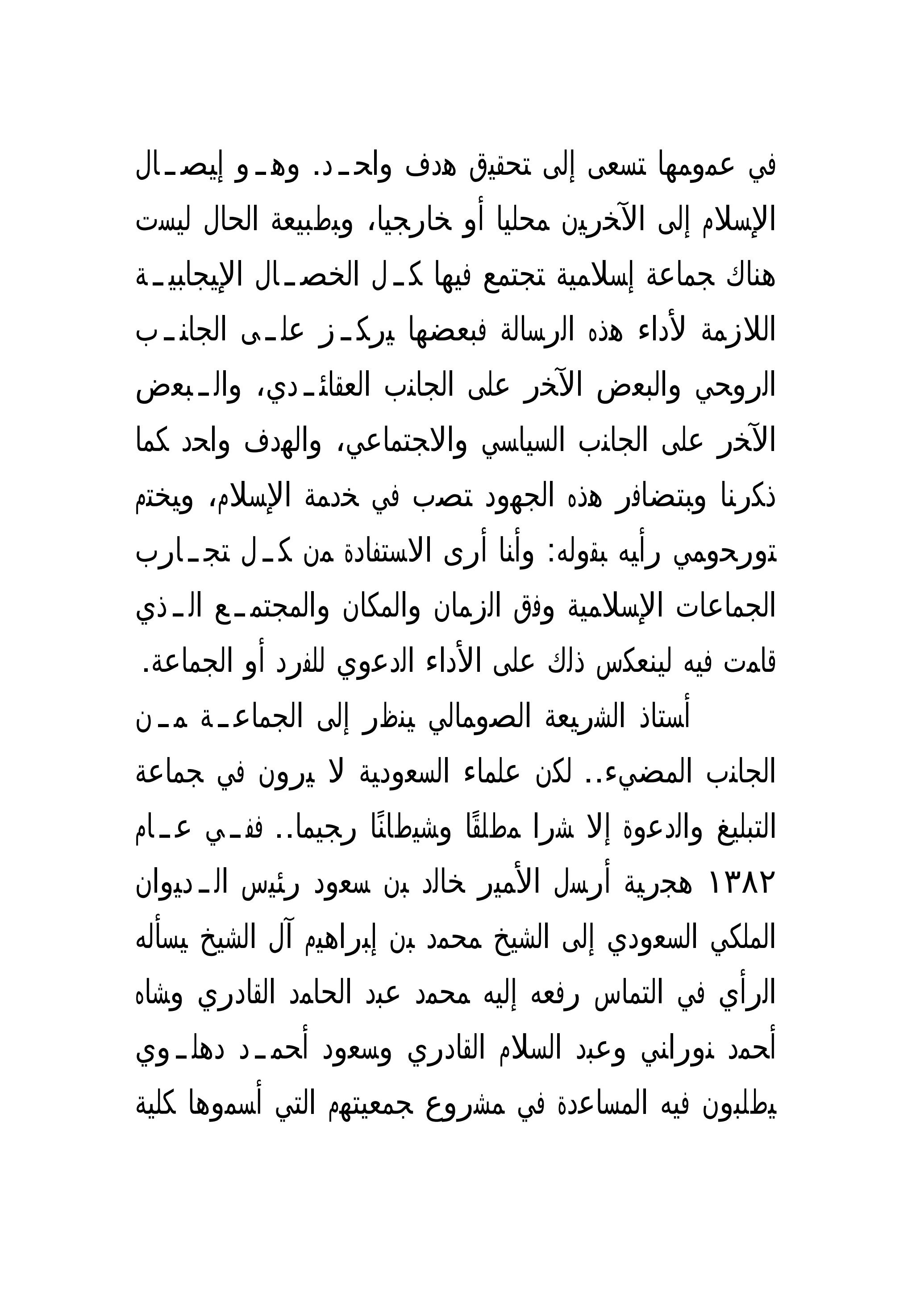
والدعوة إذن، لكنه تطرف بأفكارها.. وهنا يكمن الخطر الذي يمكن أن يحيط بمصر من هذه الجماعة التي ترقد النار تحت رمادها.. لكن قبل الحكم ألا يجب أن نعرف كيف تفكر هـذه الجماعة؟

نشأت هذه الجماعة فـي الهنـد فتـرة خضـوعها للاحتلال.. ولم تجد أدنى مقاومة أو معارضـة للاحـتلال، ولذلك فإن معارضيهم يميلون إلى اتهامهم بالعمالة للاحـتلال الإنجليزي.. ولا يتورعون من القول بأن الجماعـة صـنعة الاحتلال الذي رأى في أعضاء الجماعة أدوات تساعده على تهدئة الناس وصرفهم عن مشكلاتهم الحياتية إلى أمور غيبية تتعلق بالآخرة.. وهو اتهام لا نستطيع أن نتبناه.. لكننا فقـط نذكره..

أعضاء الجماعة بالفعل لا يهتمـون بالسياسـة ولا يشغلون أنفسهم بشئون الحكم.. بل إنهم يقللون مـن أهميـة الجهاد ويقولون نحن الآن نجاهد النفس وهذا أقوى جهـاد.. ونشاطهم الأساسي هو القيام بجولات لدعوة المسلمين الـذين لا يأتون للمسجد للصلاة.. ويهتم أعضـاء الجماعـة كـذلك بدعوة الغير للخروج معهم سـواء ٣ أيـام أو ٤٠ يومـا أو

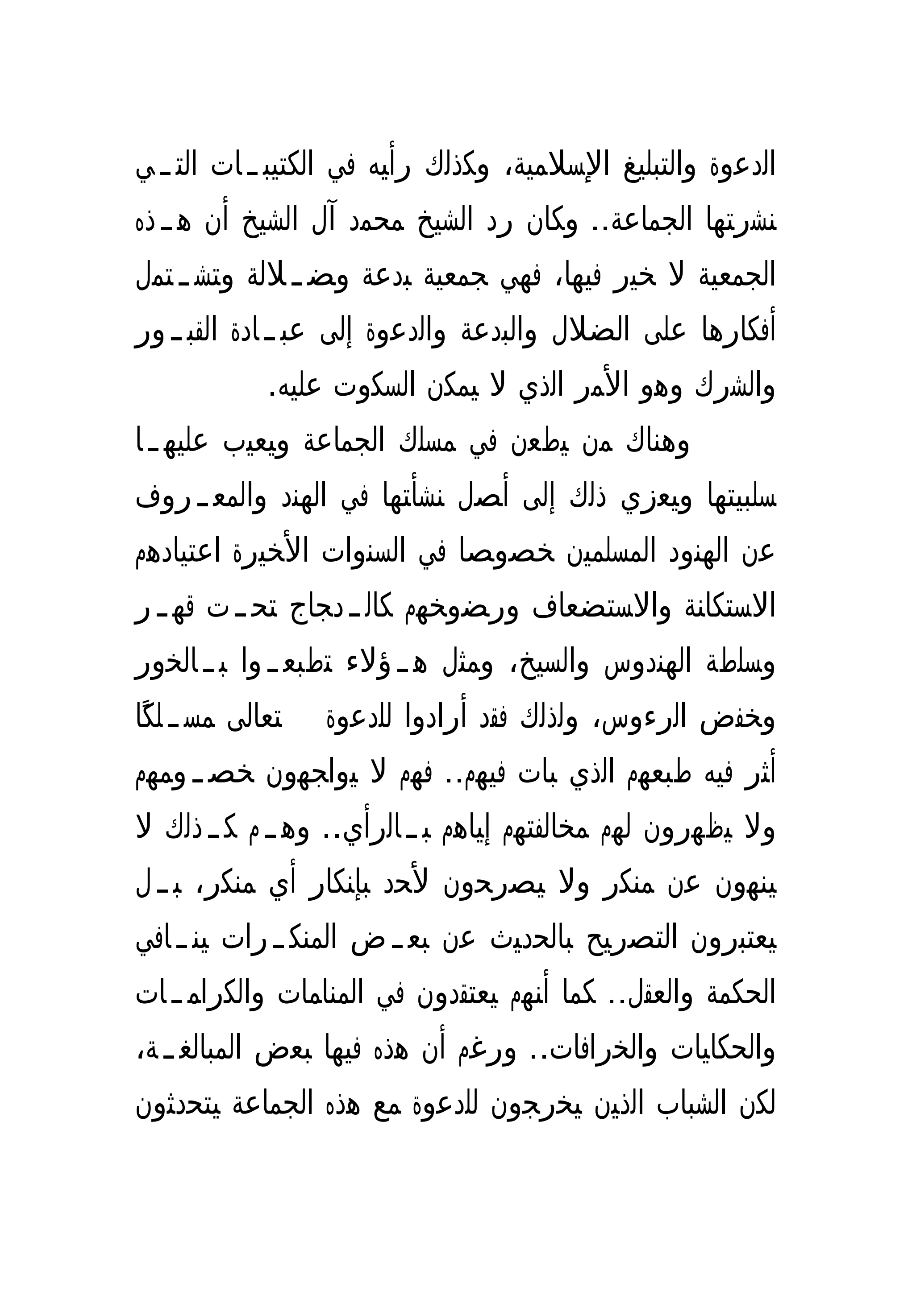
أربعة أشهر، ويعتبرون ذلك أهم مـن تأديـة الصـلاة فـي المسجد.. ومن أفكارهم كذلك أنهم يعتبرون الاعتكـاف فـي المساجد أهم عمل يستطيع المسلم القيام به.. يعملـون علـى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان.. ويؤخذ على هذه الجماعـة أن طريقتها في دعوة المسلمين للخروج معهم تعتبـر فظـة وغليظة فهم لا يراعون أي ظروف أو أعذار.. بل إن المسلم لو لم يخرج معهم وحتى إن كان مداوما على الصلاة خمـس مرات في المسجد فإنهم ينبذونه ولا يقدرونه!

نشاط الجماعة ينتشر في دول مختلفة.. والمواقـف حيالها مختلفة، فهذا سؤال أرسله طالب من الجزائـر إلـى موقع "إسلام أون لاين" يقول فيه: ما حكم الشرع في اتجـاه جماعة التبليغ والدعوة؟، والإجابة كانت من الشـيخ يوسـف تورحومي أستاذ الشريعة الإسلامية المساعد بجامعة "حمـر" بمقديشيو بالصومال يقول: جماعة التبليغ والدعوة هي واحدة من الجماعات الإسلامية التي نشأت في العصـر الحـديث، وتقوم بالدعوة إلى الإسلام وفق أساليب وتقاليد تعتبرها هـي أنها أسهل الطرق لإيصال رسالة الإسـلام إلـى الشـعوب الأخرى، قد نتفق مع هذه الأساليب أو نختلف عليها. لكنهـا



في عمومها تسعى إلى تحقيق هدف واحـد. وهـو إيصـال الإسلام إلى الآخرين محليا أو خارجيا، وبطبيعة الحال ليست هناك جماعة إسلامية تجتمع فيها كـل الخصـال الإيجابيـة اللازمة لأداء هذه الرسالة فبعضها يركـز علـى الجانـب الروحي والبعض الآخر على الجانب العقائـدي، والـبعض الآخر على الجانب السياسي والاجتماعي، والهدف واحد كما ذكرنا وبتضافر هذه الجهود تصب في خدمة الإسلام، ويختم تورحومي رأيه بقوله: وأنا أرى الاستفادة من كـل تجـارب الجماعات الإسلامية وفق الزمان والمكان والمجتمـع الـذي قامت فيه لينعكس ذلك على الأداء الدعوي للفرد أو الجماعة.

أستاذ الشريعة الصومالي ينظر إلى الجماعـة مـن الجانب المضيء.. لكن علماء السعودية لا يرون في جماعة التبليغ والدعوة إلا شرا مطلقًا وشيطانًا رجيما.. ففـي عـام ١٣٨٢ هجرية أرسل الأمير خالد بن سعود رئيس الـديوان الملكي السعودي إلى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ يسأله الرأي في التماس رفعه إليه محمد عبد الحامد القادري وشاه أحمد نوراني وعبد السلام القادري وسعود أحمـد دهلـوي يطلبون فيه المساعدة في مشروع جمعيتهم التي أسموها كلية


الدعوة والتبليغ الإسلامية، وكذلك رأيه في الكتيبـات التـي نشرتها الجماعة.. وكان رد الشيخ محمد آل الشيخ أن هـذه الجمعية لا خير فيها، فهي جمعية بدعة وضـلالة وتشـتمل أفكارها على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبـادة القبـور والشرك وهو الأمر الذي لا يمكن السكوت عليه.

وهناك من يطعن في مسلك الجماعة ويعيب عليهـا سلبيتها ويعزي ذلك إلى أصل نشأتها في الهند والمعـروف عن الهنود المسلمين خصوصا في السنوات الأخيرة اعتيادهم الاستكانة والاستضعاف ورضوخهم كالـدجاج تحـت قهـر وسلطة الهندوس والسيخ، ومثل هـؤلاء تطبعـوا بـالخور وخفض الرءوس، ولذلك فقد أرادوا للدعوة تعالى مسـلكًا أثر فيه طبعهم الذي بات فيهم.. فهم لا يواجهون خصـومهم ولا يظهرون لهم مخالفتهم إياهم بـالرأي.. وهـم كـذلك لا ينهون عن منكر ولا يصرحون لأحد بإنكار أي منكر، بـل يعتبرون التصريح بالحديث عن بعـض المنكـرات ينـافي الحكمة والعقل.. كما أنهم يعتقدون في المنامات والكرامـات والحكايات والخرافات.. ورغم أن هذه فيها بعض المبالغـة، لكن الشباب الذين يخرجون للدعوة مع هذه الجماعة يتحدثون

عن خوارق تحدث لهم وعلى أيديهم.. بـل إنهـم يـدعون لأنفسهم القدرة على شفاء المرضى، وذلك من خلال الرقيـة الشرعية.. ويحكي أحدهم أنه خرج من عند أهلـه وأغلـق عليهم الباب وغاب عنهم أربعة شهور، ثم عاد إليهم فوجدهم على أحسن حال ولما سألهم عن ذلك قالوا لـه: إن عجـوزا كانت تدخل عليهم وتخدمهم بلا مقابل.. وكان يؤكد بعد ذلك أن ا يرضى عنه وعن علمه وعن جولاته من أجل الدعوة، ولذلك ساق إلى أهله هذه العجوز كي تخدمهم.

في دول الخليج الوضع مختلف بعض الشيء.. فتأثير الجماعة قوي للغاية، وقد يرجع ذلك إلى أن كثيرا من الهنود والباكستانيين يعملون في هذه الدول.. وقد كانت للصديق عبد الفتاح علي تجربة حية مع هذه الجماعة في دولة الإمارات.. ظل معهم عدة أشهر.. وخرج معهم في جولاتهم.. وسـجل ملاحظاته عليهم.. كان وقتها طالبا في المرحلـة الثانويـة.. ومن بين ما رصده عبد الفتـاح أن الجماعـة تجتهـد فـي استقطاب الشباب فهم قوتها ووقودها الذي به تسير.. ولهـا منهج في ذلك، فهي تركز على الشباب العابثين أو العصاة.. تدخل إليهم من باب ضرورة التوبة.. وإذا كانوا مغـرورين

بشبابهم وأن الحياة لا تزال أمامهم.. فإن الموت يأتي في أية لحظة.

من بين ما يؤخذ على الجماعة كذلك أنهم يغالون في التحريم ويرهقون أتباعهم.. فمن بين ما يقولونه أن الشاب إذا احتلم وهو نائم فلا يجب أن يقوم ليغتسل لأنه إذا سار وهو على جنابة فإن كل خطوة يخطوها يلعنه فيها سبعون ألف ملك.. ماذا يفعل إذن يا فقهاء الجماعة؟! يقولون لك: اجعل اثنين من إخوتك يحملانك حتى تصل إلى الحمام فتغتسل وتتطهر.. وهي صورة عبثية بالطبع ولا يقبلها الذوق الإنساني، ثم إن مبدأهم ذلك ليس صحيحا، والموقف النبوي الشريف يفسر لنا ذلك.. فيروى أن سيدنا أبا هريرة كان يسير بجوار النبي فناداه الرسول كي يجلس بجواره فرفض أبو هريرة متحججا بأنه جنب نجس ولا ينبغي أن يجلس بجوار النبي وهو على هذه الحالة.. فقال له الرسول ﷺ بحكمته أن المسلم لا ينجس.. بهذه الطريقة الراقية، كان يتعامل الرسول ﷺ مع أصحابه.. لكن فقهاء التبليغ والدعوة لا يفعلون ذلك رغم أن الرسول ينبغي أن يكون قدوتهم وراعي طريقهم.

في مصر وضع الجماعة يختلف كثيرا.. فلأنها نشأت بعيدا عن أرضها فليس لها حضور طاغ أو مؤثر في مصر – ربما حتى الآن - مثل جماعة الإخوان أو الجماعة الإسلامية.. لكن يبدو أن السنوات القادمة ستشهد تأثيرا قويا لهذه الجماعة.. بعد أن أصبح لها رموز وشيوخ وأتباع.. إن الحكومة لا تجد خطرا من جماعة التبليغ والدعوة.. فهي تضمن لهم على الأقل ألا ينخرط الشباب في السياسة، بل إنها على العكس من ذلك تماما، يمكن أن ترد الشباب عن معارضة الحكومة والغضب عليها، وفي ذلك غاية الطلب.. لكن ما لم تعلمه الحكومة أن الجماعة أصبحت تتجه اتجاها تكفيريا حادا.. فكل شيء عندهم حرام.. الموسيقى، والغناء.. والتليفزيون، بل إن أحدهم لو وقعت عيناه على التليفزيون ولو مصادفة فإنه يصوم أسبوعا كاملاً تكفيرا عن هذا الذنب.. المصائب تبدأ بهذه الطريقة، ويا ليت من يعنيهم الأمر يأخذون بالهم وحذرهم.

إن جماعة التكفير والهجرة تحاول استيعاب مئات الشباب من المصريين.. ولما كان القائمون عليها يعرفون أن الشباب المصري يعاني من مشاكل اقتصادية تطحن عظامهم.

فإنهم يدخلون لهم مما يسيل لعابهم ويجعلونهم يسـلمون دون مقاومة، وقد تسأل من أين تأتي هذه الجماعـة بأموالهـا؟!.. وما هي مصادر تمويلها.. لن نغالي ونقول أن الجماعة تتلقى تمويلاً خارجيا فهذا ليس معنا دليـل عليـه.. لكـن هنـاك مؤشرات عديدة تشير إليه.. فالشباب يسافرون إلـى الهنـد وباكستان ويعودون وقد تغيرت أحوالهم رغم أنهم لا يعملون شيئا إلا الدعوة.. فهم لا يعملون حتى نقول أن هذا أجرهم.. لكنهم ينقطعون للدعوة تماما وقد يظهر سؤال منطقي: لمـاذا تمول جهات معينة هذه الجماعة وهي لا تعمل في السياسـة ولا تريد أن تصل إلى الحكم.. وببساطة تأتي الإجابة فهنـاك جهات عديدة تريد أن تظل الأوضاع على ما هي عليـه، أن يهتم الناس بآخرتهم ويدوروا في فلك المعاصي، ثـم التوبـة ويتركون الدنيا لأهلها.. يفعل ذلك رجـال الأعمـال الـذين يتاجرون في كل شيء ولا يريدون أن يزاحمهم أحد، ويفعل ذلك سياسيون يريدون أن ينفذوا أفكارهم دون أن يعتـرض طريقهم أحد.. ويفعل ذلك أيضا علماء دين يلحون على إفقار تابعيهم رغم أنهم يركبون أغلى السيارات ويملكـون أعلـى الأرصدة في البنوك.. ولا يتورعون بعد ذلـك عـن وعـظ

الناس بالصبر على المكاره في الدنيا.. ففي الآخرة ينتظرهم النعيم المقيم.

لجماعة التبليغ والدعوة آراء عديـدة فـي القضـايا الاقتصادية المعاصرة، وتحديدا ما يتعلق منهـا بالنصـوص القرآنية والأحكام الثابتة، مثل ما يخص بعض المحرمات من الطعام والشراب أو ما يمس التعاملات المالية من ربا وفوائد بنكية.. فهي تأخذ منها مواقف عملية حاسمة واضحة دون أن تتوسع في الحديث عنها في أدبياتهـا النظريـة.. ويتحـرك أعضاء هذه الجماعة داخل مصر وخارجها في مجموعـات تتجول بالمدن والقرى ويأخذون عادة من المساجد الرئيسـية والكبرى في تلك القرى والمدن مقرا لإقامتها والانطلاق منها للتجول في الأسواق ومناطق التجمعات للقيام بتلك الـدعوة.. ومن المعتاد أثناء الجولات أن يحمل أعضاء تلك المجموعات معهم ما يكفيهم من طعام وشراب وأدوات.. ورغم أن الزهد هو الذي يجب أن يحكم تحركات وتصرفات هذه الجماعـة.. إلا أنهم يحملون معهم ما لذ وطاب.. ويغدقون على أتبـاعهم الكثير من الأموال.. وأنت معهم يمكن أن تأكل مـا تريـد.. وأن تحمل إلى بيتك ما تشاء.

ما يثير الانتباه أن مجموعات الجولة من جماعة التبليغ والدعوة يتوسعون في حركتهم إلى حد الذهاب إلى بلاد غير بلادهم.. وهنا يعود السؤال عن تمويلهم ليظهر مرة أخرى.. وما يمكن أن يقال حتى الآن أن أعضاء هذه الجماعة لا يعتزلون الأنشطة الاقتصادية والوظائف والمهن التي يقومون بها في مجتمعاتهم، بل يواصلون ممارستها ويقيمونها في أحيان كثيرة من دخول وريع تلك الأنشطة لصالح الجماعة، حيث يتم توجيهها واستخدامها في تمويل أنشطتها.. ولا يختلف هذا المسلك بين جماعات التبليغ والدعوة سواء في الهند وباكستان أو مصر أو حتى في بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا وبريطانيا.

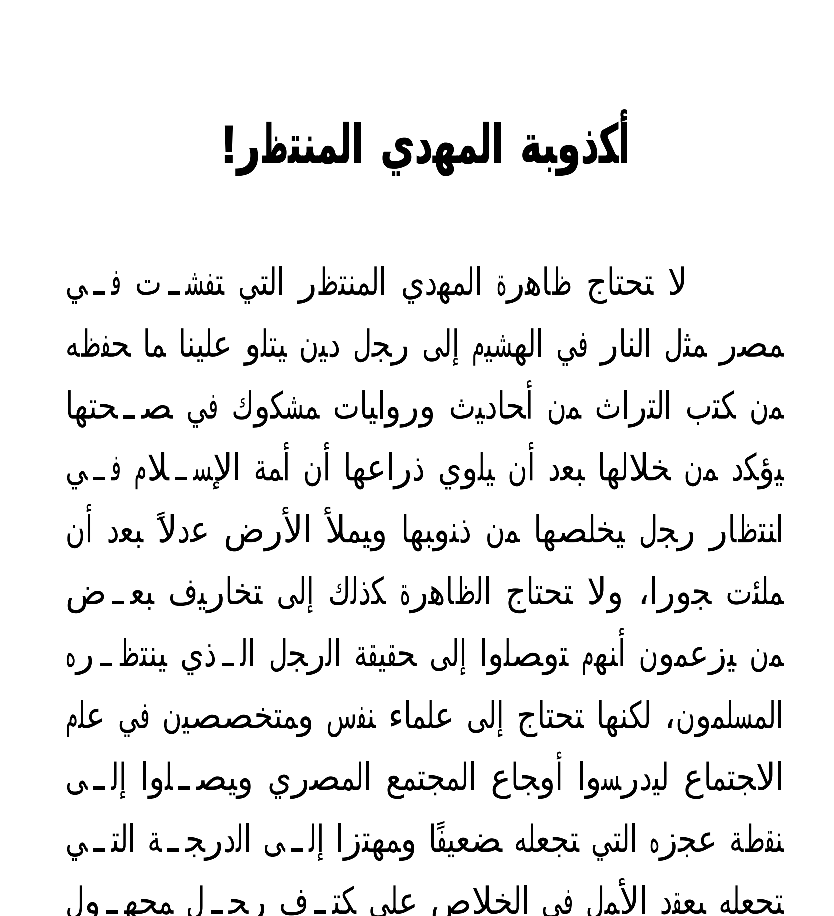
إنني لا أخشى على مصر من جماعة التبليغ والدعوة.. فأبناء هذا البلد قادرون على استيعاب كل الأفكار والتعامل مع كل الجماعات.. لكن ما أخشاه أن تتحول الجماعة – ويبدو أنها مشرفة على ذلك – إلى جماعة تكفيرية تعادي المجتمع وتريد أن تنتقم منه.. وساعتها سندفع جميعا الثمن.. إن القلق بدأ يتسرب إلى بعض البيوت المصرية مما يحدث لأبنائهم.. لا يعرفون كيف يتصرفون

ولا إلى أين يذهبون.. يتأملون مـا وصـل إليـه أبنـاؤهم ويتعجبون.. فالإسلام الذي يعرفون لا يضيق عليهم حيـاتهم ولا يعسرها عليهم ولا يحرم عليهم كل شـيء ولا يجعلهـم عازفين عن المشاركة في الدنيا ومتجهين إلى الآخرة.. دون أن يضعوا وصية الرسول ﷺ أمامهم: اعمل لـدنياك كأنـك تعيش أبدا.. واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا.

إن هذه الجماعة هادئة ووديعة.. لكن لا أحد يضمن ماذا يمكن أن يحدث غدا.. إنني لا أحرض علـيهم أحـدا.. لكني أريدهم أن يسيروا على طريـق الإسـلام الصـحيح.. الطريق الذي يتصالح مع الحياة ولا يخاصمها يسـتفيد مـن أبنائها ولا يتعامل معهم على أنهم مجـرد أشـياء.. طريـق الإسلام الذي يأخذ من روح الرسول ﷺ منهجـا وطريقـًا.. وليس الإسلام السطحي الذي يهتم بتوافه الأمور ويحشد نفسه لحروب ليست موجودة إلا في خيالات أصحابها فقط!

أكذوبة....

المهدي المنتظر



أكذوبة المهدي المنتظر!

لا تحتاج ظاهرة المهدي المنتظر التي تفشت في مصر مثل النار في الهشيم إلى رجل دين يتلو علينا ما حفظه من كتب التراث من أحاديث وروايات مشكوك في صحتها يؤكد من خلالها بعد أن يلوي ذراعها أن أمة الإسلام في انتظار رجل يخلصها من ذنوبها ويملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورا، ولا تحتاج الظاهرة كذلك إلى تخاريف بعض من يزعمون أنهم توصلوا إلى حقيقة الرجل الذي ينتظره المسلمون، لكنها تحتاج إلى علماء نفس ومتخصصين في علم الاجتماع ليدرسوا أوجاع المجتمع المصري ويصلوا إلى نقطة عجزه التي تجعله ضعيفًا ومهتزا إلى الدرجة التي تجعله يعقد الأمل في الخلاص على كتف رجل مجهول الملامح، وأغلب الظن أنه مجرد أسطورة صنعها الخوف من المجهول والشعور بالذنب، ثم العجز وعدم القدرة على مواجهة الأخطار التي تحيط بنا.

إن الحديث عن المهدي المنتظر يزدهر في الأوقات التي تكون فيها الأمة الإسلامية على شفا حفرة من الهلاك

والدمار، نتحدث عنه عندما تحيط بنا الأزمـات الاقتصـادية والسياسية.. باعتباره المنقذ من الهلاك.. ولأنه فـي نظرنـا البطل فإننا نضفي عليه من الصفات والملامح والقسمات مـا يرفعه لدرجة القديسين والأنبياء.. ولأننا أعطينا العقل أجازة، فإننا نحتفي بهذا الحديث ونفرد له المسـاحات مـن أوقاتنـا وصفحاتنا ونناقشه بجدية غريبة علينا، لقد اهتم المصـريون في الشوارع بموضوع المهدي المنتظر الذي ورد في برنامج تليفزيوني عابر أكثر من اهتمامهم بمؤامرة ضرب العـراق وسحق عظام أطفال فلسطين، وتحدثوا عنه أكثر مما تحدثوا عن رجال الأعمال الذين نهبوا البنوك وهربوا.

لم يختلف حديثنا عن المهدي المنتظر عـن ثرثـرة جلساء النميمة الذين اهتموا بشريط دينا الجنسي مع حسام أبو الفتوح.. ووفاة علاء ولي الدين المفاجئة.. فنحن فارغون جدا للدرجة التي تجعلنا نصدق كل شـيء.. ونلهـث وراء كـل شيء.. وكما رزقنا ا بمن يشـيعون أن ظهـور المهـدي المنتظر قد اقترب.. فإنه رزقنا كذلك بمن يدعون أنهـم هـم المهدي المنتظر بنفسه.. بشحمه ولحمه وأعصابه.

جاءني واحد منهم.. من العجمي بالإسكندرية اسـمه الأول أشرف وبقية الاسم أحتفظ به.. أصر إصرارا لا يقبـل الشك أنه المهدي المنتظر وأنه يملك من الأدلة ما يدعم كلامه ويؤكده.. كان كل حلمه أن يصل صوته إلى الرئيس.. لأنـه رأى رؤية صالحة وعلى حـد كلامـه صـادقة وواضـحة للرئيس.. وإذا ما تحققت فسيتم بها النصر للأمتين العربيـة والإسلامية دون حرب.

حاول مهدي الإسكندرية المنتظر أن يقابل الـرئيس، سلك لذلك كل السبل قابل شيخ الأزهر مرتين، وقـف أمـام مكتب ممدوح الليثي دون أن يجيبه أحـد، رفـض محـافظ الإسكندرية عبد السلام المحجوب أن يقابله عشـر مـرات، وأصبح سخرية لموظف مكتبه، وعندما قابـل وكيـل وزارة الأوقاف بالإسكندرية قال له ساخرا: "طب ادعـي لنـا يـا مولانا"، ذهب إلى المخابرات العامة بالإسكندرية، فقالوا لـه أنت تاني، وذهب إلى أمن الدولة فقالوا له: "كل ما نسـتطيع أن نقوله لك أنك عاقل جدا" في قصر عابدين الذي تردد عليه أربع مرات قالوا له: "روح العب بعيد بلا رؤية بـلا كـلام

فارغ"، وفي قصر القبة الذي تردد عليه أربع مـرات أيضـا تعامل معه الحرس بعنف.

لم ييأس مهدي الإسكندرية، ذهب إلى أسـاتذة قسـم الشريعة بحقوق الإسكندرية جلس مع د. مجدي شهاب عميد الكلية، ورجاه أن يتوسط شقيقه د. مفيد شهاب لدى الـرئيس حتى يقابله.. لكن د. مجدي لم يستجب له، حاول مقابلة وزير العدل، أرسل خطابات عديدة إلى د. أحمـد فتحـي سـرور رئيس مجلس الشعب.. لكنه لا يعلم هل وصلت الرسائل إليه أم ضلت الطريق.

فشل مهدينا في مقابلة رئيس الجمهورية.. لكنه ظـل على إصراره أنه هو المهدي.. ولذلك فقد بدأ في الدفاع عن شرعيته، اتصل بمؤلف كتاب "هرمجدون.. آخر بيان يا أمة الإسلام" وكتاب "عمر أمة الإسلام.. وقرب ظهور المهـدي المنتظر عليه السلام" ولم يستفد من هذا الاتصال شيئا إلا أن ضاعت عليه خمسة جنيهات التهمتها كابينة "ميناتل"، مؤلـف الكتابين يصر على أن اسم المهدي المنتظر هو محمد بن عبد ا .. وأن الحرب الفاصلة ستكون بـالخيول والسـيوف لأن

الكمبيوترات التي تعمل بها الطائرات والصواريخ ستتعطل بسبب ما، ولذاك سترجع الخيول للحرب.

ولأن مهدي الإسكندرية ليس اسمه محمدا، فقد قال لمؤلف كتاب "هرمجدون" إن العلماء أخطئوا في ذلك وأجمعوا على ذلك خطأ، كما أجمعوا على أن الحرب ستكون بالخيول والسيوف، ويؤكد مهدي الإسكندرية أن الحرب ستكون إعلامية عن طريق فيلم أوحى ا له بفكرته وأبعاده، فيلم يحارب به كل الكون، وسيراه العالم أجمع، وسيعرف العالم من خلاله بالدلائل المادية أن أعضاء الموساد هم مرتكبو أحداث ١١ سبتمبر، وقد فاتح المخرج محمد كامل القليوبي في فكرة هذا الفيلم.. لكنه تردد وارتبك ارتباكًا غريبا وتقطعت كلماته على لسانه وفر من أمام المهدي المنتظر خائفًا.

دفاع مهدي الإسكندرية عن حقه في فوزه باللقب جعله يستعين بحديث يقول أن أبا هريرة هو الذي رواه، يقول فيه الرسول ﷺ "ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي إليها، من "تشرف" لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذًا فليعذبه"، فمن

تشرف لها تستشرفه فهي كنية الاسم للمهدي، ولـذلك يـرى مهدي الإسكندرية أنه لا يستشف اسم محمد مـن "تشـرف" ولكن يستشف اسم أشرف.

المسألة أكبر من ذلك فأشرف مهدي الإسكندرية يقول أن المهدي الأمين يخرج ليحارب كل الكون، يجمعـون لـه الضالين والمغضوب عليهم والذين مردوا على النفاق، وهـن ممثلات من هوليوود يقمن ببطولـة الفـيلم الـذي سـيقدمه وسيدخل فيه حقائق ارتكاب الموساد لأحـداث ١١ سـبتمبر دون علم الممثلين بذلك، لأنهم ضـالون ومغضـوب عليـه ومردوا على النفاق!!

يعود أشرف مرة أخرى إلى فيلمه الذي أوحى له ا بفكرته.. فسيكتب الفيلم بشكل معين إلى أن يتم تصوير أكثر من نصفه، ثم تتغير به أحداث لا تخل بالمضمون الكلي، ثـم تدخل عليه مشاهد لا علم لأبطاله بها، حتى أن رسول ا ﷺ يقول في ذلك "تغزون أنتم والروم عدوا لكم ولهم اليهود من وراء ظهورهم فتغزون وتسلمون ويقول الرسـول: سـيكون هناك درة شديدة أثناء الغزو (أي الفيلم مـن وجهـة نظـر أشرف) وهي اعتراض أبطال الفيلم على اشتراك وجه جديد

معهم وهو المهدي.. ويستمر أشرف في تفسيراته الملتهبة أن الرسول قال: سينتهي الروم ويرجعون إلى بلادهم وفي نيتهم الغدر أي وفي نيتهم عدم عرض هذا الفـيلم فـي أمريكـا، وبالتالي ومع حذف المشاهد الهوليودية الصريحة في أثنـاء عرضه في البلاد العربية يصبح الفيلم بلا قيمة.

هل تريـدون المزيـد؟! يواصـل أشـرف مهـدي الإسكندرية كلامه عن فيلمه الذي سيحارب به الغرب، فعندما يغدر به الأمريكان.. فإنه سيكون قد أعد العدة كاملة لعرضه في البلاد العربية وبكل مشاهده الصريحة في حيز من العمر لا يقل عن ٢١ عاما، وقد أراه ا حلاً لهذا اللغز، ويستشهد في ذلك بما جاء في كتاب صلاح عيسى "حكايات من دفتـر الوطن".. عندما يرى في الكتاب صورة للنخاس وهو يعرض الجارية للمشتري وهي عارية كما ولدتها أمها وهي صـورة من صور التراث الإسلامي، وعليه فإذا كان ا أتاح للمسلم شرعا وليس قانونًا أن يشتري الجارية بعد أن يراهـا كمـا ولدتها أمها برؤى العين، وهو ليس حراما، فهل من الحـرام أن يراها بالقياس على شاشة السينما؟!

ويكشف مهدي الإسكندرية سبب إصراره على مقابلة الرئيس، من أن تحقيق رؤياه يحتاج إلى ٥٠ مليـون دولار لنصرة هذه الأمة على عدوها الصهيوني الذي ارتكب حادثة ١١ سبتمبر، ثم ألصقها بالمسلمين ظلما وعدوانًا، لقد تصدى أشرف لهذه المهمة، لأنه – كما يقول – المهدي المنتظـر.. فالمهدي نعم من نسل الرسول ﷺ، لكنه سـيكون مـن أرض مصر.

لم أعرض لكم حكاية مهدي الإسكندرية مـن بـاب التسلية.. ولكنها تأتي من باب الأسف لأنها تكشف إلـى أي منحدر هبطنا.. إن مهدي الإسكندرية ليس وحده الذي يدعي أنه المهدي المنتظر الذي يأتي خلاص الأمة علـى يديـه.. ولكن هناك آلاف ممن يعتقدون في أنفسهم أنهـم المهـديون المنتظرون.. وليس هذا غريبا.. بل طبيعي للغاية في زمـن غاب فيه العقل وأفسحنا الطريق للخرافات والأفكار الهلامية التي لا تقوم على قدمين ثابتتين.

إن فكرة المهدي المنتظر لا تعـدو فـي نظرنـا إلا ترجمة لحالة من العجز نعيشها وتسيطر علينا.. وحالة مـن التخلف جعلتنا أسرى لروايات افترى بهـا الـبعض علـى

الرسول ﷺ واستغلها بعض ضعاف النفوس والعقول وروجوا لفكرة البطل الذي سيخرج من رحم الغيب لينقذنا.. وللأسف الشديد فقد استجاب لذلك علماء الأزهر الشريف.. وعدد كبير من الكتاب الذي نصبوا سرادق لتعاطي الخرافة والنصب بها على خلق ا دون مراعاة لأية ذرة من ضمير.

أعرف أنه ليس عندنا من يمتلك جرأة مناقشة فكـرة المهدي المنتظر بتحرر علمي وموضعية وحيدة شديدة.. لكن يظل السؤال هو متى سيظهر من بين علمائنا مـن يحتـرم عقولنا.. من يقول لنا أن المهدي المنتظر مجرد معنى جميل نجده في داخلنا يأتينا من خارجنا.. ولكن نحن قادرون علـى أن ننتصر ونخرج من عجزنا، دون الحاجة إلى منقـذ مـن الخارج يضحك به علينا تجار العقول.. الذين يتربحون مـن الخرافات.

وطن في ضريح

وطن في ضريح

إذا فتحت رأس أي مواطن مصري ستجد فيه برامج تليفزيونية تافهة ومصاريف الدروس الخصوصـية وصـلاة التراويح وصوت أم كلثوم وإذاعة الشرق الأوسط وصـورة الشيخ الشعراوي وذنوبا بالكوم ارتكبها ودعـاء أن يغفرهـا ا .. وأوراق صحيفة صفراء ومشاهد سـاخنة مـن أغنيـة لنانسي عجرم وأبيات شعر من قصيدة لنزار قباني وجملـة بليغة من مقال لهيكل.. وشخصية غريبـة مـن شخصـيات نجيب محفوظ وحلما بأن يصبح غنيا وأمنية أن يقضي شهور الصيف في مارينا.. وكوب شاي وحجرين شيشة ولا مـانع من سيجارة بانجو ونكت في الغالب جنسية.. وإلى جوار ذلك كله يسكن رأس كل مواطن مصري.. ولي مـن أوليـاء ا الصالحين.

ولي يعتقد كل منا أنه قادر على حل جميع المشـاكل وإزالة كل الهموم.. فهم أهل ا الذين وهبوا أنفسـهم إليـه ولابد أن شفاعتهم ستكون مقبولة عند ا .. ولذلك لا يتـردد المصريون في أن يمرغوا وجوههم على أخشاب الأضـرحة

والدموع تبلل وجوههم.. فهم فقدوا الأمل في كل شيء ولـم يبق لهم سوى أولياء ا الواصلين.

منذ صغرى تشغلني صـورة الأوليـاء وقـدراتهم وكراماتهم.. وأسماؤهم.. لم يكن في قريتنا مولد لأحدهم على عادة القرى المصرية.. مرة واحدة أقيم مولد كبير اسـتغرق سبعة أيام لسيدي منصور الباز الذي كان يرقد قبـره علـى شاطئ النيل بجوار المسجد الكبير.. ولم يكن المولد من أجل عيون الولي الذي لا نعرف حتى الآن شيئا عـن نسـبه ولا حياته ولا من أين جاء وهل عاش بالفعل في بلدنا.. أم جاءها طائرا كما يروج البعض؟.. ولكن المولد أقيم عندا في شـيخ المسجد الذي خصص عددا من خطبه للحديث عـن حرمـة الموالد وعدم شرعيتها.. والذنوب التي ترتكب فيها.. كنا نقيم مولدا كل عام في ذكرى المولد النبوي يحييه أحد المـداحين المشهورين مثل الشيخ محمد عبد الهادي أو الشـيخ أحمـد مجاهد – فعاق شيخ الجامع عليه.. فتصدى له عدد من كبار البلدة وقالوا الشيخ غضب من مولد واحد.. فسنقيم له مولدين وليخبط رأسه في الحائط!

فرحت بمولد سيدي منصور البـاز.. مثلمـا فـرح غيري – لكني لم أنس أبدا ما قاله أحد المسئولين عن إقامـة المولد.. عندما أحضر أحد المريدين للشيخ منصـور – ولا أعرف من أين أتوا – كسوة من القماش الأخضر ليكسو بها القبر.. فأخذه منه المسئول عن المولد بعنف.. وقال له كسوة إيه.. وزفت إيه إنت فاكر إحنـا عملنـا المولـد ده عشـان منصور الباز بجد. ثم كان ما هو أكثر.. فقد سـمعت مـن بعض الحاضرين للمولد أنهم عنـدما أرادوا توسـيع قبـر منصور الباز وإعادة بنائه وجدوا في قبـره ثلاثـة جمـاجم لحمير.. ولم يكن بالقبر أي أثر لعظام إنسان.. قد يكون مـا قاله رواد المولد صحيحا لكني لم أره بعيني كما لم أر بعيني ما يقال في كل قرى مصر عن أن معظم الأضرحة الموجودة ليست لأولياء ا الصالحين.. ولكنها لحيوانـات ونصـابين وأفاقين.. أراد البعض أن يستثمرهم ويكسب من ورائهـم.. ليس إلا.

المصريون بحسهم الديني ورغم أنهم يستمعون إلـى هذه الشائعات.. لكنهم لا يتركونهـا تـؤثر فـيهم أو تشـوه علاقاتهم بأولياء ا الصالحين.. وهي العلاقة التـي جـذبت

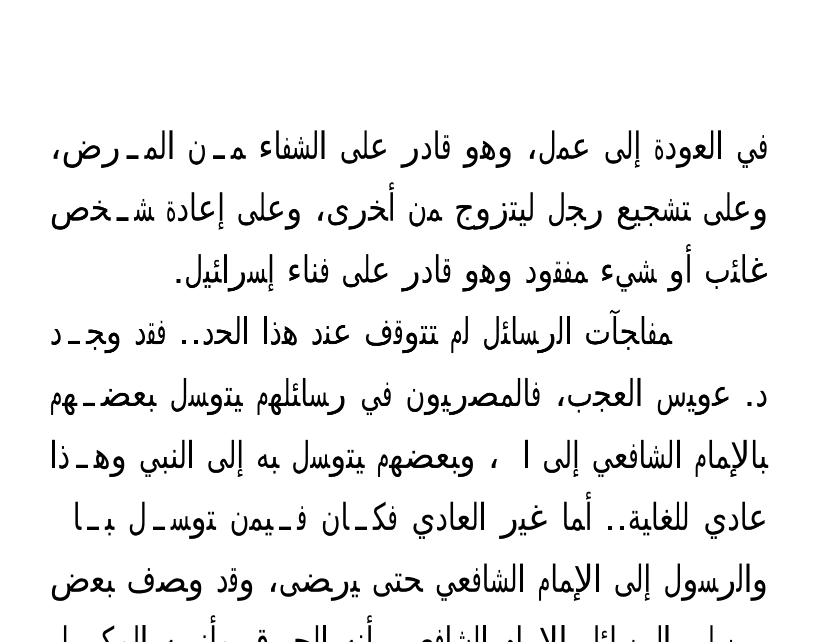
انتباه أحد الباحثين العظام في تاريخ مصـر وهـو د. سـيد عويس.. في عام ١٩٥٨ جمع د. عـويس الرسـائل التـي يرسلها المصريون إلى ضريح الإمـام الشـافعي بالبريـد.. أخضعها للدراسة.. وكانت النتائج مذهلة.

فالناس تخاطب الإمام الشافعي وكأنه شـخص حـي وذلك رغم مرور أكثر من ألف ومائتي سـنة.. وهـم فـي رسائلهم سواء في العناوين أو في بدايـة الرسـائل أو فـي خاتمتها يخلعون عليه في معظم الأحيان ألقاب التعظيم وكأنه شخص ذو سلطان يعيش بينهم، فهو عندهم صـاحب المقـام الرفيع وصاحب الموكب العظيم وصاحب السيادة والفضـيلة المحترم.. صاحب المجد والشـرف والسـيد تـاج الـرأس والمولى والسيد الذي يتمتع ببركاته وقاضي الشريعة.

ويعتقد المصريون أن الشافعي ورغم موته يعـرف كل شيء.. فالعارف لا يعرف.. بـل إن بعـض أصـحاب الرسائل لا يذكرون أسماء الذين يشتكون مـنهم للشـافعي.. فمؤكد أنه يعرف الظالمين والمظلـومين.. لأنـه ملهـم ذو بصيرة تخترق الحجب والأستار.. بل هناك ما هو أكثر مـن ذلك فبعض أصحاب الرسائل لا يذكرون موضوع الشـكاوى

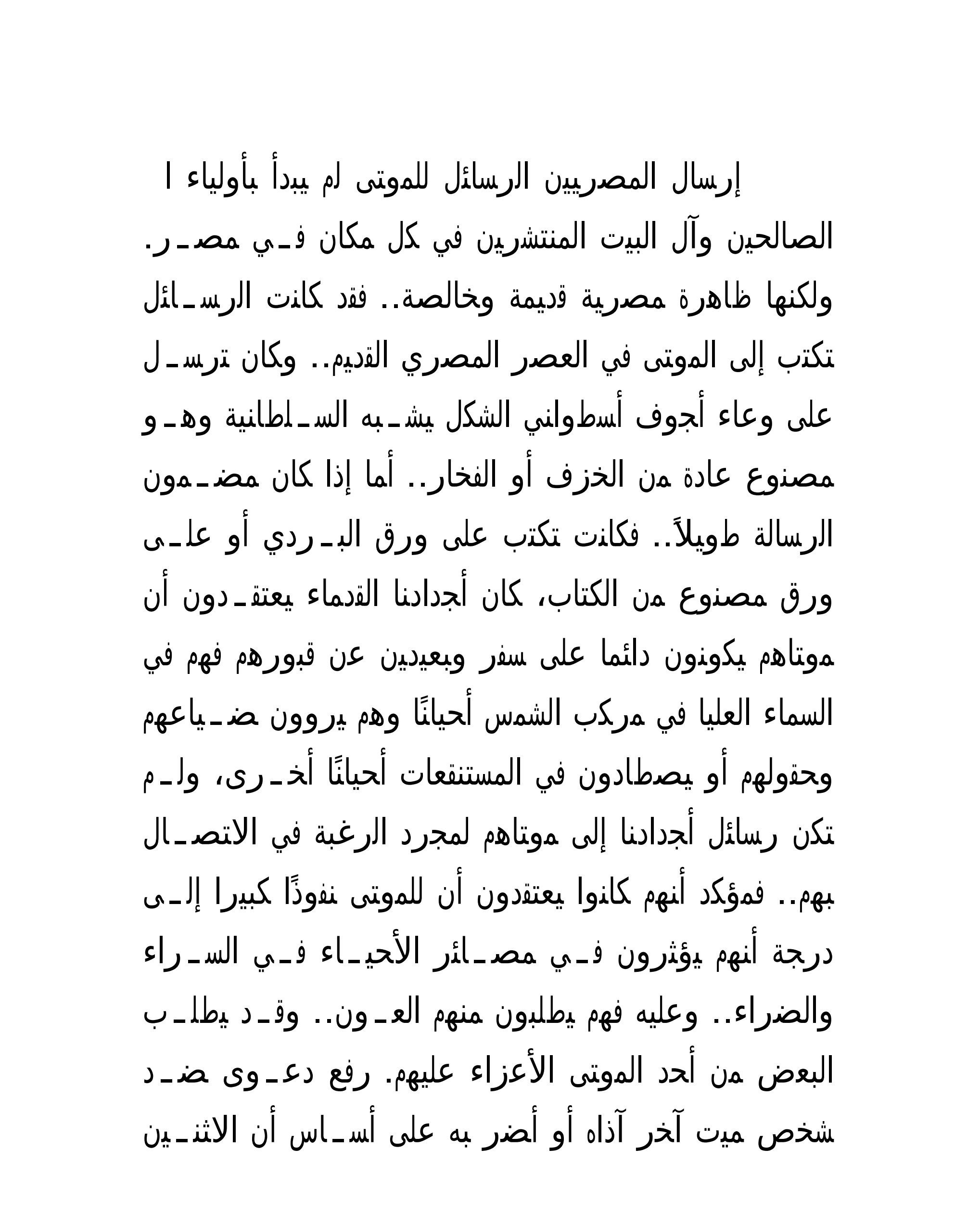
أو الطلب معتمدين على فراسة الإمام الشافعي وإلهامه.. فهو سيعرف مم يشتكون ومم يعانون.. هل تريدون ما هو أكثر.. إن بعض الذين كتبوا الشكاوى إلى الإمام الشافعي يصـرون على كتابة رسائلهم بكلام غير قابل للقراءة أو كلام لا يبـدو عليه شكل الكلام العربي أو تكون الكتابة مضغوطة استعمل فيها سن قلم ليس فيه حبر.. وكأن بينهم وبين الإمام الشافعي أسرارا رهيبة لا يريدون كشفها إلا له، فهم يخاطبونه بلغـة الأحاجي والألغاز أو بلغة أقرب ما تكون إلى لغة الشفرة.

والإمام الشافعي كما ظهر في الرسائل التي درسـها د. سيد عويس لديه قدرة هائلة على النظر في أنواع متعـددة من الشكاوى، فهو قادر على التصـدي للشـكاوى المتعلقـة بالاعتداء على الأمـوال، وفـي شـكاوى الاعتـداء علـى الأشخاص وفي الشكاوى المتعلقة بمشاكل الأسرة أو بمشاكل العمل.. ولا يقف المصريون في طلباتهم من الإمام الشافعي على الأشياء العامة.. بل إنهم يطلبون منـه أن ينـتقم لهـم وبشكل شخصي من أعدائهم بالعدل وأنه قادر على رفع الظلم الذي يحيق بهم، بل إنه قادر أيضا على نقل من يريـد مـن مكان إلى آخر، وعلى إجابة طلب من يريد عملاً أو يرغـب



في العودة إلى عمل، وهو قادر على الشفاء مـن المـرض، وعلى تشجيع رجل ليتزوج من أخرى، وعلى إعادة شـخص غائب أو شيء مفقود وهو قادر على فناء إسرائيل.

مفاجآت الرسائل لم تتوقف عند هذا الحد.. فقد وجـد د. عويس العجب، فالمصريون في رسائلهم يتوسل بعضـهم بالإمام الشافعي إلى ا ، وبعضهم يتوسل به إلى النبي وهـذا عادي للغاية.. أما غير العادي فكـان فـيمن توسـل بـا والرسول إلى الإمام الشافعي حتى يرضى، وقد وصف بعض مرسلي الرسائل الإمام الشافعي بأنه الحـق وأنـه الوكيـل المتصرف وأنه السيد الملاذ، وقد يخاطبه شـخص بقولـه: وحسبي ا وأنت الوكيل. وتعاتبه سيدة لأنه سبق أن أرسلت إليه ولم يخلص لها حقها ثم تحتج عليه وتقول له: "وإذا كان يخلصك كده يبقى بلاش تشرع بين الناس با عليك، بل إن أحدهم كتب إليه قائلاً: وأنا زعلان وصعبان علي من ا جل وعلا" وهو كلام يكشف مكانة الإمام الشافعي.. التي هي عند المصريين أعلى من مكانة ملوكهم وحكامهم الذين يبدون في النهاية عاجزين عن حل المشكلات البسيطة التي يتعرض لها المواطن العادي كل يوم في الشارع.



إرسال المصريين الرسائل للموتى لم يبدأ بأولياء ا
الصالحين وآل البيت المنتشرين في كل مكان فـي مصـر.
ولكنها ظاهرة مصرية قديمة وخالصة.. فقد كانت الرسـائل
تكتب إلى الموتى في العصر المصري القديم.. وكان ترسـل
على وعاء أجوف أسطواني الشكل يشـبه السـلطانية وهـو
مصنوع عادة من الخزف أو الفخار.. أما إذا كان مضـمون
الرسالة طويلاً.. فكانت تكتب على ورق البـردي أو علـى
ورق مصنوع من الكتاب، كان أجدادنا القدماء يعتقـدون أن
موتاهم يكونون دائما على سفر وبعيدين عن قبورهم فهم في
السماء العليا في مركب الشمس أحيانًا وهم يروون ضـياعهم
وحقولهم أو يصطادون في المستنقعات أحيانًا أخـرى، ولـم
تكن رسائل أجدادنا إلى موتاهم لمجرد الرغبة في الاتصـال
بهم.. فمؤكد أنهم كانوا يعتقدون أن للموتى نفوذًا كبيرا إلـى
درجة أنهم يؤثرون فـي مصـائر الأحيـاء فـي السـراء
والضراء.. وعليه فهم يطلبون منهم العـون.. وقـد يطلـب
البعض من أحد الموتى الأعزاء عليهم. رفع دعـوى ضـد
شخص ميت آخر آذاه أو أضر به على أسـاس أن الاثنـين

يسكنان في مدينة الموتى وأن الكتبة المتخصصين موجودون في نفس المدينة.

الظاهرة قديمة إذن.. لا تعني أن أولياء الله وأهل الحظوة من السادة الكبار يستعمرون المصريين ويحتلون عقولهم.. ولكن الموتى جميعا لهم نفس التأثير والمكانة عندنا.. ثم إن لنا طبيعة خاصة في التعامل مع الأولياء.. ليس الآن ولكن منذ أن عرف شيء اسمه الأولياء على وجه الأرض، فلن تجد شعبا أغرب من الشعب المصري فهو إن لم يجد ما يضحك عليه ضحك على نفسه، وإن لم يجد ما يسخر منه سخر من نفسه وجعلها عبرة، وإن لم يجد وليا يقدسه اخترع الولي وبنى له المقام وقدم إليه النذور والقرابين وطلب منه العفو والسماح والوساطة ليرضى الله ورسوله، يفعل المصريون ذلك بنفس راضية وبسعادة يحسدون عليها.. في كل مرة يكتشفون زيف ما فعلوه.. لكنهم لا يتراجعون فكلما مات لنا ولي بعثنا الروح في ولي آخر!

لا أجد تفسيرا علميا لذلك وإن كان التفسير الروحي أقرب فالناس في مصر عندما ييأسون من حياتهم يطلبون التغيير فلا يجدونه.. يشعرون بأزمة مالية خانقة لا مخرج

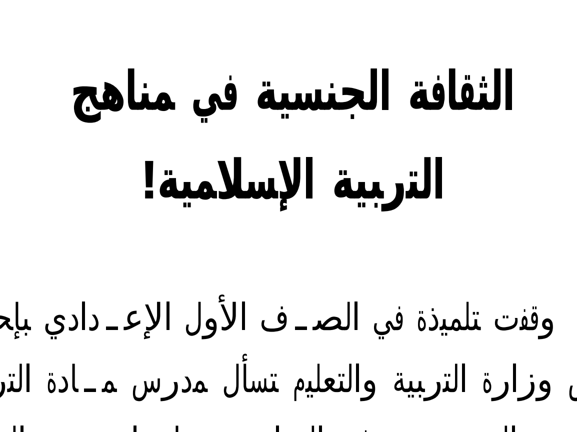
ولا منجى منها، تطاردهم أشباح الإفلاس والفشـل تـؤرقهم وعود الحكومة الكاذبة.. ينامون على مشـاكل ويسـتيقظون على هموم.. عندما تحاصرهم هذه الحياة يذهبون إلى الـدين ويولون وجوههم شطر أضرحة الأولياء.. يختارون الجلوس أمام أعتابهم علهم يجدون عندهم دواء شافيا.. ولا يمر ذلـك مرور الكرام إذ يستغله البعض.. فيبيعون للنـاس بضـاعة زائفة تسكن أوجاعهم بعض الوقت.. لكنها لا تشفيهم أبدا!

لست أرى في زيارة المصريين للأضرحة والوقوف على أعتاب الأولياء أية مخالفة.. وأشفق كثيـرا علـى مـن يطلقون على من يصلي في مسجد به ضريح أنـه كـافر.. فالمصريون مؤمنون للغاية – لا يشركون بربهم شيئا.. لكنهم يفعلون ذلك على طريقتهم الخاصـة.. وإذا حـدث وسـألت مصريا اعتصم بأحد الأضرحة.. لما تـذهب إلـى مسـجد الحسين أو مسجد السيدة زينب.. سيقول لك إنني أفعل ذلـك حتى أستريح.. لكي يستريح فقط لا أكثر ولا أقل من ذلـك.. فهل نلومه أو نكفره.. أرى ذلك شيئا يخاصم العقل..

الشيء المفزع والذي يجبرنا أن ننتبه إليه.. هـو أن الوطن كله الآن يتجه وبكل قوة إلى اللجوء إلى الأضرحة..

الحكومة عاجزة غير قادرة على إنقاذ نفسها مـن الكـوارث التي تحيط بها.. ملايين الشباب جالسون على المقـاهي بـلا عمل.. الفساد أصبح اللغة السائدة في مؤسسـات الدولـة.. شيوخ الدين جعلوا منه سبوبة تكسبوا منها علـى قـدر مـا استطاعوا.. ثم خرجوا يعايروننا بذنبونا وكأنهم بلا ذنـوب.. إن الفيضان الذي يصب في أضرحة الأولياء يؤكد أننا نعيش على الماضي.. نغوص فيه.. من حق أولياء ا الصـالحين علينا أن نجلهم ونضعهم على رءوسنا.. ونزورهم ونقرأ لهم الفاتحة ونطلب لهم الرحمة.. ثم نمضي لنكمل حياتنا.. التـي ينفعنا فيها ما نفعله.. لا ما نتوهمه.

الثقافة الجنسية.....
في مناهج التربية
الإسلامية!

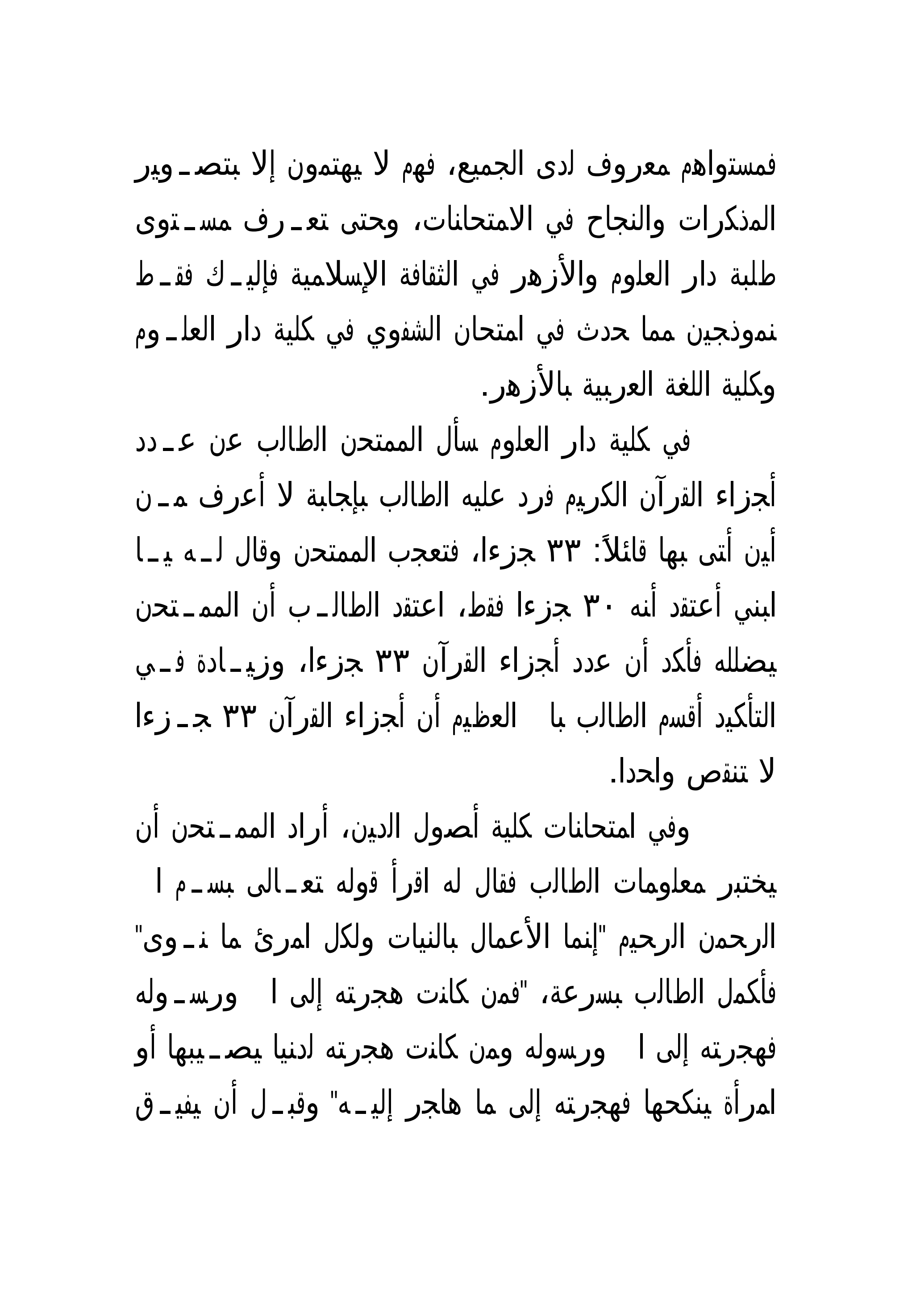


الثقافة الجنسية في مناهج التربية الإسلامية!

وقفت تلميذة في الصـف الأول الإعـدادي بإحـدى مدارس وزارة التربية والتعليم تسأل مدرس مـادة التربيـة الإسلامية، الذي يسمى في المدارس تجاوزا مدرس الـدين، قالت له يعني إيه "جنب" يا أستاذ؟ احمر وجه المدرس خجلاً وقال لها بغضب.. اقعدي يا بنت بلاش قلة أدب!

هذه الإجابة المخجلة لها أسباب عديدة، مدرس الدين واحد منها فقط، وليس كلها، فمدرسو التربية الإسلامية فـي مدارسنا في الغالب من خريجي كلية التربيـة، قسـم اللغـة العربية، وخريجو هذا القسم بالتحديد إما فشلوا فـي دخـول الأقسام المهمة في كليات التربية، مثل قسم اللغة الإنجليزية، أو أنهم كبروا دماغهم عن الدراسة فيدخلون قسما لا يحتـاج إلى تعب أو مجهود، فهم بأقل مذاكرة وأقل نسـبة حضـور يستطيعون أن يحصلوا على تقدير جيد.

إلى جانب خريجي التربية يأتي خريجـو كليـة دار العلوم وجامعة الأزهر الذين لا يحتاج مستواهم إلى تعليـق،



فمستواهم معروف لدى الجميع، فهم لا يهتمون إلا بتصـوير المذكرات والنجاح في الامتحانات، وحتى تعـرف مسـتوى طلبة دار العلوم والأزهر في الثقافة الإسلامية فإليـك فقـط نموذجين مما حدث في امتحان الشفوي في كلية دار العلـوم وكلية اللغة العربية بالأزهر.

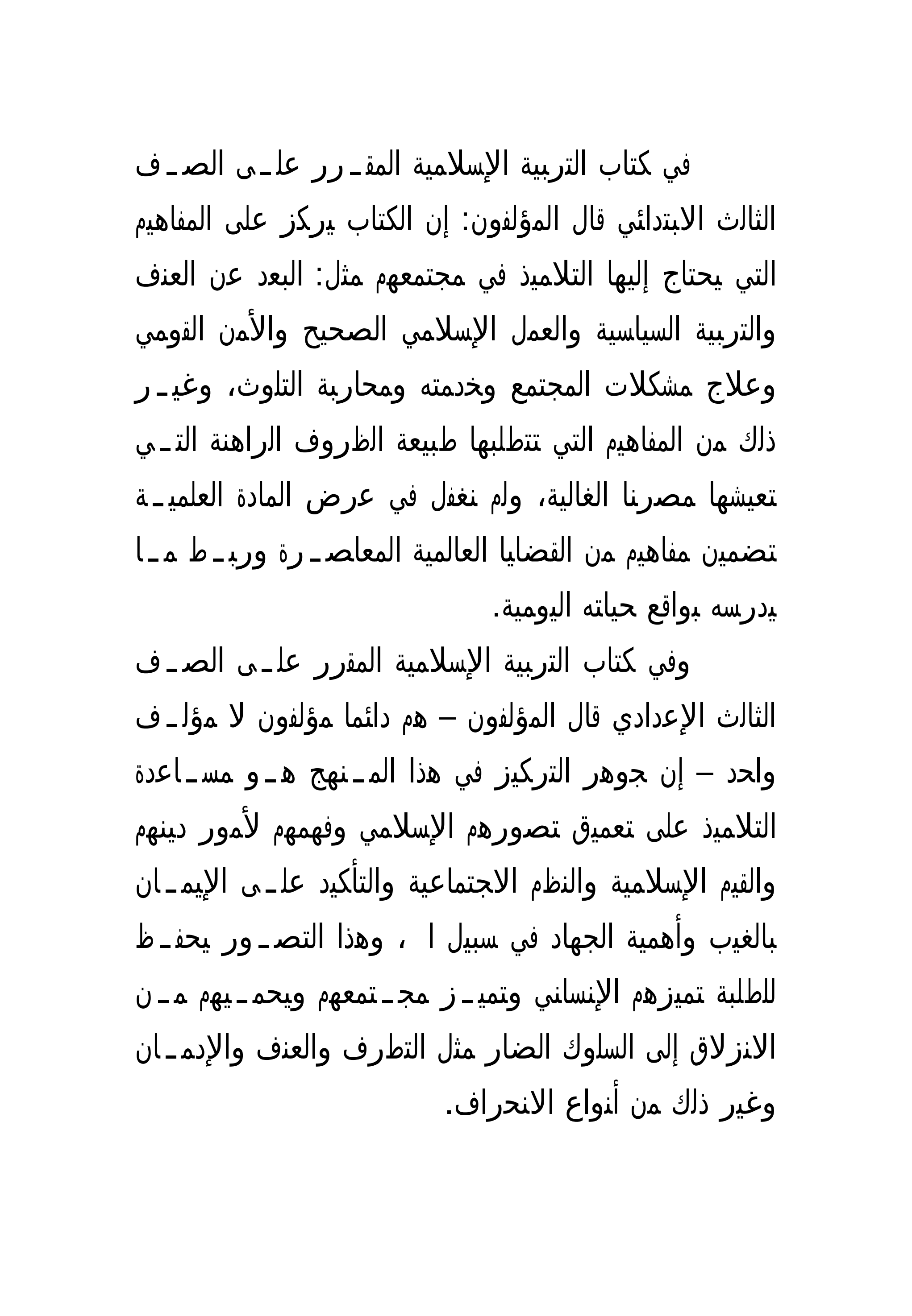
في كلية دار العلوم سأل الممتحن الطالب عن عـدد أجزاء القرآن الكريم فرد عليه الطالب بإجابة لا أعرف مـن أين أتى بها قائلاً: ٣٣ جزءا، فتعجب الممتحن وقال لـه يـا ابني أعتقد أنه ٣٠ جزءا فقط، اعتقد الطالـب أن الممـتحن يضلله فأكد أن عدد أجزاء القرآن ٣٣ جزءا، وزيـادة فـي التأكيد أقسم الطالب با العظيم أن أجزاء القرآن ٣٣ جـزءا لا تنقص واحدا.

وفي امتحانات كلية أصول الدين، أراد الممـتحن أن يختبر معلومات الطالب فقال له اقرأ قوله تعـالى بسـم ا الرحمن الرحيم "إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نـوى" فأكمل الطالب بسرعة، "فمن كانت هجرته إلى ا ورسـوله فهجرته إلى ا ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصـيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليـه" وقبـل أن يفيـق

الممتحن من دهشته إذا بالطالب يختم إجابته بصدق ا العظيم"، فهو لا يعرف الفرق بين الآية الكريمة والحديث الشريف.

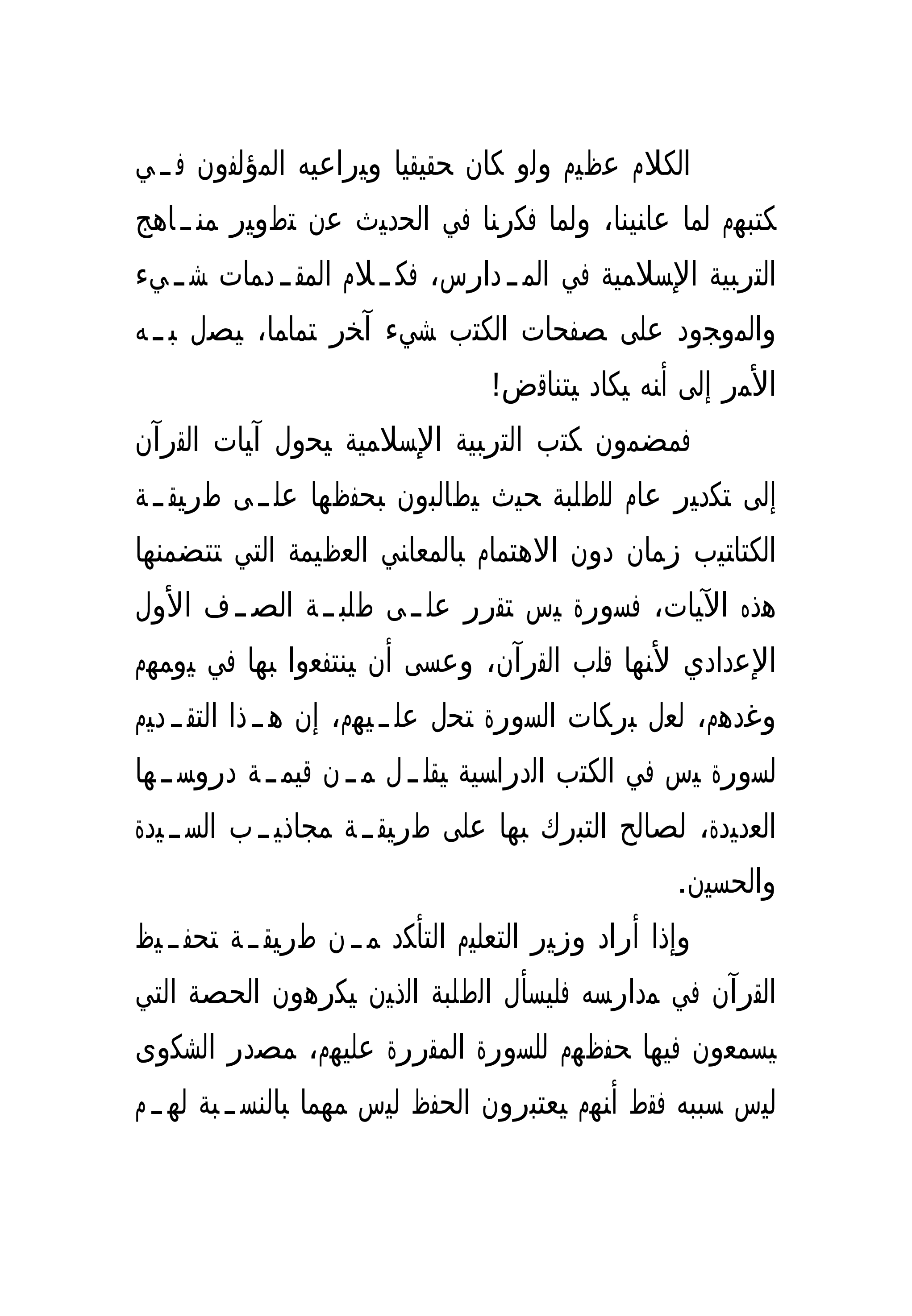
موقف ثالث قد يصل في طرافته إلى درجة النكتة، فقد وقفت إحدى المدرسات في مدرسة ابتدائية تقرأ للطلبة سورة الشرح بدأت القراءة (**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدرك * ووضعنَا عنك وزرك * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهرك * ورفَعنَا لَكَ ذِكْرك * فَإِن مع الْعسر يسرا * إِن مع الْعسر يسرا**) وبدلاً من أن تكمل المدرسة قراءة السورة قالت احذفوا فإن مع العسر يسرا الثانية لأنه خطأ مطبعي!

هذه ببساطة مواقف تكشف عن مستوى من يدرسون التربية الإسلامية في مدارسنا، لكن هل المدرسون هم المسئولون فقط عن تخريج طلبة جهلاء، لا يعرفون أحكام الإسلام في شئون حياتهم الخاصة، بالطبع لا، فالمناهج الإسلامية التي تدرس لتلاميذ وطلبة المدارس تعاني من السطحية الشديدة، مؤلفو هذه الكتب يكتفون فقط بتصدير مقدمات كتبهم بعبارات ضخمة وهذه أيضا مجرد أمثلة.



في كتاب التربية الإسلامية المقـرر علـى الصـف الثالث الابتدائي قال المؤلفون: إن الكتاب يركز على المفاهيم التي يحتاج إليها التلاميذ في مجتمعهم مثل: البعد عن العنف والتربية السياسية والعمل الإسلامي الصحيح والأمن القومي وعلاج مشكلات المجتمع وخدمته ومحاربة التلوث، وغيـر ذلك من المفاهيم التي تتطلبها طبيعة الظروف الراهنة التـي تعيشها مصرنا الغالية، ولم نغفل في عرض المادة العلميـة تضمين مفاهيم من القضايا العالمية المعاصـرة وربـط مـا يدرسه بواقع حياته اليومية.

وفي كتاب التربية الإسلامية المقرر علـى الصـف الثالث الإعدادي قال المؤلفون – هم دائما مؤلفون لا مؤلـف واحد – إن جوهر التركيز في هذا المـنهج هـو مسـاعدة التلاميذ على تعميق تصورهم الإسلامي وفهمهم لأمور دينهم والقيم الإسلامية والنظم الاجتماعية والتأكيد علـى الإيمـان بالغيب وأهمية الجهاد في سبيل ا ، وهذا التصـور يحفـظ للطلبة تميزهم الإنساني وتميـز مجـتمعهم ويحمـيهم مـن الانزلاق إلى السلوك الضار مثل التطرف والعنف والإدمـان وغير ذلك من أنواع الانحراف.



الكلام عظيم ولو كان حقيقيا ويراعيه المؤلفون في كتبهم لما عانينا، ولما فكرنا في الحديث عن تطوير مناهج التربية الإسلامية في المدارس، فكلام المقدمات شيء والموجود على صفحات الكتب شيء آخر تماما، يصل به الأمر إلى أنه يكاد يتناقض!

فمضمون كتب التربية الإسلامية يحول آيات القرآن إلى تكدير عام للطلبة حيث يطالبون بحفظها على طريقة الكتاتيب زمان دون الاهتمام بالمعاني العظيمة التي تتضمنها هذه الآيات، فسورة يس تقرر على طلبة الصف الأول الإعدادي لأنها قلب القرآن، وعسى أن ينتفعوا بها في يومهم وغدهم، لعل بركات السورة تحل عليهم، إن هذا التقديم لسورة يس في الكتب الدراسية يقلل من قيمة دروسها العديدة، لصالح التبرك بها على طريقة مجاذيب السيدة والحسين.

وإذا أراد وزير التعليم التأكد من طريقة تحفيظ القرآن في مدارسه فليسأل الطلبة الذين يكرهون الحصة التي يسمعون فيها حفظهم للسورة المقررة عليهم، مصدر الشكوى ليس سببه فقط أنهم يعتبرون الحفظ ليس مهما بالنسبة لهم

لأنه ليس عليه درجات تضاف إلى نتيجتهم آخر العام، ولكن سببه أيضا أن المدرسين يبالغون في عقاب الطلبة الـذين لا يحفظون.

إن تدريس القرآن في المـدارس يجـب ألا يكـون متعسفًا، يهتم بروح الآيات وعطاءاتها، أكثر مـن الاهتمـام بالألفاظ التي قد لا يفهمها الطلبة، لأن من يقـوم بالتـدريس أساسا لا يفهم هذه الألفاظ، ولا يعرف تفسيرها، لا كما جـاء في كتب التفسير الكبيرة ولا حتـى فـي كتـب الـوزارة، فالمدرسون لا يقرءون يا وزير التعليم.

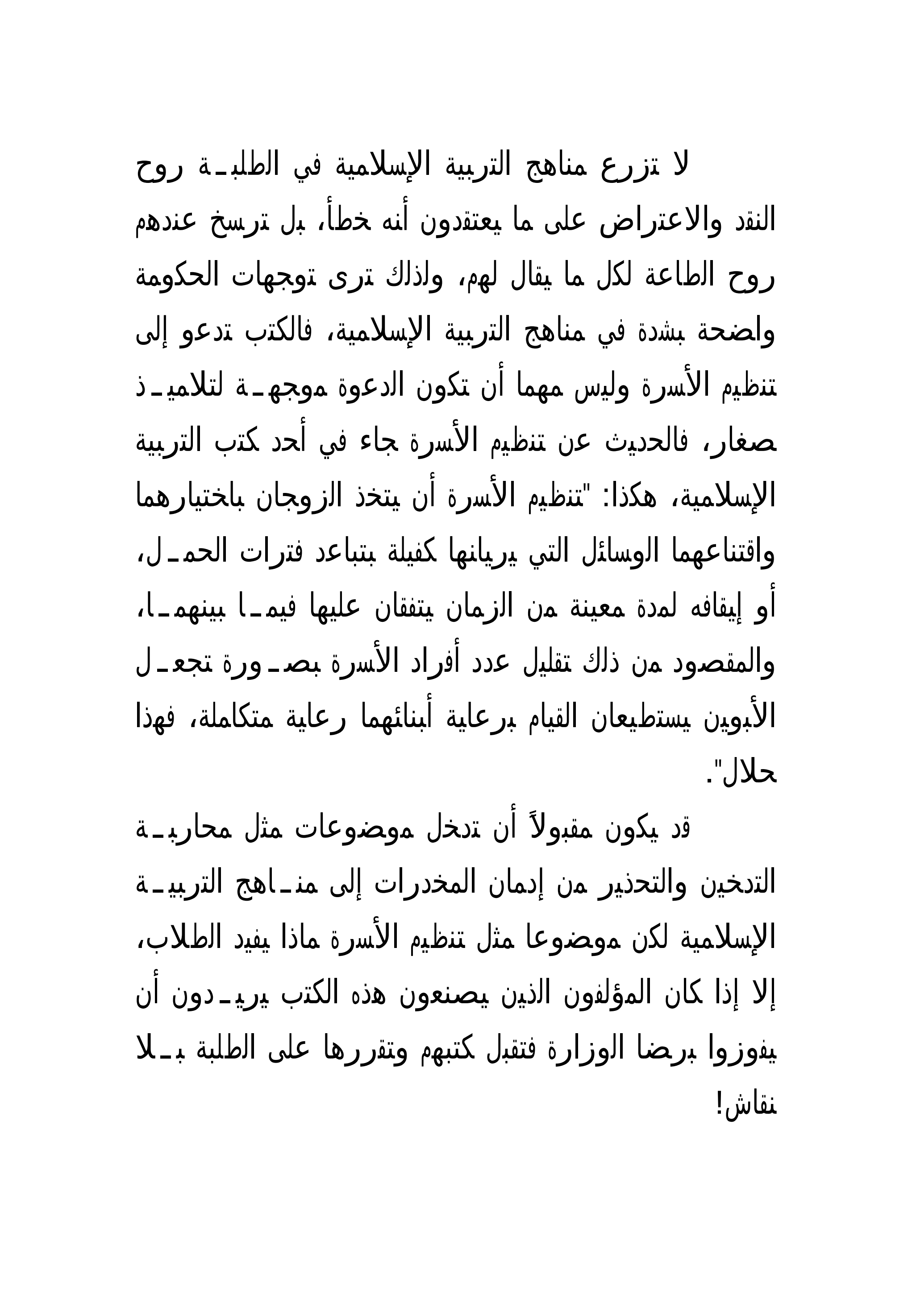
لا تفصل كتب التربية الإسلامية في مدارسـنا بـين معنى الجهاد الحقيقي في سبيل ا ومعنى الجهاد في سـبيل غيره فهي تعلمهم أن الجهاد واجب ديني، ولكنها لا تقول لهم متى وأين، ولذلك يسهل بعد ذلك أن يتم استقطاب الطلبة من قبل أي جماعة متطرفة وتجنيدهم للجهاد في سبيل ا ، حتى لو كان هذا الجهاد قتل الضحايا والأبرياء والأطفال الذين لا حول لهم ولا طول.

ورغم أن مدرسي التربية الإسلامية يعلمون الطلبـة ضرورة الإيمان بالغيب على اعتبار أنه أصل مـن أصـول

العقيدة الإسلامية، فإنهم يعلمونهم التغييب لا الغيـب، وذلـك بالتركيز على قدرات الجن الذي يستطيع أن يسكن الإنسـان بسهولة إذا غفل عن ذكر ا .

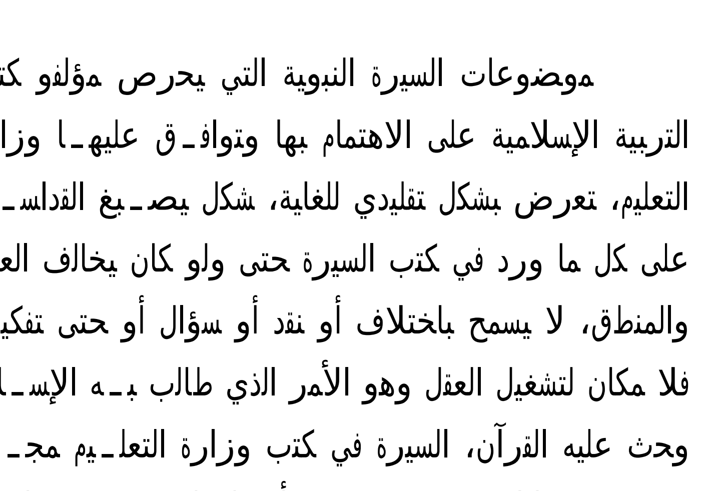
مدرسة بإحدى المدارس الثانوية كانت تهتم بالحديث عن الأرواح وتحضيرها والاستعانة بها في معرفة الغيب، بل ذهبت إلى أكثر من ذلك عندما حاولت إقناع الطلبة بأن هناك زواجا يحدث بين الإنس والجن بلا أدنى مشـاكل، التركيـز على هذا الجانب يخلق طلبة مشوهين عقليا، يمكن أن يقادوا بسهولة، فهم يسمعون أن الدين يدعو إلى العلم كشعار، لكـن في التطبيق يحدث العكـس، فـلا حـديث إلا عـن الجـن والخزعبلات.

لقد أثبتت معظم الدراسـات التـي أجريـت علـى المترددين على الدجالين وأوكار الشعوذة أن عددا كبيرا منهم من المتعلمين والحاصلين على شهادات عليا، والأمر لـيس غريبا على الإطلاق فجذور التغييب عند هؤلاء المتعلمين تبدأ من المدارس وتحديدا من مناهج التربية الإسلامية، التي تعلي من قيمة الغيبيات وتحديدا عالم الجن وما يحـدث فيـه مـن معجزات وخوارق.



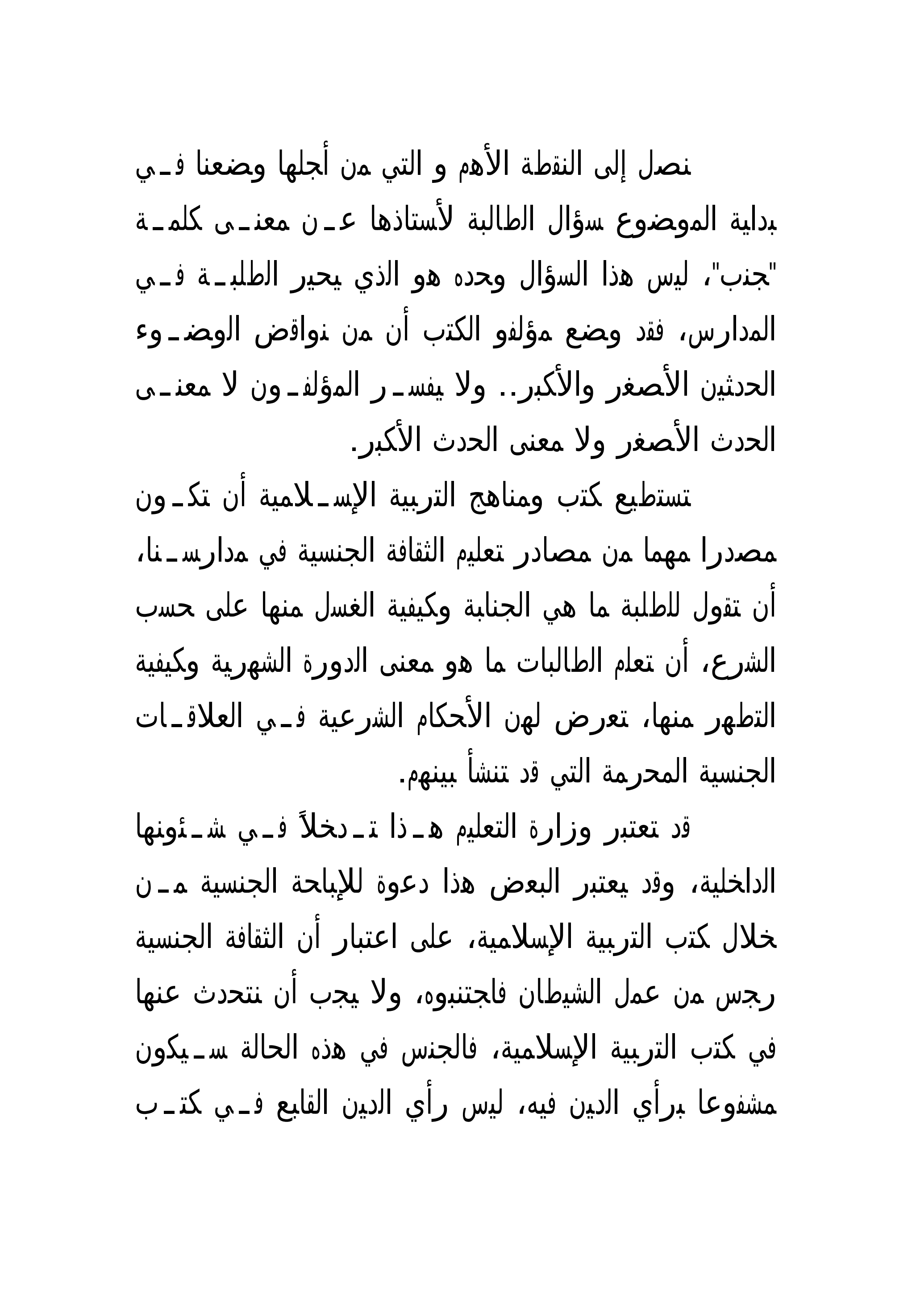
لا تزرع مناهج التربية الإسلامية في الطلبـة روح النقد والاعتراض على ما يعتقدون أنه خطأ، بل ترسخ عندهم روح الطاعة لكل ما يقال لهم، ولذلك ترى توجهات الحكومة واضحة بشدة في مناهج التربية الإسلامية، فالكتب تدعو إلى تنظيم الأسرة وليس مهما أن تكون الدعوة موجهـة لتلاميـذ صغار، فالحديث عن تنظيم الأسرة جاء في أحد كتب التربية الإسلامية، هكذا: "تنظيم الأسرة أن يتخذ الزوجان باختيارهما واقتناعهما الوسائل التي يريانها كفيلة بتباعد فترات الحمـل، أو إيقافه لمدة معينة من الزمان يتفقان عليها فيمـا بينهمـا، والمقصود من ذلك تقليل عدد أفراد الأسرة بصـورة تجعـل الأبوين يستطيعان القيام برعاية أبنائهما رعاية متكاملة، فهذا حلال".

قد يكون مقبولاً أن تدخل موضوعات مثل محاربـة التدخين والتحذير من إدمان المخدرات إلى منـاهج التربيـة الإسلامية لكن موضوعا مثل تنظيم الأسرة ماذا يفيد الطلاب، إلا إذا كان المؤلفون الذين يصنعون هذه الكتب يريـدون أن يفوزوا برضا الوزارة فتقبل كتبهم وتقررها على الطلبة بـلا نقاش!



موضوعات السيرة النبوية التي يحرص مؤلفو كتب التربية الإسلامية على الاهتمام بها وتوافق عليها وزارة التعليم، تعرض بشكل تقليدي للغاية، شكل يصبغ القداسة، على كل ما ورد في كتب السيرة حتى ولو كان يخالف العقل والمنطق، لا يسمح باختلاف أو نقد أو سؤال أو حتى تفكير، فلا مكان لتشغيل العقل وهو الأمر الذي طالب به الإسلام وحث عليه القرآن، السيرة في كتب وزارة التعليم مجرد مجموعة حكايات تروى، صحيح أن المؤلفين يهتمون بإبراز الدروس المستفادة، مرة من هجرة الرسول ومرة من الغزوات الكثيرة في الإسلام.

بعض الكتب تبرز دروسا لها قيمة مثل درس الاستعانة بالخبراء المختصين في الهجرة، فقد استعان الرسول بعبد ا بن أريقط مع أنه مشرك لأنه خبير بالصحراء ومسالكها والسير فيها، لكن للأسف الشديد تضيع قيمة هذه الدروس، لأنه لا يوجد اهتمام كاف بحصة التربية الإسلامية التي يتم السطو عليها غالبا لصالح حصص المواد الأخرى، فالطلبة يستهينون بحصص التربية الإسلامية والمدرسون أيضا!



نصل إلى النقطة الأهم و التي من أجلها وضعنا في بداية الموضوع سؤال الطالبة لأستاذها عن معنى كلمة "جنب"، ليس هذا السؤال وحده هو الذي يحير الطلبة في المدارس، فقد وضع مؤلفو الكتب أن من نواقض الوضوء الحدثين الأصغر والأكبر.. ولا يفسر المؤلفون لا معنى الحدث الأصغر ولا معنى الحدث الأكبر.

تستطيع كتب ومناهج التربية الإسلامية أن تكون مصدرا مهما من مصادر تعليم الثقافة الجنسية في مدارسنا، أن تقول للطلبة ما هي الجنابة وكيفية الغسل منها على حسب الشرع، أن تعلم الطالبات ما هو معنى الدورة الشهرية وكيفية التطهر منها، تعرض لهن الأحكام الشرعية في العلاقات الجنسية المحرمة التي قد تنشأ بينهم.

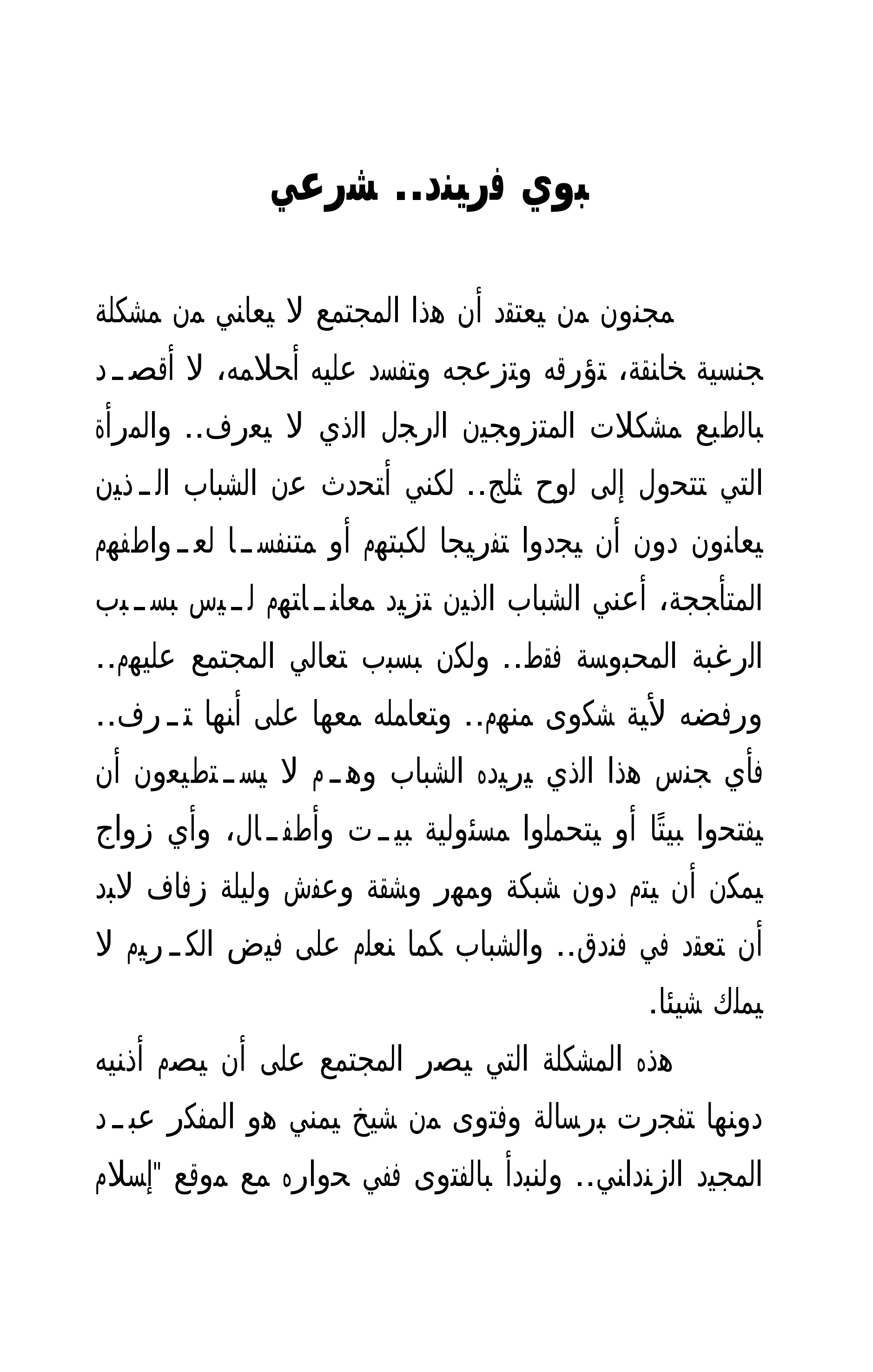
قد تعتبر وزارة التعليم هذا تدخلاً في شئونها الداخلية، وقد يعتبر البعض هذا دعوة للإباحة الجنسية من خلال كتب التربية الإسلامية، على اعتبار أن الثقافة الجنسية رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه، ولا يجب أن نتحدث عنها في كتب التربية الإسلامية، فالجنس في هذه الحالة سيكون مشفوعا برأي الدين فيه، ليس رأي الدين القابع في كتب

التراث التي تحرم كل شيء، ولكن رأي الدين علـى ضـوء الاجتهادات الحديثة في الدين!

إن تخلي كتب التربية الإسلامية عن توضيح الأمور الجنسية الصغيرة يجعل الطلبة يسـتعينون بـزملائهم فـي تعليمهم كل ما يسمعونه عن الجـنس المجهـول، فتلاميـذ المدارس لا يطمعون في معرفة شيء عن الأوضاع الجنسية حاشا ، ولا يريدون أن نحدثهم في المدارس عن المنشطات الجنسية، لكنهم يريدون أن يعرفوا معنى الكلمات الغامضـة التي ترد بين السطور مثـل "جنـب" و"الجمـاع" و"الـدورة الشهرية"... ونعتقد أن الحديث عن هذه الكلمات ليس عيبـا ولا قلة أدب، خاصة إذا كان الكلام على مقاس الـدين كمـا تريد وزارة التعليم.

بوي فريند....

شرعـــــــي



بوي فريند.. شرعي

مجنون من يعتقد أن هذا المجتمع لا يعاني من مشكلة جنسية خانقة، تؤرقه وتزعجه وتفسد عليه أحلامه، لا أقصد بالطبع مشكلات المتزوجين الرجل الذي لا يعرف.. والمرأة التي تتحول إلى لوح ثلج.. لكني أتحدث عن الشباب الذين يعانون دون أن يجدوا تفريجا لكبتهم أو متنفسا لعواطفهم المتأججة، أعني الشباب الذين تزيد معاناتهم ليس بسبب الرغبة المحبوسة فقط.. ولكن بسبب تعالي المجتمع عليهم.. ورفضه لأية شكوى منهم.. وتعامله معها على أنها ترف.. فأي جنس هذا الذي يريده الشباب وهم لا يستطيعون أن يفتحوا بيتًا أو يتحملوا مسئولية بيت وأطفال، وأي زواج يمكن أن يتم دون شبكة ومهر وشقة وعفش وليلة زفاف لابد أن تعقد في فندق.. والشباب كما نعلم على فيض الكريم لا يملك شيئا.

هذه المشكلة التي يصر المجتمع على أن يصم أذنيه دونها تفجرت برسالة وفتوى من شيخ يمني هو المفكر عبد المجيد الزنداني.. ولنبدأ بالفتوى ففي حواره مع موقع "إسلام

أون لاين" قال الزنداني أنه يمكن للمسلمين خلق صلة زوجية جديدة تحت اسم "زواج فريند" بدلاً من نظام "جيرل فريند" الموجود في الغرب، ويمكن للشاب والشابة من خلال هذه الصلة الزوجية الجديدة أن يرتبطا بعقد زواج شرعي دون أن يمتلكا بيتًا يأويان إليه، إذ يكتفي في البداية بأن يعود كل منهما إلى منزل أبويه بعد اللقاء.

كان الشيخ الزنداني يوجه كلامه إلى العلماء والباحثين المسلمين الذين يعيشون في الغرب، وقد قدم لهم هذا الحل حتى يساعدوا به الشباب المسلم في الغرب على أن يلتزم بالأخلاق الإسلامية وقد أوصاهم بأن يطوروا "فقه الأقليات" على أن يكون أساس التطوير هو التيسير على الناس وتفهم خصوصية المكان والزمان اللذين يعيشون فيهما.

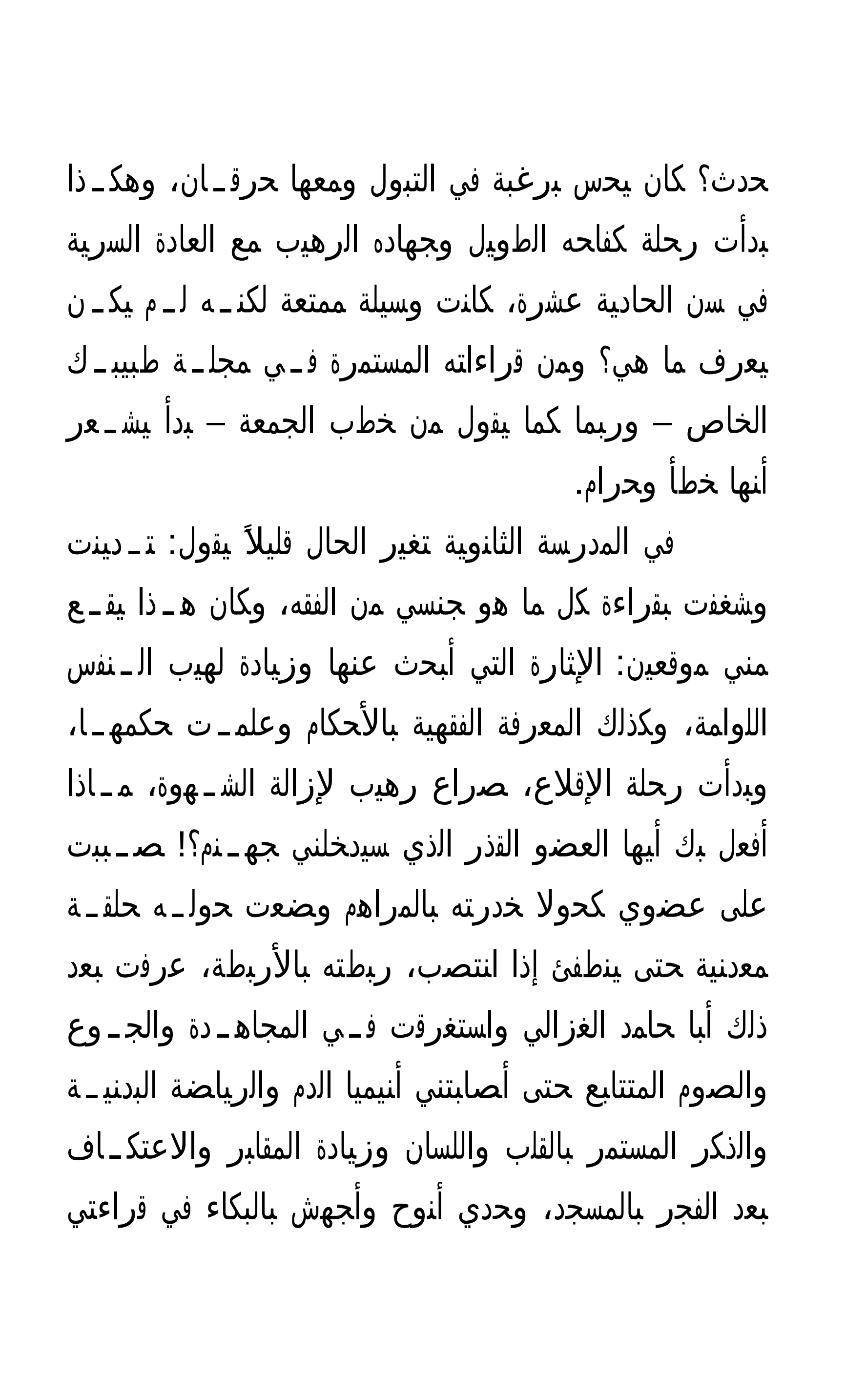
اقتراح الزنداني أو فتواه التي وجهها إلى مسلمي الغرب – لابد أن ننقله بحذافيره إلى العالم العربي والإسلامي كله.. وهو إجراء تفرزه المشاكل العديدة التي يعاني منها الشباب.. الذين يمتلكون الرغبة لكنهم لا يمتلكون شقة ومالا.. ومن بينهم هذا الشاب الذي أرسل برسالة إلى الموقع

نفسه وتجعلنا نقف بقوة خلف اقتراح الزنداني.. لكن قبـل أن نفسر كيف يمكن أن نقف وراء هذه الفتوى.. ما رأيكـم أن نعرض لتفاصيل رسالة الشاب المصري المسلم الذي يبلغ من العمر ثلاثين عاما ويعاني من مشكلة جنسية طاحنة.

في زاوية مشاكل وحلول الشباب التي يشرف عليهـا د. أحمد عبد ا .. يقول الشاب المصري:

أنا شاب مسلم مصري على أعتاب الثلاثين، بـدأت خبرتي بالجنس منذ كنت صغيرا أنام على فراش والدي، ولا تزال صورة أبي وأمي في علاقتهمـا الخاصـة حيـة فـي ذاكرتي، وكنت ابن الثلاث أو الأربع سنوات، ولا أزال أذكر ما كنت أفعل من قفزي على السرير، وأنا يدي على كتفـي أمي وهي واقفة على الأرض أمامي وأقول لها: أنا أريـد أن أعمل مثل أبي "وكذلك تجسسي بأذني من وراء الباب عليهما وعدم ردع أي من إخوتي الكبار لي".

ويذكر الشاب المصري في رسالته الليلة التـي بلـغ فيها مبلغ الرجال بشكل إرادي، كان عائدا من السينما ووجد شابا لا يعرفه أهداه إحدى النصائح الجنسـية فعمـل بهـا.. وبعدها أحس أن الأرض ترتجف تحته مع عدم معرفته ماذا



حدث؟ كان يحس برغبة في التبول ومعها حرقان، وهكذا بدأت رحلة كفاحه الطويل وجهاده الرهيب مع العادة السرية في سن الحادية عشرة، كانت وسيلة ممتعة لكنه لم يكن يعرف ما هي؟ ومن قراءاته المستمرة في مجلة طبيبك الخاص – وربما كما يقول من خطب الجمعة – بدأ يشعر أنها خطأ وحرام.

في المدرسة الثانوية تغير الحال قليلاً يقول: تدينت وشغفت بقراءة كل ما هو جنسي من الفقه، وكان هذا يقع مني موقعين: الإثارة التي أبحث عنها وزيادة لهيب النفس اللوامة، وكذلك المعرفة الفقهية بالأحكام وعلمت حكمها، وبدأت رحلة الإقلاع، صراع رهيب لإزالة الشهوة، ماذا أفعل بك أيها العضو القذر الذي سيدخلني جهنم؟! صببت على عضوي كحولا خدرته بالمراهم وضعت حوله حلقة معدنية حتى ينطفئ إذا انتصب، ربطته بالأربطة، عرفت بعد ذلك أبا حامد الغزالي واستغرقت في المجاهدة والجوع والصوم المتتابع حتى أصابتني أنيميا الدم والرياضة البدنية والذكر المستمر بالقلب واللسان وزيادة المقابر والاعتكاف بعد الفجر بالمسجد، وحدي أنوح وأجهش بالبكاء في قراءتي

للقرآن، وصراخي وتبتلي أن يرفع عني ا بأس شهوتي المشتعلة كالبركان المحموم!

لا يذكر صديقنا البائس كم مرة خبط رأسه في الحائط من فرط غيظه وبكائه وندمه على سقوطه في الاستمناء، لكم بقضبته الحائط، عض على يديه، ولا يذكر كم مرة تصدق بالمسجد، ولا كم مرة سهر يقوم الليل ويقرأ من المصحف ويبكي ووالده يتعجب وينهره حتى يستطيع الذهاب إلى المدرسة مبكرا، اقترب من التيار الإسلامي في المدرسة.. عاش أفضل أيام حياته، ذاق حلاوة القرآن ولذة المجاهدة ولذة الصبر المؤلم جسديا أول الأمر المريح قلبيا آخره.. حتى ترك العادة السرية تركها وهو يعرف نفسه شابا متأجج العواطف والمشاعر.

كان يصوم يومين في الأسبوع وعندما يأكل يقوم قبل أن يشبع، حباه ا نعمة غض البصر بقوة ومتعة، لكن عندما التحق بالجامعة استمرت معاناته وعاد للعادة السرية وفي الجيش زادت مشاكله وإن كان الضغط النفسي المضاعف أدى إلى زيادة الممارسة وتم ذلك أيضا بفعل ما سمع من قصص من رفاقه عن مغامراتهم الجنسية.

والآن يقول صاحبنا: مازلت متعبا أفوز على نفسـي مرة وأخسر أخرى في انتظار الزوجة الصـالحة، مشـكلتي ترجع جذورها إلى الإعدادي.. فقد كنـت ولازلـت أسـعى لتعديد مصادر اللذة والمتعة الجنسية في الجسم وهو ما دفعني لمحاولة الوصول إلى القذف من خلال الحلمتين دون المشاكل الجسمية المترتبة على الوصول إليها بالشكل الطبيعي.

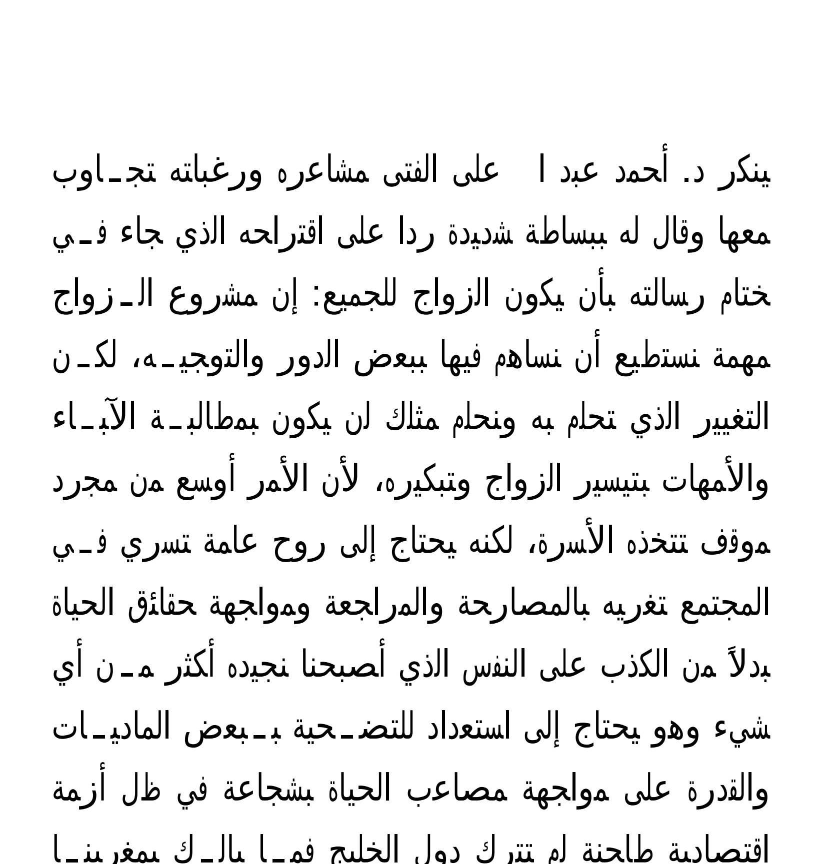
مشكلته الآن حلمتيه أصبحتا أكثر حساسية عـن ذي قبل، فقد أصبح مستثارا معظم الوقت حتى مع انشغاله أثنـاء العمل أو الحوار مع الآخرين أو حتـى الصـلاة، لمجـرد احتكاك ملابسه بصدره، وهو شيء دائم الحدوث مادام لابسا فانلة، أصبح عنده صداع مستمر وإنهاك نفسي نتيجة الـ ٢٤ ساعة إثارة، لاحظ تأثر الحلمتين وخاصـة عنـدما يتـرك الاستمناء لفترة أو عند الشبع والاستثارة وذلك بوجود ألم مع رغبة شديدة، لم يعد منذ فترة طويلة يستثير نفسه من خـلال الحلمتين، ودخل في برنامج لعلاج ذاتي مـن ذلـك فكريـا ونفسيا، وقد وصل بالفعل إلى حالة مزاجية عالية، فلم يعـد يرى الاستمناء متعلقًا بالاستثارة، أصبحت النساء جمـيعهن يثيرونه، ولم يعد الاستمناء أضراره تفوق منافعه.

ختم الشاب رسالته الموجعة بنداء يقول: يا آباءنا وأمهاتنا.. يا من تنعمون بالجنس ولا تحرمون منه ولو حرمتم منه أسبوعا لتلظيتم مثلنا، يا من ألهاكم ما تنعمون به وظننتموه دائما وأنساكم ما نحن فيه، نحن فلذات أكبادكم.. يا من أعمتكم أنانيتكم وعدم معاناتكم من الحرمان عن رؤية وإحساس معاناتنا (ليس منا من بات شبعانًا وجاره جائع وهو يعلم.. جاره وليس فلذة كبده) ونحن في قمة فورة البركان المتأجج الجائع المجنون! اتقوا ا .. اتقوا ا وزوجونا فور بلوغنا، أو على الأقل اخطبوا لنا فور بلوغنا، حصنونا وارحمونا.. بعد أن أتينا بعدكم ففي عصر صارت الوظيفة المستقرة فيه حلما بعيدا والزواج حلما أبعد والضغوط النفسية مدمرة والبنات يعرضن أنفسهن مجانًا، والأولاد يسعون إلى البضاعة الرخيصة هرولة، والزنا والفجور في كل بيت دخله التليفزيون يدرس بالنموذج العملي والمحاكاة والباليه والسباحة التوقيعية.. فاتقوا ا واقبلوا شابا يريد العفاف مع ابنتكم ولو كان شحاذًا.

وحتى تصل الرسالة كاملة يقول الشاب المكبوت موجها كلامه لأرباب الأسر: ولكي تفهموا – إن أردتم أن

تفهموا – لا تمارسوا الجنس لمدة شهرين أو ثلاثة ولا تلمسوا أو تنظروا إلى عوراتكم (عدا الوجه والكفـين) ولا تتبـادلوا الحديث الناعم ولا تناموا متجاورين، حينهـا سـتعلمون أي جحيم يكتوي بناره ملايين من بناتكم وأبنائكم الصالحين، أنتم غارقون في الغفلة عن الآخرين، على كل متزوج ومتزوجة ألا ينام مطمئنًا في حضن زوجته، بل ينام مهموما مرعوبـا متنغصا حتى يشارك في مساعدة شاب مسلم آخر مثلـه، لا تركنوا إلى نعمة الزواج الصالح بدون شكرها، بمعاونتكم في درء ما نحن فيه من فتن وعذاب، "ولئن شكرتكم لأزيدنكم".

هذه الرسالة وكالمعتاد سيتعالى عليها الجميع.. بـل يمكن أن يعتبرها البعض وهم كثيرون مع الأسـف الشـديد مجرد قلة أدب وكلام فارغ خارج من شاب غيـر مسـئول وغير سوي نفسيا.. وهي عادتنا ولن نشتريها.. ولحسن الحظ أن المسئول عن ركن مشاكل الشباب وحلولهـا فـي موقـع "إسلام أون لاين" كان رجلاً على قدر المسئولية.. فقد فـتح الحوار حول مشكلة الشاب.. ليظهر من الرسائل التي وردت للموقع أن الشاب المصري ليس وحده ولكـن هنـاك آلاف الشباب في مصر والعالم العربي والإسلامي يعانون مثله.. لم



ينكر د. أحمد عبد ا على الفتى مشاعره ورغباته تجاوب معها وقال له ببساطة شديدة ردا على اقتراحه الذي جاء في ختام رسالته بأن يكون الزواج للجميع: إن مشروع الزواج مهمة نستطيع أن نساهم فيها ببعض الدور والتوجيه، لكن التغيير الذي تحلم به ونحلم مثلك لن يكون بمطالبة الآباء والأمهات بتيسير الزواج وتبكيره، لأن الأمر أوسع من مجرد موقف تتخذه الأسرة، لكنه يحتاج إلى روح عامة تسري في المجتمع تغريه بالمصارحة والمراجعة ومواجهة حقائق الحياة بدلاً من الكذب على النفس الذي أصبحنا نجيده أكثر من أي شيء وهو يحتاج إلى استعداد للتضحية ببعض الماديات والقدرة على مواجهة مصاعب الحياة بشجاعة في ظل أزمة اقتصادية طاحنة لم تترك دول الخليج فما بالك بمغربنا ومشرقنا.

طلب د. أحمد عبد ا من الشاب المصري المكبوت أن يوضح فكرته.. أن يشرح كيف يرى مشروع الزواج للجميع.. ولم يكذب الشاب خبرا ولم يتأخر في رسالة ثانية كتب يقول: ليس هناك حرج من الناحية الشرعية والقانونية أن يتزوج الشباب مبكرا مادام هناك رضا الولد والبنت

والأسرتين مع وجود الشهود، وتذكروا أنه سيحدث بـالحلال وسيحدث بغيره، فالأولاد لم يعد عندهم صـبر، وموضـوع التسجيل في ورق يمكن تأجيله أو عمله بشكل أسري بـدون توثيقه رسميا كضرورة شرعية وممكن تدبير حجـرة فـي مسكن كل منهما يتبادلان المذاكرة والدراسة والعفـة فيهـا، وممكن أن يكون موضوعا مبدئيا تشجيعيا على العفة وربـط الولد والبنت نفسيا وإشعارهما بأن مسئولية جسدهما الجنسية ليست ملكًا لهما فقط، بل هناك آخرون في حياتهما، وخـلال عام أو أكثر يتم فيه تثقيفهما ببرنامج يضعه المتخصصون.

ويبدو أن الشاب المصري يخشى على المجتمع مـن الصدمة ولذلك يقترح عمل مطوية ورقية جذابة عن جمـال الزواج المبكر وثمراته مسبوقًا بعرض سريع لآثـار عـدم زواج المراهقين سواء في العادة السرية عنـد الجنسـين أو الشذوذ الذي يبدأ في هذه السن أيضـا أو أعـداد الهاربـات الباحثات عن الحب أو زنا القاصـرات فـي مقابـل زواج القاصرات والزواج العرفي المنتشر أو الإجهاض أو عمليات استعادة البكارة.

وفي أسوأ الحالات – كما يقول الشاب – يمكن أن يظل الموضوع مجرد ترتيب وعقد وارتباط نفسي واجتماعي وديني "بوي فريند وجيرل فريند شرعي.. لو جاز التعبير" ويمكن إكماله بالدخول عند الحاجة، بدلاً من الوقوع في المشاكل، وساعتها ستتباهى البنت ولا تتخفى – بأن الولد فلان خطيبها، وأما بخصوص موضوع الاختيار فالولد والبنت تبدو عليهما معظم الصفات النفسية والجسمية الاجتماعية وربما الدينية منذ الطفولة والآباء – وأيضا الأطفال أنفسهم – يشعرون بمن يناسب من.. فالتوافق والحب يأتي من طول العشرة والثقافة والفقه والتدين وهذا كله في وصفة واحدة هي زواج المراهقين.

ما قاله الشيخ اليمني في فتواه التي أشرت إليها.. قاله الشاب المصري الذي يعاني وله تجربة خاصة ومؤلمة جدا.. وهو ما يعني أن الفتوى تلتقي مع هموم الناس وقضاياهم ومشاكلهم الحقيقية.. ورغم أن كلام عبد المجيد الزنداني كان موجها إلى مسلمي الغرب فإننا يمكن أن نناقش الفتوى والمشروع على أرضية واقعنا هنا في مصر وفي العالم العربي، قد يكون في كلام الشاب بعض المبالغة أو من شدة

احتياجه أشفق على الشباب فأراد أن يزوجهم في مـراهقتهم حتى لا يحترقوا بلهيب الشهوة.. فـأقترح أن يتزوجـوا ولا مانع بعدها من أن يذاكروا سويا وفي آخر الليل يمارسـون الجنس الذي سيكون عفة لهم.

إن المجتمع الذي نعيش فيه والذي يرفع لواء الفضيلة صباح مساء.. والذي يعتقد ناسـه أنهـم الأتقـى والأنقـى والأقرب إلى ا .. يجب أن يتخلوا ولو لساعة واحـدة عـن قناع نفاقهم وزيفهم ويواجهوا الحقيقة – إن الشباب ولن أقول الذي مازال يدرس في الثانوي والجامعة، ولكنه الشباب الذي تخرج وأدى الخدمة العسكرية ويعمل في أعمال لا تدر عليه دخلاً مناسبا يتحرق شوقًا ليتزوج وهـؤلاء يـتم تعجيـزهم بشروط غير معقولة.. وعندما تناقش الأهل يقولون لك أننـا لن نرمي ابنتنا.. فهم يريدون كل شيء.. والكارثة أن بعض الشباب يقفون حجر عثرة بأفكارهم في طريق سعادتهم فتجد الشاب وقد ارتدى مسوح الحكمة يقول لك لن أتزوج حتـى تكتمل شقتي.. فإذا دخلت والشقة ناقصة شيئا فلن تكتمل أبدا.

إن المشكلة التي نواجهها جميعا حتى تحل يجـب أن تتخلى العائلات عن عادات وتقاليد بالية جرتنا إلى الـوراء..

إن الاقتراح الذي جاء في فتوى الشيخ اليمني ورسالة الشاب المصري يمكن أن يبني نظاما جديدا في الزواج وهو "زواج فريند"... يمكن أن ينفذ.. فالشاب والفتاة يتزوجـان بعـد أن يعملا ويكون لهما دخل يستطيعان أن ينفقا من خلاله علـى حياتهما.. لا يكون لديهما بيت.. يلتقيان في بيتي عائلتيهمـا حتى ييسر ا لهما الحال.. ويؤسسا شـقتهما سـويا وهـو اقتراح عملي.. لكنه اقتراح سيرفضه الجميع.. سيفضلون أن يتعايشوا مع مشكلاتهم على حالها سـيختارون أن يسـرقوا لحظات المتعة في الشوارع المظلمة وفي دور السينما وعلى الكورنيش وفي الشقق المفروشة.. حتى يأذن ا لهم ببيـت بعد سنة.. اثنين.. عشرة.. لن تتنازل البنت عن بيت ملكهـا تغلق بابه عليها، ولن يتنازل الولد عن شقة ملكه وحده.

قد يكون ذلك من حقهما.. وهو ما يجعلنا نقول لماذا يتعسف الناس في شروط الزواج، ولماذا لا يساعد المجتمـع الشباب في أن يتزوجوا بدلاً من الضياع.. إن الأموال التـي تنفق على تكرار الحج والعمرة كل عام وهي بالملايين يمكن أن تزوج عددا كبيرا من الشباب ولو وجهت إلى هذا البـاب فإنها ستكون صدقة جارية يأخذ ثوابها من يدفعها وهو حـي

وستظل في أعقابه حتى بعد أن يموت.. ولماذا لا ينفق جزء كبير من أموال الزكاة على تزويج الشباب.. لماذا نلقي بأموالنا في وجوه لا طائل من ورائها.. وأمامنا ملايين الشباب الذين لا يطلبون سوى الستر.

مشكلة الشاب المصري الجنسية حركته.. ودفعته للتفكير.. وللأمانة فمشكلته ليست فريدة من نوعها.. فهي موجودة في كل بيت مصري.. ولابد من التجاوب معها والاهتمام بها.. فالتعالي عليها لن يفيد هذه المرة.. فلن أكون مبالغًا إذا قلت أن هناك ثورة جنسية عارمة في الطريق يمكن أن تأتي على الأخضر واليابس.. في يدنا الحل الآن.. لكننا إذا صمتنا كالعادة واعتبرنا أن كل شيء تمام.. فلا يعلم سوى ا .. ماذا يمكن أن يحدث لنا.. ولا ماذا سيظهر في هذا المجتمع من صور انحراف نحن جميعا في غنى عنها.

مسجد عليه دش!

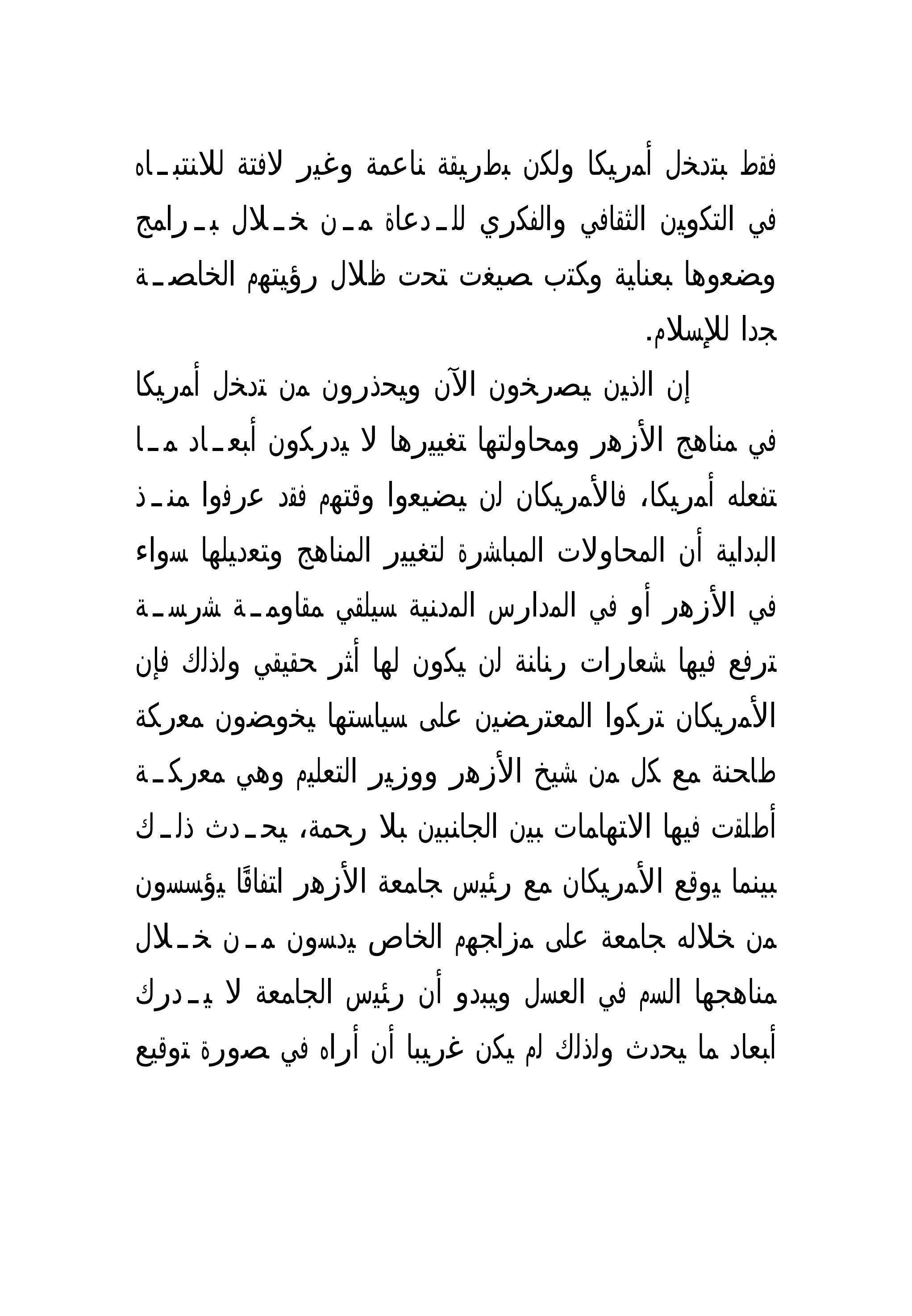
مسجد عليه دش!

لم يكن الأمر غريبا بالنسبة لي ففي مصر تستطيع أن تجد أي شيء وكل شيء مهما كان غريبا ومحيرا في الوقت نفسه.. ولأني تعودت أن أعرف قبل أن أحكم إيمانًا بالحكمة العربية القديمة "من لا يعرف شيئا لا يملك الحكم عليه".. فإنني لم أصدر حكما مسبقًا عندما أخبرني أحد الأصدقاء أنه سجل نفسه في الدراسات العليا الإسلامية بالجامعة الأمريكية المفتوحة وهي مؤسسة أكاديمية مستقلة ترفع شعار "طلب العلم فريضة على كل مسلم".

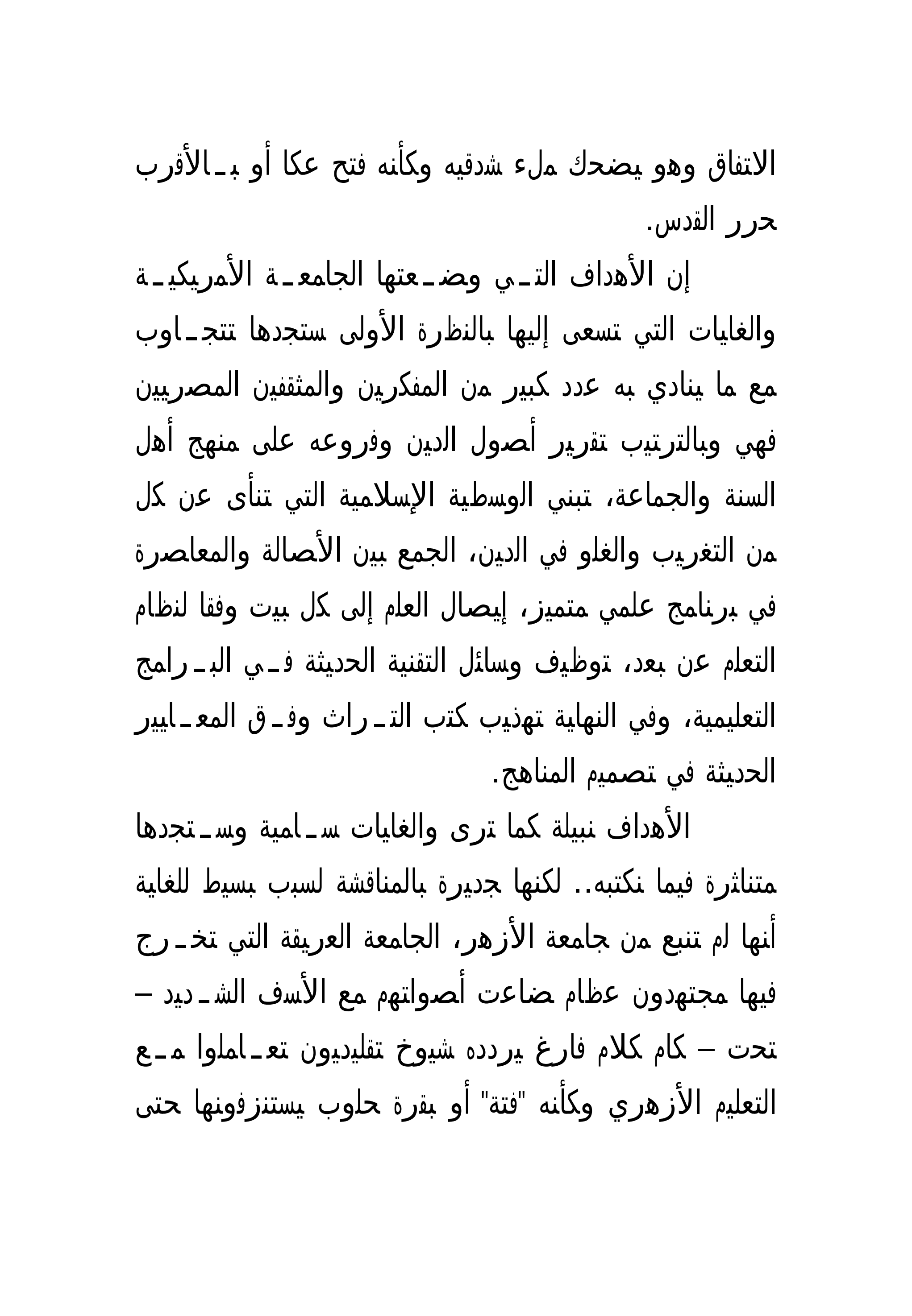
قد تتعجب من ذلك وتسأل نفسك.. ما علاقة جامعة أمريكية بالإسلام.. وهل قررت أمريكا بالفعل أن تدرس الإسلام على طريقتها الخاصة وتخريج دعاة على مقاسها الخاص يرددون ما تريده ويدعون الناس إلى الإسلام الأمريكي؟.. دهشتك لن تتوقف عند الشعار فالرمز الذي وضعته الجامعة الأمريكية المفتوحة على مطبوعاتها وكتبها عبارة عن مسجد وعليه طبق فضائي – دش يعني – وهو ما يؤكد أن الجامعة الأمريكية تعمل من أجل إسلام منفتح على

العالم يتواصل مع الحضارات الأخرى فوضعت الـدش دون أن تلتفت إلى أنه يرتبط في ذهن المسلمين بأنه مصدر للفسق والفجور والعري والعياذ با .

لقد اعتقدت أن هذه الجامعة التي يقع مقرها في مبنى المجلس العالمي للدعوة والإغاثة بمدينة نصر تم افتتاحها بعد أحداث ١١ سبتمبر التي راحت ضحيتها كرامة أمريكا وسقط البرجان العظيمان وهو الحدث الذي تنبهت أمريكا بعده إلـى أن الخطر قادم من الإسلام وبدأ الأمريكـان فـي دراسـته ومحاولة معرفة كل شيء عنه لا ليعتنقوه ولكن ليأمنوا خطره الذي وصل إليهم في عقر دارهم.. لكن اعتقـادي لـم يكـن صحيحا فقد افتتحت هذه الجامعة بموجب اتفاق علمي ثقـافي تم توقيعه بين جامعة الأزهر والجامعة الأمريكية المفتوحـة بالولايات المتحدة الأمريكية في شهر أبريل عام ٢٠٠٠ وهو ما يؤكد أن المؤسسات الأكاديمية الأمريكية تنبهت مبكرا إلى أن تدريس علوم الإسلام وتخريج الدعاة في مصر التي هـي مصدر لتصدير الدعاة إلى كل دول العالم لا يـتم بطريقـة صحيحة بل يتم في الغالب بأسلوب يخاصم العصر ويتصادم معه وربما كانت أحداث ١١ سبتمبر عاملاً أدى إلى الإسراع


فقط بتدخل أمريكا ولكن بطريقة ناعمة وغير لافتة للانتبـاه في التكوين الثقافي والفكري للـدعاة مـن خـلال بـرامج وضعوها بعناية وكتب صيغت تحت ظلال رؤيتهم الخاصـة جدا للإسلام.

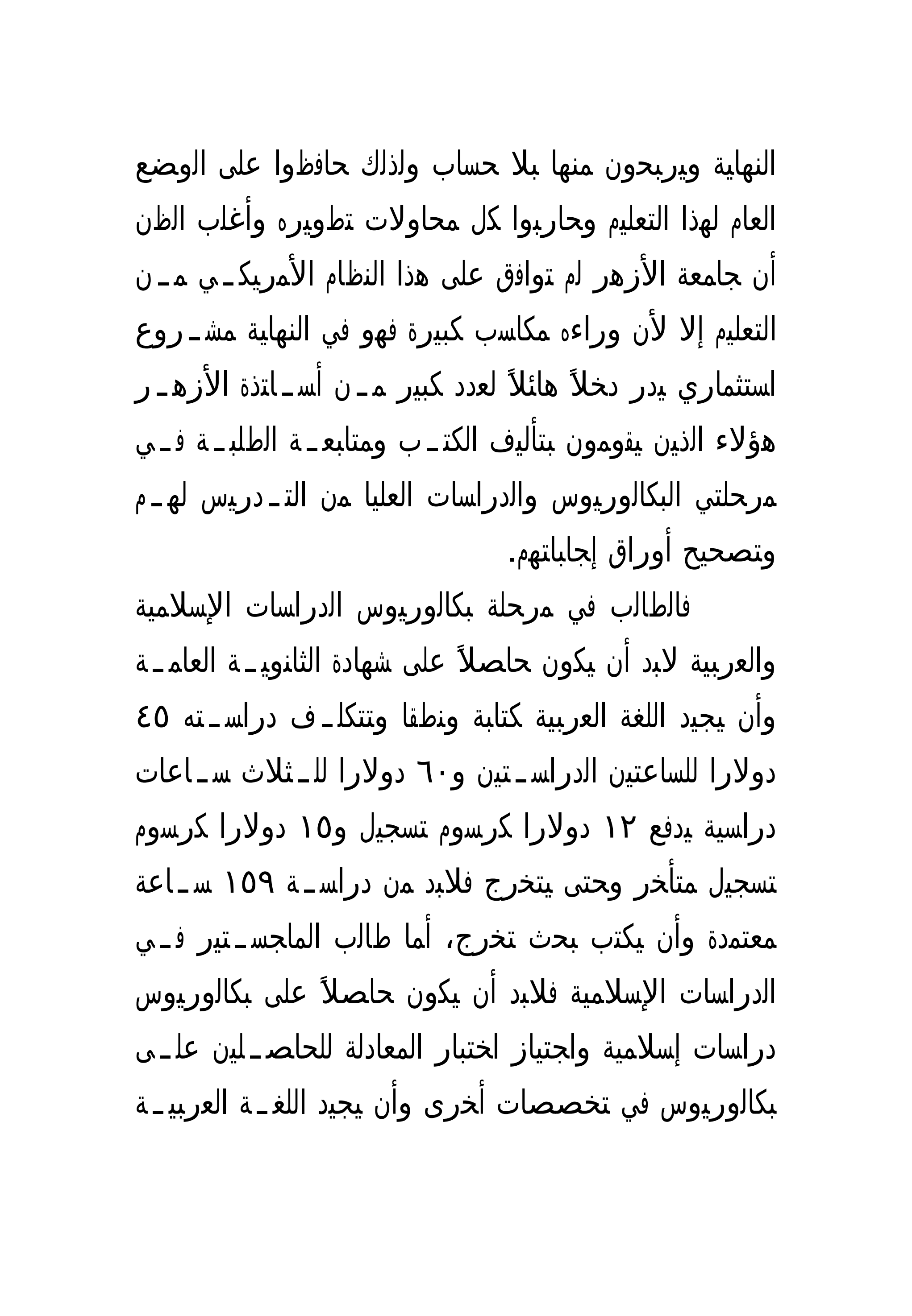
إن الذين يصرخون الآن ويحذرون من تدخل أمريكا في مناهج الأزهر ومحاولتها تغييرها لا يدركون أبعـاد مـا تفعله أمريكا، فالأمريكان لن يضيعوا وقتهم فقد عرفوا منـذ البداية أن المحاولات المباشرة لتغيير المناهج وتعديلها سواء في الأزهر أو في المدارس المدنية سيلقي مقاومـة شرسـة ترفع فيها شعارات رنانة لن يكون لها أثر حقيقي ولذلك فإن الأمريكان تركوا المعترضين على سياستها يخوضون معركة طاحنة مع كل من شيخ الأزهر ووزير التعليم وهي معركـة أطلقت فيها الاتهامات بين الجانبين بلا رحمة، يحـدث ذلـك بينما يوقع الأمريكان مع رئيس جامعة الأزهر اتفاقًا يؤسسون من خلاله جامعة على مزاجهم الخاص يدسون مـن خـلال مناهجها السم في العسل ويبدو أن رئيس الجامعة لا يـدرك أبعاد ما يحدث ولذلك لم يكن غريبا أن أراه في صورة توقيع



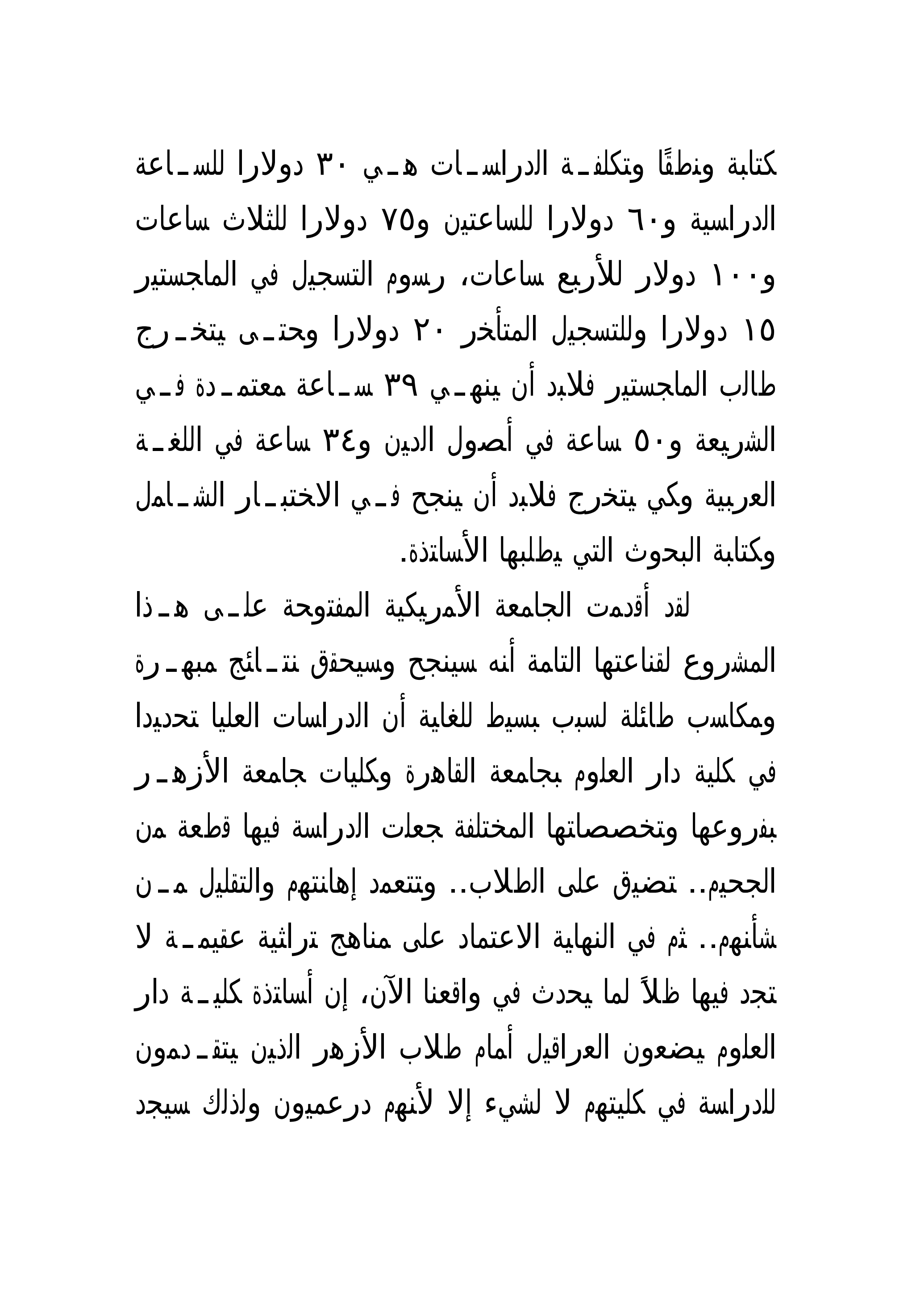
الاتفاق وهو يضحك ملء شدقيه وكأنه فتح عكا أو بـالأقرب حرر القدس.

إن الأهداف التـي وضـعتها الجامعـة الأمريكيـة والغايات التي تسعى إليها بالنظرة الأولى ستجدها تتجـاوب مع ما ينادي به عدد كبير من المفكرين والمثقفين المصريين فهي وبالترتيب تقرير أصول الدين وفروعه على منهج أهل السنة والجماعة، تبني الوسطية الإسلامية التي تنأى عن كل من التغريب والغلو في الدين، الجمع بين الأصالة والمعاصرة في برنامج علمي متميز، إيصال العلم إلى كل بيت وفقا لنظام التعلم عن بعد، توظيف وسائل التقنية الحديثة فـي البـرامج التعليمية، وفي النهاية تهذيب كتب التـراث وفـق المعـايير الحديثة في تصميم المناهج.

الأهداف نبيلة كما ترى والغايات سـامية وسـتجدها متناثرة فيما نكتبه.. لكنها جديرة بالمناقشة لسبب بسيط للغاية أنها لم تنبع من جامعة الأزهر، الجامعة العريقة التي تخـرج فيها مجتهدون عظام ضاعت أصواتهم مع الأسف الشـديد – تحت – كام كلام فارغ يردده شيوخ تقليديون تعـاملوا مـع التعليم الأزهري وكأنه "فتة" أو بقرة حلوب يستنزفونها حتى


النهاية ويربحون منها بلا حساب ولذلك حافظوا على الوضع العام لهذا التعليم وحاربوا كل محاولات تطويره وأغلب الظن أن جامعة الأزهر لم توافق على هذا النظام الأمريكي من التعليم إلا لأن وراءه مكاسب كبيرة فهو في النهاية مشروع استثماري يدر دخلاً هائلاً لعدد كبير من أساتذة الأزهر هؤلاء الذين يقومون بتأليف الكتب ومتابعة الطلبة في مرحلتي البكالوريوس والدراسات العليا من التدريس لهم وتصحيح أوراق إجاباتهم.

فالطالب في مرحلة بكالوريوس الدراسات الإسلامية والعربية لابد أن يكون حاصلاً على شهادة الثانوية العامة وأن يجيد اللغة العربية كتابة ونطقا وتتكلف دراسته ٤٥ دولارا للساعتين الدراستين و٦٠ دولارا للثلاث ساعات دراسية يدفع ١٢ دولارا كرسوم تسجيل و١٥ دولارا كرسوم تسجيل متأخر وحتى يتخرج فلابد من دراسة ١٥٩ ساعة معتمدة وأن يكتب بحث تخرج، أما طالب الماجستير في الدراسات الإسلامية فلابد أن يكون حاصلاً على بكالوريوس دراسات إسلامية واجتياز اختبار المعادلة للحاصلين على بكالوريوس في تخصصات أخرى وأن يجيد اللغة العربية



كتابة ونطقًا وتكلفـة الدراسـات هـي ٣٠ دولارا للسـاعة الدراسية و٦٠ دولارا للساعتين و٧٥ دولارا للثلاث ساعات و١٠٠ دولار للأربع ساعات، رسوم التسجيل في الماجستير ١٥ دولارا وللتسجيل المتأخر ٢٠ دولارا وحتـى يتخـرج طالب الماجستير فلابد أن ينهـي ٣٩ سـاعة معتمـدة فـي الشريعة و٥٠ ساعة في أصول الدين و٣٤ ساعة في اللغـة العربية وكي يتخرج فلابد أن ينجح فـي الاختبـار الشـامل وكتابة البحوث التي يطلبها الأساتذة.

لقد أقدمت الجامعة الأمريكية المفتوحة علـى هـذا المشروع لقناعتها التامة أنه سينجح وسيحقق نتـائج مبهـرة ومكاسب طائلة لسبب بسيط للغاية أن الدراسات العليا تحديدا في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وكليات جامعة الأزهـر بفروعها وتخصصاتها المختلفة جعلت الدراسة فيها قطعة من الجحيم.. تضيق على الطلاب.. وتتعمد إهانتهم والتقليل مـن شأنهم.. ثم في النهاية الاعتماد على مناهج تراثية عقيمـة لا تجد فيها ظلاً لما يحدث في واقعنا الآن، إن أساتذة كليـة دار العلوم يضعون العراقيل أمام طلاب الأزهر الذين يتقـدمون للدراسة في كليتهم لا لشيء إلا لأنهم درعميون ولذلك سيجد

عدد كبير من الطلاب والدعاة الذين ضاقوا بالأزهر ودار العلوم معا في الجامعة الأمريكية المفتوحة متنفسا كبيرا.

إن ما يحدث في هذه الجامعة الجديدة – ونحن على فكرة لا نعارضها بل نحاول أن نفهم ما يريده القائمون عليها – يجعلنا نفكر قليلاً، فالجامعة تتبنى منهج الوسيطة في الإسلام وهو المنهج الذي تسعى من خلال تدريسه وغرسه في أذهان الدعاة إلى إبعادهم عن التغريب والغلو في الدين وتتبنى كذلك تهذيب كتب التراث وفق المعايير الحديثة والسؤال – من وجهة نظر من بالضبط ستوضع هذه المعايير الحديثة؟ هل من وجهة نظر رجال الأزهر وعلمائه القائمين على التدريس فيه وعلى رأسهم رئيس جامعة الأزهر.. قد تكون الإجابة بنعم؟ وهي إجابة لابد لها من سؤال آخر، فإذا كانت هذه الرؤى متوافرة عند رئيس جامعة الأزهر فلماذا لم يطبقها في كلياته ومعاهده، على الأقل كان سينقذنا من دعاة يحولون حياتنا إلى جحيم يحرمون علينا كل شيء ويحرموننا من كل سعادة ونعمة في الحياة.

إن كتب جامعة الأزهر وكتب المعاهد الأزهرية (ابتدائية وإعدادية وثانوية) عندما تتصفحها بسرعة ستجد

فيها العجب.. فهي تحمل ثقافة عدائية للآخر أيا كان نوعه أو شكله فكل ما عدا المسلمين أعداء ا بل إن المرأة المسـلمة نفسها التي يدعي الشيوخ أن الإسلام منحها حقها كاملاً تأتي كتب الأزهر لتؤكد أنها "رجس من عمل الشيطان فـاجتنبوه" أو أنها على أقل تقدير وسيلة من الوسـائل التـي يمتطيهـا الشيطان ليفسد على المسلم حياته ودينه وآخرته.. هذه الرؤى التي نشرها رئيس جامعة الأزهر وجعلها تصب في مجـرى الجامعة الأمريكية المفتوحة.. كان أقل القليل منها يمكـن أن يصلح حال الأزهر الذي اعوج دون أمل في أن ينصلح.

لكن الواضح أن الجامعة الأمريكية كان لهـا الـدور الواضح والأكبر في تحديد المنـاهج والأسـاتذة وشـرائط الكاسيت فكل شيء محسوب ومدروس.. المفاجـأة المذهلـة والتي ربما لا ينتظرها أحد ورغم الأهداف الخادعـة التـي وضعتها الجامعة الأمريكية المفتوحة على مطبوعتها أن هذه الجامعة لن تخرج دعاة مستنيرين فلا فرق بينها وبين جامعة الأزهر في شيء وأسباب ذلك كثيرة.

فالأساتذة الذين يدرسون فـي الجامعـة الأمريكيـة المفتوحة هم أنفسهم الذين يدرسون في كليات جامعة الأزهر

ورغم أنهم أكثر غلاظة وفظاظة وعنفًا في مدرجات جامعـة الأزهر فإنك ستجدهم أكثر رقة وبشاشة وإقبـالاً وهـم فـي مكاتبهم بمقر الجامعة الأمريكية، فكل دقيقة يقضونها يأخذون عنها مقابلاً ماديا مجزيا.

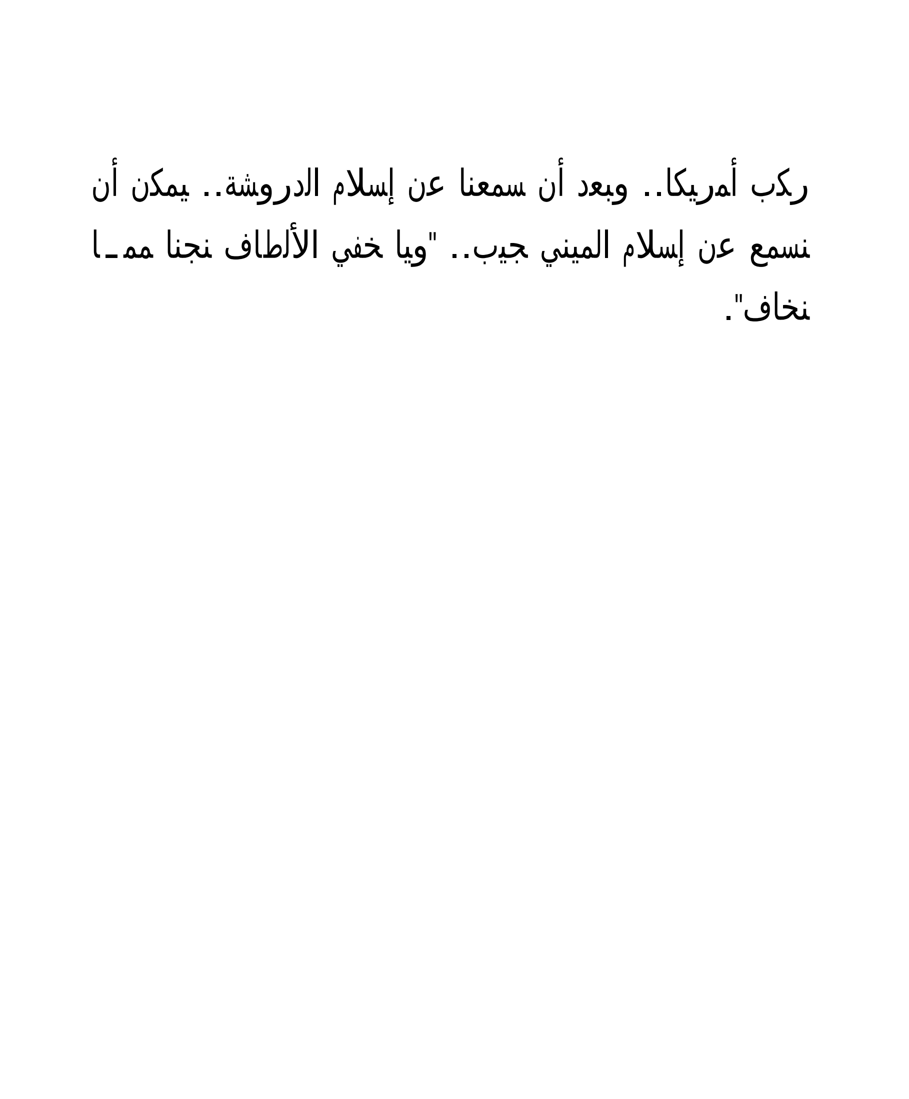
ثم إننا لم نعد ننبهر بالشعارات البراقـة الفضفاضـة التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فالشعارات التي ترفعهـا الجامعة الأمريكية المفتوحة هي نفسها دون زيادة أو نقصان، الشعارات التي ترفعها أشد الجامعات والجماعات الإسـلامية تطرفًا وعنفًا.. فقد تعودنا أن نسمع كلامـا ونـرى أفعـالاً متناقضة تماما.

السبب الرابع والمهم أن الكتب التـي تـدرس فـي الجامعة الأمريكية المفتوحة جعلت مرجعيتها كتب الوهابيين الذين جرونا بأفكارهم وفتاواهم عدة قرون إلى الخلف، ففـي مكتبة الجامعة التي يتسلم منها الطلبة كتبهم وشرائطهم بعـد أن يكونوا دفعوا الرسوم جذب انتباهي كتاب "فقه النوازل".. أعجبني العنوان بشدة، فما أحوجنا إلـى فقـه يتعامـل مـع واقعنا.. يتأمل ما يقع على الإنسان من مصائب ليفصل رأي الدين فيها، لكن المفاجأة أن مؤلف الكتاب استعان ليدلل على

آرائه بفتاوى لعبد العزيز بن باز شيخ الوهابية الكبير الراحل الذي خاصم العلم وكفر به.. فبا عليكم: هل هذا منطق.

إننا لا نخاف من الحوار مع الآخر والجلـوس معـه على مائدة واحدة والاستفادة بما أنتجه مـن تقنيـات حديثـة ومناهج عصرية في التعليم لكن ما نرفضـه هـو أن يمتـد الحوار إلى ثقافتنا وأصول ديننا، إننا لا نريد إسلاما يحولنـا إلى مجموعة من الدراويش الذين يغوصون حتى آذانهم فـي الفتة والخرافات والأساطير، ولا نريد إسلاما رخوا يجعلنـا نتقبل الأمر الواقع ونرضى به ولا نسـعى إلـى تغييـره أو محاولة التمرد عليه.. لا نريد كذلك إسلاما يفرط أو يتهـاون ويترك الحبل على غاربه، وفي النهاية فإننا لا نريد إسـلاما جامدا محنطًا يدفعه إلينا شيوخ الأزهر ورجاله ويطلبون منا أن نأخذه على حاله دون أن نعمل فيه عقلنا.

إنني لا أتحدث عن الوحي السماوي المقدس حتى لا يختلط الأمر على البعض لكني أنظر إلى إسلام الممارسة، ما يقوله علماء الإسلام وما يفعلونه.. أحاورهم فيه.. أنظر مـا تسفر عنه تجربة الجامعة الأمريكية المفتوحة.. أنتظر الدعاة الذين دخلوها.. هل سيقدمون شيئا مختلفًا.. أم سيسيرون في



ركب أمريكا.. وبعد أن سمعنا عن إسلام الدروشة.. يمكن أن نسمع عن إسلام الميني جيب.. "ويا خفي الألطاف نجنا مما نخاف".

صلاة الحائض وصيامها!

صلاة الحائض وصيامها

هذا ما حدث...

شيخ يلقي درسه في أحد المساجد الكبيـرة بالقـاهرة بعد صلاة العشاء، سألته إحدى السيدات قالت له يا مولانا لقد سمعت أن المرأة الحائض يمكن أن تصلي وتصوم ولا حرج عليها.. فهل هذا صحيح؟، كانت إجابة الشيخ مفاجأة.. قـال لها نعم من حق المرأة أن تصلي وتصوم وهـي حـائض.. ولأن الشيخ لمح استغرابا في وجوه جمهوره الذي لم يتجاوز المائة من الرجال والنساء، سارع بتقديم أدلتـه مـن آيـات القرآن الكريم.. فاقتنع بها من اقتنع، ورفضها من رفض.

أحد الذين رفضوا حمل رأي الشيخ إلى إمام مسـجد كبير آخر بالقاهرة، فاعترض عليه ودار حوار طويل بـين الشيخين أنهاه الشيخ الثاني باتهام الشيخ الأول بأنـه مرتـد ومنكر للسنة، كانت زوجة الشيخ الأول حاضرة، وهي سيدة مثقفة، وتؤيد زوجها ليس في رأيه هذا فقـط، ولكـن فـي مدرسته في الدعوة التي تعلي من شأن العقل، وتعتبر القرآن

هو الملجأ الأول. وما جاء في الأحاديث المروية عن الرسول ليس ملزما إذا كان في القرآن ما يتناقض معه.

أرادت زوجة الشيخ أن تستنير أكثر بأحد أساتذة جامعة الأزهر وهو متخصص في أصول الفقه، وما إن سمع منها رأيها الذي يوافق رأي زوجها حتى سارع باتهامها بالردة، بل وطلب منها أن تذهب إليه وزوجها في رواق الأتراك بالأزهر ليعلنا توبتهما وعودتهما إلى الإسلام، لأنهما أنكرا ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

لم يتوقف الأمر على ذلك.. فقد وصلت أصداء هذا الخلاف إلى جلسات ودروس العلم في الجامع الأزهر، بل وسيطر على خطبة الجمعة في بعض مساجد القاهرة، قابلت الشيخ المجتهد، رأيته مقتنعا بما يقول.. مصرا عليه، ليس لأنه اجتهد، وبنى اجتهاده على إعمال العقل في تفسير آيات القرآن الكريم، لم يكن مترددا.. فقد أبدى استعداده للحوار مع أكبر رأس بين علماء الدين.. والحجة أمام الحجة.. والرأي أمام الرأي.

لم يكن رأيه في مسألة الحيض وحده هو الذي جر عليه المشاكل..؟ اجتهادات كثيرة تقوم على أن القرآن هو

المرجع الأول وأن العقل هو الأساس الذي لابد وأن نعتمـد عليه.

نأتي بعد ذلك إلى حالة الجدل التي أعتقد أنهـا لـن تنتهي بسهولة – والكلام هنا للشيخ المجتهد – فهو يـرى أن الصلاة يمنع من أدائها الجنب حتى يتطهر من الحدث الأكبر بعد الجماع، والحدث الأصغر "البول والغائط" وفـي حالـة السفر له القصر، وذلك بحكم القرآن في (**يا أيها الذين آمنُوا إِذَا قُمتُم إِلَى الصلاَةِ فاغْسِلُوا وجوهكُم وأَيدِيكُم إِلَى الْمرافِق وامسحوا بِرؤُوسِكُم وأَرجلَكُم إِلَى الْكَعبين وإِن كُنْـتُم جنُبـا فَاطهروا وإِن كُنْتُم مرضى أَو علَى سفَرٍ أَو جاء أَحد مـنْكُم من الْغَائِطِ أَو لاَمستُم النساء فَلَم تَجِدوا ماء فَتَيمموا صعِيدا طَيبا فَامسحوا بِوجوهِكُم وأَيدِيكُم منْه**)، وفي الآيـة تحديـد دقيق للمرخص لهم بالامتناع عن الصلاة بلا لبس ولا شبهة، وتأتي آية (**يا أَيها الَذِين آمنُوا لاَ تَقْربـوا الصـلاَةَ وأَنْـتُم سكَارى حتى تَعلَموا ما تَقُولُون ولاَ جنُبا إِلا عابِرِي سـبِيلٍ حتى تَغْتَسِلُوا وإِن كُنْتُم مرضى أَو علَى سفَرٍ أَو جـاء أَحـد منْكُم من الْغَائِطِ أَو لاَمستُم النساء فَلَم تَجِدوا ماء فَتَيممـوا**

صعِيدا طَيبا فَامسحوا بِوجوهِكُم وأَيدِيكُم) وفي الآيتـين لـم يذكر من قريب أو بعيد منع الحائض من الصلاة.

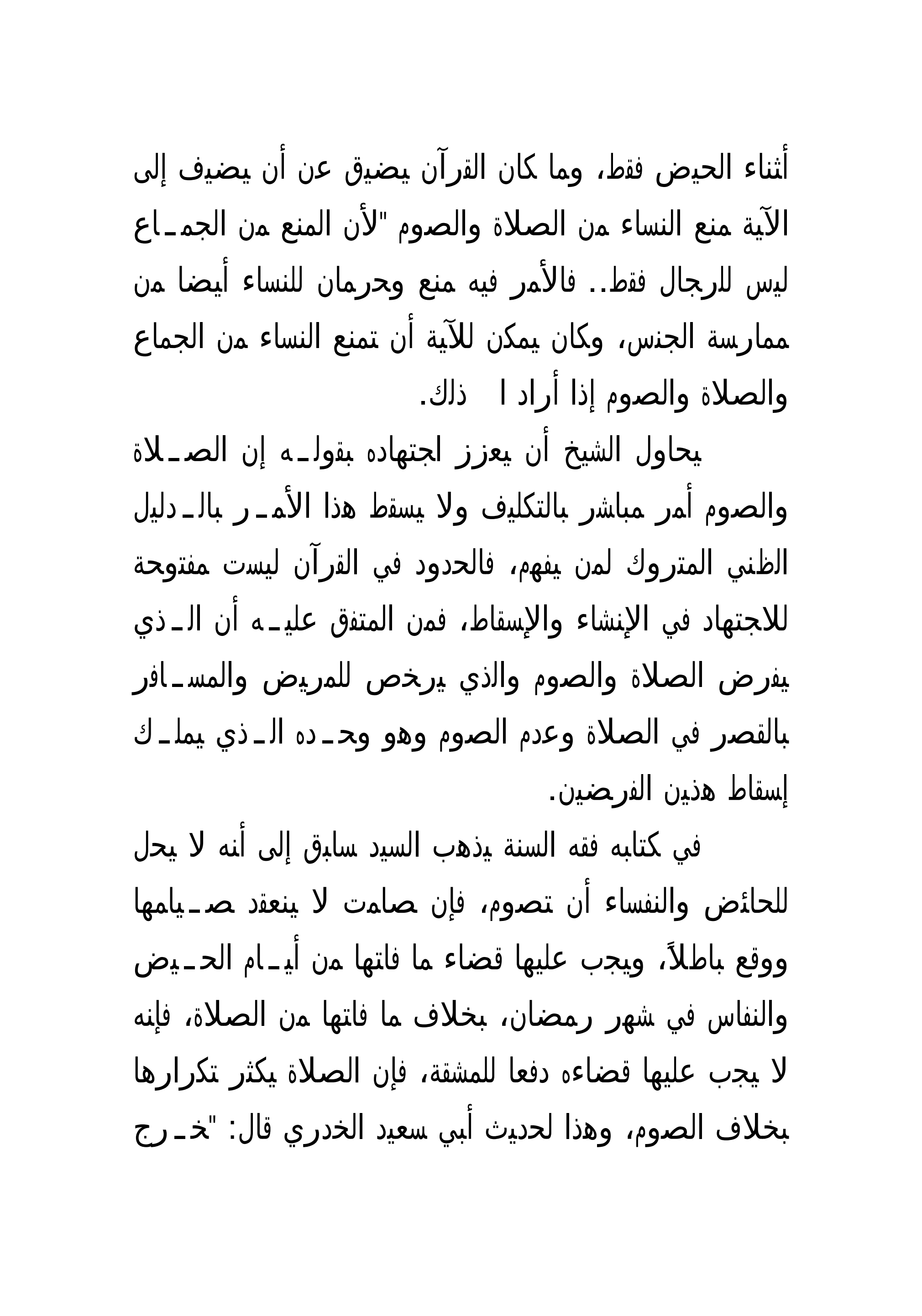
وعن الصوم يقول القرآن (**شَهر رمضان الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرآن هدى للناس وبينَاتٍ من الْهدى والْفُرقَـان فَمـن شَهد مِنْكُم الشهر فَلْيصمه ومن كَان مرِيضا أَو علَى سـفَرٍ فَعِدةٌ من أَيامٍ أُخَر يرِيد ا ُ بِكُم الْيسر ولاَ يرِيد بِكُم الْعسـر ولِتُكْمِلُوا الْعِدةَ ولِتُكَبروا ا َ علَى ما هداكُم ولَعلَّكُم تَشْكُرون)** وليس في الآية استثناء للحائض من الصوم، وإذا قال البعض إن الحيض نوع من المرض يجعل المرأة تفقد تركيزها، فهو كلام مردود عليه، فالمرأة إذا ارتكبت جناية أو جنحة وهـي حائض، فهل يؤاخذها القـانون والشـرع أو يعفـو عنهـا؟ والإجابة بالطبع أنها تعاقب مما لا يسـقط عنهـا التكليـف الشرعي.

والذي يقولون أن الحائض ليست طاهرة استنادا إلى آية (**ويسأَلُونَك عن الْمحِيض قُلْ هو أَذًى فَاعتَزِلُوا النسـاء فِي الْمحِيض ولاَ تَقْربوهن حتى يطْهرن)**، فهم يفسرون (**حتى يطْهرن)** أي حتى ينقطع الدم عـن المـرأة، فهـم يجعلـون الحيض حدثًا أصغر، ثم إن روايات البخاري ومسلم في هذا

الشأن تفيد أن على الحائض وضوء وتارة يقولون غسلا أو إزالة أثر الدم.. وهذا في حديث الرسول "خذي قرصة من مسك فتطهري بها".

ويواصل الشيخ وجهة نظره قائلاً أن المرأة تتساوى مع الرجل في كفارة القتل الخطأ.. فهي يمكن أن ترتكب جريمة قتل خطأ.. ومن كفارتها كما نص القرآن (**فَصِيام شَهرين متَتَابِعين**) ولم يختلف أحد على التتابع ومعناه، مثلما لم يختلفوا عليه في حكم الرجل الذي يظاهر زوجته، فكيف يطلب من المرأة إذا قتلت خطأ أن تصوم شهرين متتابعين إذا كان حيضها يمنعها من الصيام، ثم إنه في حالة القضاء يقولون للمرأة اقض الصوم ولا تقضي الصلاة، على اعتبار أن قضاء الصلاة فيه مشقة على المرأة.. لكن العلماء لم يتجاوزوا في قضاء الفوائت من الصلاة في غير أوقات الحيض، فلو لم تصل المرأة شهرا كاملاً طلب منها أن تقضيه.. والسؤال: كيف يشق على المرأة صلاة شهر كامل ويشق عليها قضاء بضعة أيام؟

ثم إن القرآن عندما حذر الرجال من النساء في المحيض قال لهم صراحة "فاعتزلوا النساء" أي لا تجامعوهن



أثناء الحيض فقط، وما كان القرآن يضيق عن أن يضيف إلى الآية منع النساء من الصلاة والصوم "لأن المنع من الجماع ليس للرجال فقط.. فالأمر فيه منع وحرمان للنساء أيضا من ممارسة الجنس، وكان يمكن للآية أن تمنع النساء من الجماع والصلاة والصوم إذا أراد ا ذلك.

يحاول الشيخ أن يعزز اجتهاده بقوله إن الصلاة والصوم أمر مباشر بالتكليف ولا يسقط هذا الأمر بالدليل الظني المتروك لمن يفهم، فالحدود في القرآن ليست مفتوحة للاجتهاد في الإنشاء والإسقاط، فمن المتفق عليه أن الذي يفرض الصلاة والصوم والذي يرخص للمريض والمسافر بالقصر في الصلاة وعدم الصوم وهو وحده الذي يملك إسقاط هذين الفرضين.

في كتابه فقه السنة يذهب السيد سابق إلى أنه لا يحل للحائض والنفساء أن تصوم، فإن صامت لا ينعقد صيامها ووقع باطلاً، ويجب عليها قضاء ما فاتها من أيام الحيض والنفاس في شهر رمضان، بخلاف ما فاتها من الصلاة، فإنه لا يجب عليها قضاءه دفعا للمشقة، فإن الصلاة يكثر تكرارها بخلاف الصوم، وهذا لحديث أبي سعيد الخدري قال: "خرج

رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمـر علـى النساء فقال: "يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار" فقلن: ولم يا رسول الله، قال: تكثرن اللعـن وتكفـرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجـل الحازم، قلن: بلى قال: فذلك من نقصان عقلهـا، ألـيس إذا حاضت لم تصل ولم تصم، قلن: بلى: قال: فـذلك نقصـان دينها"، وهو حديث رواه البخاري ومسلم.

حديث آخر عن معاذة هذه المرة قالت: سألت عائشة رضي الله عنها، فقلت: ما بال الحائض تقضي الصـوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: كان يصيبنا ذلك مـع رسـول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة"، هـذا كـلام السنة أو ما قيل أنه السنة، وهو كلام يراه الشيخ اضـطرابا في النصوص المنسوبة إلى النبي في البخاري أو مسلم.. ولا يقف أمام أحكام القرآن الواضحة.

عن نفسي لا أقف في خنـدق واحـد مـع الشـيخ المجتهد.. وإن كنت أرى فيما يقوله اجتهادا يستحق النظـر والمناقشة والتأمل، لقد كان غريبا أن يفتـي أسـتاذ جامعـة الأزهر بردة الشيخ لأنه قال رأيا مختلفًا استند فيه إلى آيـات

القرآن.. وكان مفروضا أن يدفع الرأي برأي.. لا أن يرفـع سيف الإرهاب والتعنت، أعرف أن الناس ليسوا في حاجـة لمن يحيرهم.. لكن عندما نجد من يقول أن المرأة الحـائض يمكن أن تصلي وتصوم.. مخالفًا بذلك ما استقر عليه النـاس ويقدم لنا ما يدعم كلامه.. فلابد أن يتحرك علماء الدين الذين يحبون الراحة ويعتبرون أي جديد ردة.. وأي اجتهاد خروجا على الإسلام تلزمه توبة!

الحائض لا تصلي ولا تصوم

الحائض لا تصلي ولا تصوم

تقول د. سعاد صالح أستاذه الفقه بجامعة الأزهـر: أحكام الشريعة الإسلامية تثبت بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وإجماع المسلمين وبالاجتهاد وإعمال العقل فيمـا لا نص فيه. قال تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً**) (النساء: ٥٩). وقال سبحانه: (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**) (النساء: ٦٥). وقال جل شأنه: (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**) (النحل: ٤٤).

وبعض هذه الأحكام ورد بأدلة قطعية الثبوت والدلالة كأحكام العبادات، وبعضها ورد بأدلة قطعية الثبوت وظنيـة الدلالة أو ظنية الثبوت والدلالة كأحكـام المعـاملات وفقـه الأسرة، وما ثبت بأدلة قطعية الثبوت والدلالة يسمى أحكامـا تعبدية أي يجب الامتثال لها دون الرجوع إلى العقـل لأنهـا

تثبت بما يفيد القطع واليقين. وكل ما كان عبادة فإنه يوقف فيه عند نص ما شرعه الله تعالى لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يقاس عليه ولا يؤخذ فيه برأي أحد ولا باجتهاده. إذ لو أبيح للناس الزيادة في شعائر الإسلام باجتهادهم في عموم لفظ أو قياس لأمكن أن تصير شعائر الإسلام أضعاف ما كانت عليه في عهد الرسول ﷺ حتى لا يفرق أكثر الناس بين الأصل المشرع والدخيل المبتدع. فكل من ابتدع شعيرة أو عبادة في الإسلام فهو ممن يصدق عليهم قول الله تعالى (**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**) (الشوري: ٢١). وقوله سبحانه: (**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا**) (الإسراء: ٣٦). وقوله سبحانه: (**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ**) (النحل: ١١٦).

وإنما الاجتهاد في مثل تحري القبلة من العمل التعبدي. ومن العبث أن يعمل الإنسان ما لا يعرف له فائدة كقول من هو مثله وهو مستعد، لأن يفهم كل ما يفهمه. ولا

يأتي هذا العبث في امتثال أمر ا تعالى لأننـا نعتقـد أنـه برحمته لا يشرع لنا إلا ما فيه خيرنا ومصلحتنا وأنه بعلمـه المحيط بكل شيء يعلم من ذلك ما لا نعلم.

وما يتعلق بالحيض والنفاس من أحكام يـدخل فـي دائرة هذا المحرم الذي لا يصلح فيه إعمال العقل أمام النص. لأن هذه الأحكام ثبتت بأدلة قطعية وأهمها إجماع فقهاء الأمة منذ زمن الرسول ﷺ وإلى الآن. وقد اتفق المسلمون على أن الحيض – ومثله النفاس – يمنع أربعة أشياء. الحكـم الأول: فعل الصلاة ووجوبها: أي أنه ليس على الحائض قضـاؤها بخلاف الصوم فإنه يسقط أداؤه لا قضاؤه. يدل على ذلك:

١- ما روي عن أبي سعيد في حديث له أن النبي ﷺ قال للنساء: أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجـل؟ قلـن بلى، قال: فذلكن من نقصان عقلها. ألـيس إذا حاضـت لـم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى قال: فذلكن من نقصـان دينهـا. (مختصر من البخاري). ووجه الدلالة قوله: لم تصـل ولـم تصم فيه إشعار بأن منع الحائض من الصوم والصلاة كـان ثابتًا بحكم الشرع قبل ذلك المجلس. والحديث يدل على عدم وجوب الصوم والصلاة حال حيضها وهو إجماع. ومن هنـا

فإن الحائض لا تأثم بترك صلاتها زمن الحيض لكنها ناقصة على المصلى وتثاب على هذا الترك لكونها مكلفة به.

٢- ما روي عن معاذة قالت: سألت عائشة رضي ا عنها فقلت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ فقلت: لست بحرورية ولكني أسأل. فقالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة. (أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه). والحرور نسبة إلى حروراء وهو موضع بظاهر الكوفة اجتمع فيه أوائل الخوارج، ثم كثر استعماله حتى استعمل في كل خارجي. وإنما قالت ذلك لأن مذهب الخوارج أن الحائض تقضي الصلاة.

وبين ابن القيم الحكمة من إيجاب قضاء الصوم دون الصلاة بقوله: أما إيجاب الصوم على الحائض دون الصلاة فمن تمام محاسن الشريعة وحكمتها ورعايتها لمصالح المكلفين. فإن الحيض لما كان منافيا للعبادة لم يشرع فيه فعلها، وكان في صلاتها أيام الطهر ما يغنيها عن صلاة أيام الحيض فيحصل لها مصلحة الصلاة في زمن الطهر لتكرارها كل يوم بخلاف الصوم، فإنه لا يتكرر وهو شهر

واحد في العام. فلو سقط عنها فعله بالحيض فلا سبيل إلى تدارك نظيره وفاتت عليها مصلحته فوجب عليها أن تصوم شهرا في طهرها لتحصل مصلحة الصوم التي هي من تمام رحمة ا بعباده وإحسانه إليهم بشرعه.

قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على إسقاط فرض الصلاة عن الحائض في أيام حيضها وعلى أن قضاء ما تركت من الصلاة في أيام حيضها غير واجب وذلك لقول النبي ﷺ في حديث فاطمة بنت أبي حيس: "إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة". وفي ذلك يقول الغزالي: "العزيمة الحكم الثابت على وفق الدليل، والرخصة الحكم الثابت على خلاف الدليل ولمعارض راجح. وإنما كان سقوط قضاء الصلاة عن الحائض عزيمة، لأنها مكلفة بترك الصلاة.

فإذا تركتها فقد امتثلت فقد امتثلت ما أمرت به من الترك فلم تكلف مع ذلك بالقضاء، ولا نقول الفرق بين الصوم والصلاة كثرتها وندرته فيكون إسقاط قضائها تخفيفًا ورخصة، بل سبب إسقاط قضائها ما ذكرنا. وهذه يقتضي إسقاط قضاء الصوم أيضا. لكن للشرع زيادة اعتناء بصوم رمضان فأوجب قضاءه بأمر محدود في وقت ثان. وتسميته

قضاء مجاز وهو في الحقيقة فرض مبتدأ. فمخالفة الدليل إن حصلت فهي في وجوب قضاء الصوم لا في عدم قضاء الصلاة. فتبين أن عدم قضاء الصلاة ليس رخصة.

أما الاستدلال بآيتي سورة المائدة وسورة النساء على وجوب الصلاة على الحائض، حيث لم يذكر من قريب أو بعيد منع الحائض من الصلاة فالجواب قياس الحائض على الجنابة من حيث إن كلاً منهما حدث أكبر يمنع الطهارة ويمنع صحة الصلاة ويمنع دخول المسجد والمكث فيه وقراءة القرآن والطواف ومس المصحف وغير ذلك.

أما الاستدلال بآيات الصوم، حيث توجه خطاب التكليف فيها لكل من شهد الشهر، ولم يستثن الحائض، فالجواب دخول الحائض في عموم قولهن تعالى: (**فَمن كَان مِنْكُم مريضا أَو علَى سفَرٍ فَعِدةٌ من أَيامٍ أُخَر**)، حيث جعل الشارع الحكيم من شروط صحة الصوم القدرة عليه فيسقط عنها الصوم صحة لا أداء. وحيث بين الفقهاء أن المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي إلى ضرر في النفس وليس المراد عين المرض. ومتى وجد الحيض في جزء من النهار فسد صوم ذلك اليوم سواء وجد في أوله أو في آخره. ومتى

نوت الحائض الصوم وأمسكت مع علمها بتحريم ذلك أثمت ولم يجزئها.

أما الاستدلال بآية سورة البقرة (**ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن**) على أن الحيض بعد انقطاعه يعد حدثًا أصغر ففيه مغالطة شديدة وبتر للآية، حيث قال سبحانه: (**فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم ا**) ويكون التطهر بالاغتسال وهذا يؤكد أن الحيض حدث أكبر. وأما الاستدلال بحديث الرسول ﷺ "فخذي فرصة من مسك فتطهري بها"، فإن ذلك استدلال بالسنة لا بالقرآن إلا أنه يفيد كيفية التطهر من الحيض بعد انقطاعه ولا يفيد أن الحيض حدث أصغر. مع العلم بأن الحدث الأصغر يمنع صحة الصلاة فما بالنا بالحدث الأكبر.

وأما الاستدلال بكفارة القتل الخطأ وهي الصيام شهرين متتابعين وهذا يفيد ضرورة صيام المرأة أثناء الشهرين، وهي حائض فالجواب على ذلك أن كفارة القتل الخطأ، كما ذكرها القرآن الكريم جعلت الصيام عند العجز عن أداء الدية فالأصل هو الدية لقوله تعالى: (**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن

قَتَلَ مؤْمِنًا خَطًَا فَتَحرير رقَبةٍ مؤْمِنَةٍ ودِيةٌ مسلمةٌ إِلى أَهلِهِ إِلا أَن يصدقُوا) (النساء: ٩٢).

أما عن تحذير القرآن للرجال بتحـريم وطء النسـاء أثناء الحيض فقط دون منع القرآن للحـائض أن تصـلي أو تصوم فيؤخذ ذلك الحكم من السنة الصحيحة المتواترة. ومـا بيناه من شرح وتفصيل يكفي في الرد على ذلك.

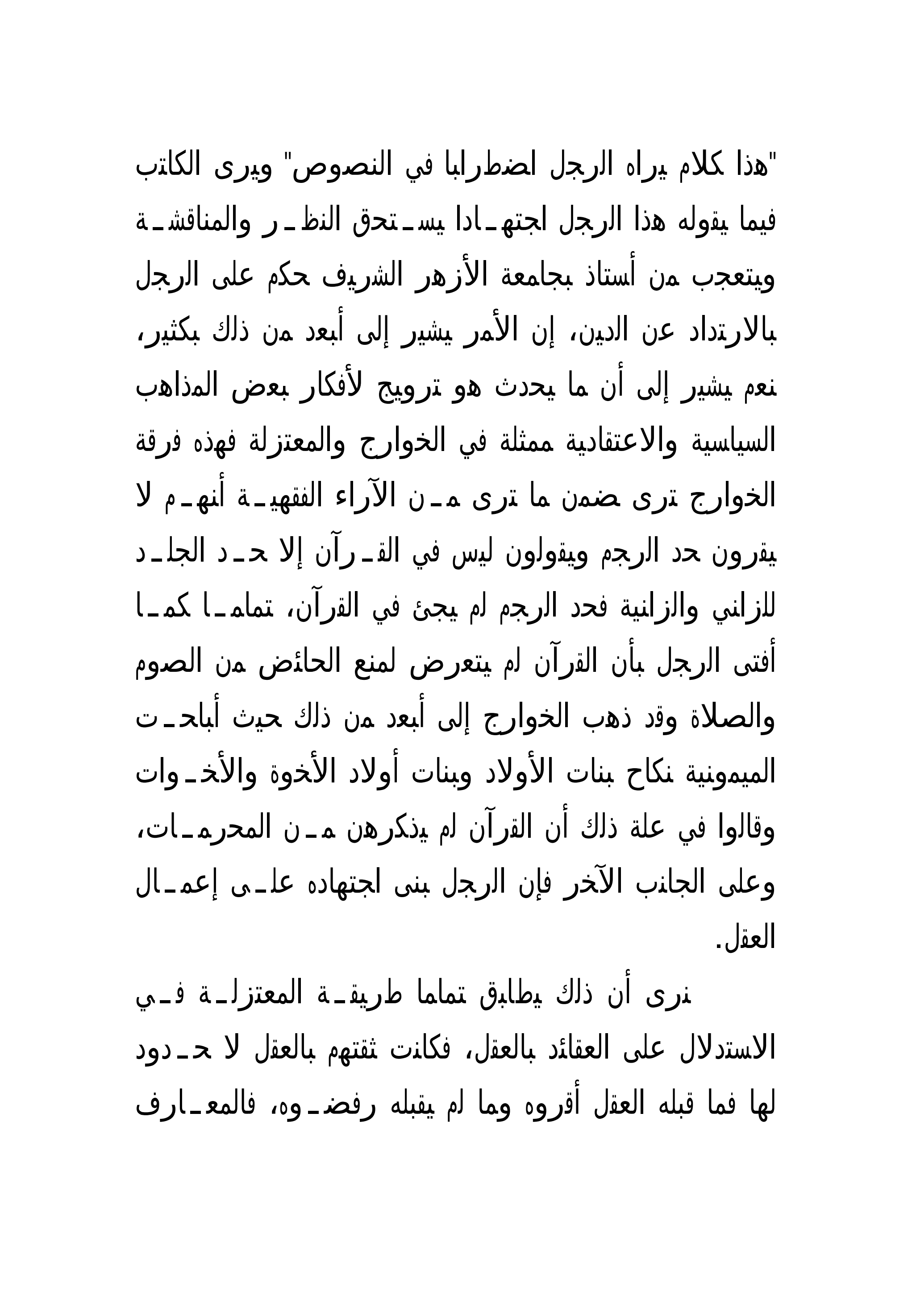
ومن المقرر شرعا أن السنة النبوية جاءت شارحة ومبينة ومفسرة ومخصصة ومقيدة ومؤسسة لأحكام لم ترد في القـرآن الكريم أصلاً كتوسيع التحريم بالرضاع ليشمل كل ما حرم مـن النسب على الرغم من أن القرآن لم يحرم من الرضـاع إلا الأم والأخت. وتحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وبيان كيفية الصلاة وكيفية أداء الحج. وما ثبت بالسنة في ذلك يكون فرضا، لأنه جاء لبيان فرض. وكذلك بيـان أنصـبة الزكاة والأموال التي تجب فيها والأصناف التي يجري فيها ربـا الفضل، وغير ذلك كثير وكثير. وصـدق ا العظـيم القائـل: (**وأَنْزلْنَا إِلَيك الذكْر لِتُبين لِلناس ما نُزلَ إِلَيهم ولَعلهم يتَفَكَّـرون)** (النحل: ٤٤) وقوله تعالى: (**وما ينطِقُ عن الْهوى * إِن هـو إِلا وحي يوحى * علمه شَدِيد الْقُوى)** (النجم: ٣ -٥). والحمـد الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا ا .

اعتداء على السنة

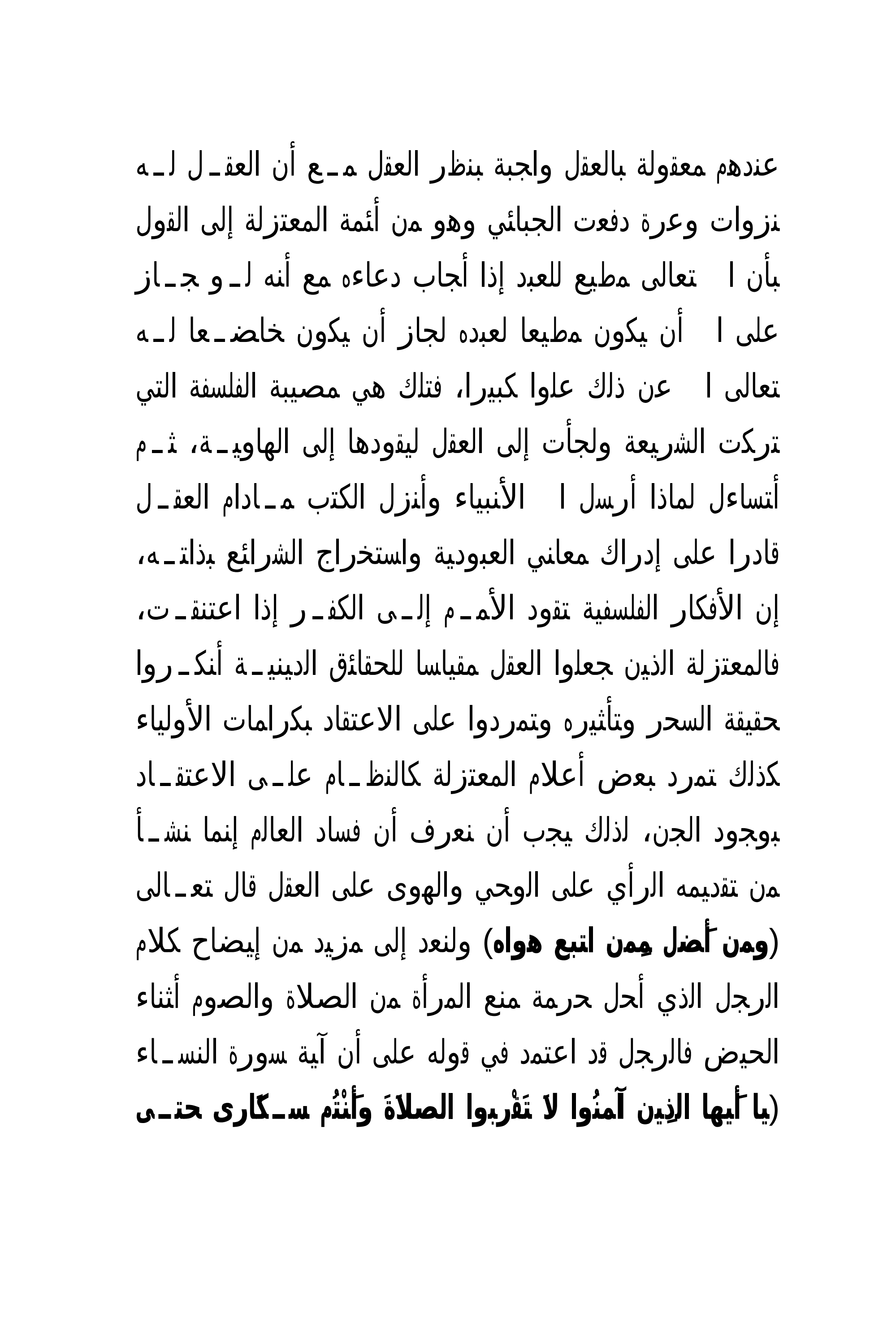
اعتداء على السنة!

يقول الكاتب الإسلامي إبراهيم عبد اللطيف – قرأت عنوان.. بالقرآن: من حق المرأة أن تصلي وتصـوم وهـي حائض) والقارئ لهذا العنوان لا تصيبه الدهشة فحسب وإنما يسيطر الذهول على كيانه لاسيما حينما يطـالع الموضـوع برمته ليرى أن أحد شيوخ وزارة الأوقاف قد تجرأ على ا فأحل ما حرم ا وأباح للمرأة أن تصـلي وتصـوم وهـي حائض وأنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة وهـو يعلـم علم اليقين أن السنة النبوية الشريفة هي ثاني مصادر التشريع بعد القرآن الكريم لقوله تعالى (**وما آتَاكُم الرسولُ فَخُذُوه وما نَهاكُم عنْه فَانْتَهوا**) فهي آية ممتد حكمها مع الزمـان كلـه ومعنى هذا أنها تشمل سنة الرسول ﷺ فكيف يقف هذا الرجل موقف المعارض تجاه حقيقة دينية ثابتة إلا أن يكون ا عز وجل ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة.

كيف يسمح رجل درس في الأزهر الشريف ويعمـل في وزارة الأوقاف أن يدعو إلى إنكار سنة سـيد الخلـق ﷺ فيقول بالحرف الواحد بعد استشهاده بأحاديث النبي الكريم ﷺ


"هذا كلام يراه الرجل اضطرابا في النصوص" ويرى الكاتب فيما يقوله هذا الرجل اجتهـادا يسـتحق النظـر والمناقشـة ويتعجب من أستاذ بجامعة الأزهر الشريف حكم على الرجل بالارتداد عن الدين، إن الأمر يشير إلى أبعد من ذلك بكثير، نعم يشير إلى أن ما يحدث هو ترويج لأفكار بعض المذاهب السياسية والاعتقادية ممثلة في الخوارج والمعتزلة فهذه فرقة الخوارج ترى ضمن ما ترى مـن الآراء الفقهيـة أنهـم لا يقرون حد الرجم ويقولون ليس في القـرآن إلا حـد الجلـد للزاني والزانية فحد الرجم لم يجئ في القرآن، تمامـا كمـا أفتى الرجل بأن القرآن لم يتعرض لمنع الحائض من الصوم والصلاة وقد ذهب الخوارج إلى أبعد من ذلك حيث أباحـت الميمونية نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الأخوة والأخـوات وقالوا في علة ذلك أن القرآن لم يذكرهن مـن المحرمـات، وعلى الجانب الآخر فإن الرجل بنى اجتهاده علـى إعمـال العقل.

نرى أن ذلك يطابق تماما طريقـة المعتزلـة فـي الاستدلال على العقائد بالعقل، فكانت ثقتهم بالعقل لا حـدود لها فما قبله العقل أقروه وما لم يقبله رفضـوه، فالمعـارف


عندهم معقولة بالعقل واجبة بنظر العقل مع أن العقل له نزوات وعرة دفعت الجبائي وهو من أئمة المعتزلة إلى القول بأن الله تعالى مطيع للعبد إذا أجاب دعاءه مع أنه لو جاز على الله أن يكون مطيعا لعبده لجاز أن يكون خاضعا له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فتلك هي مصيبة الفلسفة التي تركت الشريعة ولجأت إلى العقل ليقودها إلى الهاوية، ثم أتساءل لماذا أرسل الله الأنبياء وأنزل الكتب مادام العقل قادرا على إدراك معاني العبودية واستخراج الشرائع بذاته، إن الأفكار الفلسفية تقود الأمم إلى الكفر إذا اعتنقت، فالمعتزلة الذين جعلوا العقل مقياسا للحقائق الدينية أنكروا حقيقة السحر وتأثيره وتمردوا على الاعتقاد بكرامات الأولياء كذلك تمرد بعض أعلام المعتزلة كالنظام على الاعتقاد بوجود الجن، لذلك يجب أن نعرف أن فساد العالم إنما نشأ من تقديمه الرأي على الوحي والهوى على العقل قال تعالى (**ومن أضل ممن اتبع هواه**) ولنعد إلى مزيد من إيضاح كلام الرجل الذي أحل حرمة منع المرأة من الصلاة والصوم أثناء الحيض فالرجل قد اعتمد في قوله على أن آية سورة النساء (**يا أيها الذين آمنُوا لاَ تَقْربوا الصلاةَ وأَنتُم سكارى حتى**

تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا) (النساء: ٤٣).

والآية تتحدث عن حكم من أحكام الصلاة في المساجد قبل تحريم الخمر ثم بينت أنه لا يصح للجنب الاستقرار في المسجد إلا إذا كان عابرا حتى يتطهر بالاغتسال وفي حالة المرض أو السفر الذي يشق معه وجود الماء فاقصدوا التراب الطيب تلك هي الآية التي في سورة النساء التي يستدل الرجل بعدم إيرادها لحكم الحائض والآية الأخرى التي في سورة المائدة يقول تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا)** (المائدة: ٦).

والمعنى إذا أردتم القيام إلى الصـلاة ولـم تكونـوا متوضئين فتوضئوا بغسل وجوهكم وأيـديكم إلـى المرافـق وامسحوا برءوسكم كلها أو بعضها واغسـلوا أرجلكـم مـع الكعبين وإن كنت جنبا بسبب ملامسة النساء فاغسلوا جميـع جسدكم بالماء وإن كان منكم المريض الـذي يتـأذى عنـد استخدام الماء فعليكم بالتيمم عند الأعذار المذكورة).

لقد قدمت الآيتين مع إلقاء الضـوء علـى المعـاني ليتسنى للقارئ فهم مراد الحق سبحانه وتعالى وليتبـين لـه تعسف أهل الضلال فيما يقدمونه للناس من شذوذ فكري سقيم وأتساءل: هل يجبر العبد ربه أن يذكر حكمـا معينًـا فـي موضع معين حتى وإن أحال القرآن وبيان الحكم المراد إلى السنة؟ فإذا لم يحقق ربنا مرادنا كفرنا بما جاءنا من الحـق، هذا هو منهج ذلك الرجل مع أن القرآن الكريم يقول: (**ومـا كان لِمؤْمِنٍ ولاَ مؤْمِنَةٍ إِذَا قَضى ا ُ ورسولُه أَمرا أَن يكُون لَهم الْخِيرةُ مِن أَمرِهِم ومن يعصِ ا َ ورسوله فَقَـد ضـل ضلالاً مبِينًا**) صدق ا العظيم، ويقول تعـالى: (**مـن يطِـعِ الرسولَ فَقَد أَطَاع ا َ**) ويقول عز من قائل: (**فَـلا وربـك لاَ يؤْمِنُون حتى يحكموك فِيما شَجر بينَهم ثُـم لاَ يجِـدوا فِـي**

أَنْفُسِهِم حرجا مما قَضيتَ ويسلموا تَسلِيما) والحق سـبحانه وتعالى أوضح أحكام المحيض في السنة المشرفة إيضاحه لا مجال فيه لشك في أن المرأة يحرم عليها الصوم والصلاة في فترة حيضها ونفاسها وصاحب السنة هو الذي قال لـه ربـه (**وَأَنْزلْنَا إِلَيكَ الذكْر لِتُبين لِلناس ما نُزلَ إِلَـيهم**) أي أنزلنـا القرآن لتكون السنة مبينة له تبـين مجملـه وتقيـد مطلقـة وتخصص علمه وتوضح مشكله والسنة هي التي بينت عـدد الركعات في الصلاة ونصاب الزكاة وحرمت الجمـع بـين المرأة وعمتها أو خالتها وهي التي حرمت من الرضاع مـا حرم من النسب والسنة هي التي نهت عن أكل كل ذي نـاب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وهي التي أحلت ميتـة البحر في قوله ﷺ "هو الطهور ماؤه الحل ميتته" والسنة هـي التي اعتبرت الجنين في بطن الذبيحة قد أخذ حكم أمـه فـي الزكاة فقال صلوات ا وسلامه عليه "زكاة الجنين زكاة أمه" ولما قال تعالى: (**فَإِن كُن نِساء فَوقَ اثْنَتَين فَلَهن ثُلُثَـا مـا تَرك وإِن كَانَتْ واحِدةً فَلَها النصفُ**) وبقيت البنتان مسـكوتا عنهما فنقلت السنة حكمهما.

فعلى هذا الرجل أن يعرف أن تخصـيص الشـيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه ومعلوم أن قضـايا القرآن الكريم كلية مطلقة تكفي فيها الإشارة في مثـل قولـه تعالى (**ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض**) (المائدة: ٢٢٢). ليبين مدى ضرورة وغلـظ نجاسته التي لا يتناسب معها لقاء الرجـل بزوجتـه فكيـف يتناسب معه وقوف الحائض في حالة تلبسها بدم الحيض بين يدي خالقها سبحانه وتعالى إن كلام هذا الرجـل إذا اعتبـر اجتهادا فنحن نعتبره إلحادا بينا وكفرا بواحا وردة عن ديـن الإسلام وهذه طائفة من سنة رسول ا ﷺ توضح أن إحالـة أمر أحكام الحيض إلى السنة إيضاحه بقصد التخفيـف عـن المتلقين والذي سنتلمسه من خلال استعراض بعض الأحاديث الشريفة الواردة في هذا الشأن.

وهذا حديث يحدث عن عائشة أن امرأة من الأنصار سألت رسول ا ﷺ عن الغسل من المحيض فقـال: تأخـذ إحداكن ماءها وسدرها فتطهر، فتحسن الطهور أو تبلغ فـي الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكًا شديدا حتـى تبلـغ شئون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصـة ممسـكة

فتطهر بها، قالت السائلة، كيف أتطهر بها قـال سـبحان ا
"تطهري بها" قالت عائشة: تتبعي بها أثر الدم.. قالت وسألته
عن الغسل من الجنابة فقال تأخذن إحداكن ماءهـا فتطهـر
فتحسن الطهور أو تبلغ في الطهور حتى الماء على رأسـها
فتدلكه حتى تبلغ شئون رأسها ثم تفيض الماء على جسـدها
"فقالت عائشة نعم النساء الأنصار لـم يمـنعهن الحيـاء أن
يتفقهن في الدين.

وحينما استعرض هذا الرجل الحديث الذي سقناه الآن
قال "إن روايات البخاري ومسلم في هذا الشأن تفيد أن علـى
الحائض وضوء "كذا برفع المنصوب" وتارة يقولون غسلا أو
إزالة أثر الدم، وهذا في حديث الرسول خذي فرصـة مـن
مسك فتطهري به".

أقول لهذا الرجل إن أحدا من العلماء لم يقل بهذا ولم
نسمع أن النبي ﷺ أمر المرأة بأخذ قطعة من القطن المطلـي
بالمسك لتسد مسد الطهارة وإنما لتزيل ما أبقى الحيض مـن
تغير رائحة المكان فيكون استخدامها للمسك مبالغة في إزالة
هذا الأثر وليس كما يدعي هو فلا مانع مـن الجمـع بـين
الوضوء والغسل والتطيب بالمسك لتتم الفائدة مـن طهـارة

المرأة فالنبي ﷺ أمرها بالمبالغة في الطهور وصب الماء على رأسها وتدليك الرأس والبدن.

هذا حديث واحد بين حكما واحدا من أحكام الطهارة من الحيض.. ومعروف أن المرأة تحيض أو تستحيض أو تنفس فلكل حكمه الذي يناسب أن تتولى السنة المشرفة شرحه، وهذا حديث ثالث يبين حرمان الصلاة والصوم على الحائض، عن حبيبة بنت جحش، قالت: كنت أستحاض حيضة كثيرة طويلة: قالت فجئت إلى النبي ﷺ أستفتيه وأخبره قالت: فوجدته عند أختي زينب قالت: قلت يا رسول ا إن لي إليك حاجة قال: "وما هي أي هناه يعني يا هذه، قلت إني أستحاض حيضة طويلة كبيرة وقد منعتني الصلاة والصوم فما تأمرني فيها قال: أنعت اك الكرسف، فإنه يذهب الدم "فلولا علم السائلة بحرمة الصلاة والصوم لما قالت للنبي ﷺ "وقد منعتني الصلاة والصوم" ولو أن الصلاة والصوم جائزان مع الحيض لأشار إليها النبي ﷺ بالمحافظة عليهما وفي هذا الباب أكثر من عشرين حديثًا تتحدث عن الحيض وأحكامه وحرمة الصلاة والصيام معه، ويكفي أن نبينا ﷺ يقول "ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه ولا من

فاسق بين فسقه ولكني أخاف عليها رجلا قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه ثم يؤله على غير تأويله" وقال صلوات الله وسلامه عليه "يوشك رجل منكم متكئ على أريكته يحدث بحديث عني فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرمه رسوله الله ﷺ مثل الذي حرم الله" وقال تعالى (**واتْلُ عليهم نَبأ الذِي آتَينَاه آياتِنَا فَانْسلَخَ مِنْها فَأَتْبعه الشيطَان فَكَان مِن الْغَاوِين * ولَو شِئْنَا لَرفَعنَاه بِها ولَكِنه أَخْلَد إِلَى الأَرضِ واتبع هواه فَمثَلُه كَمثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحمِلْ علَيهِ يلْهثْ أَو تَتْركْه يلْهثْ ذَلِك مثَلُ الْقَومِ الذِين كَذبوا بِآياتِنَا فَاقْصصِ الْقَصص لَعلهم يتَفَكَرون**).

تعدد الزوجات في المسيحية!

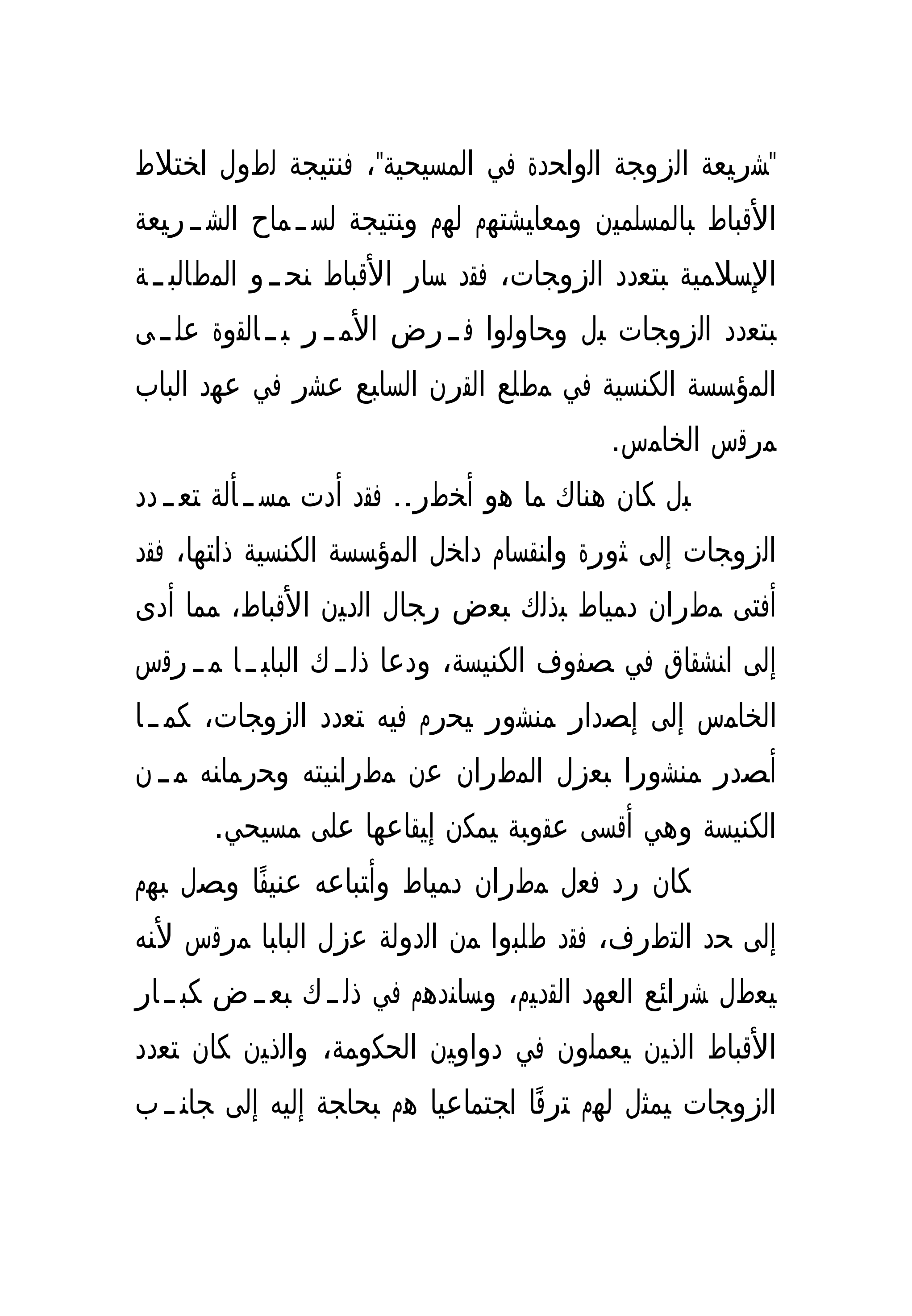
تعدد الزوجات في المسيحية!

لا تتوقف المفاجآت التي ترقد بين صفحات الكتب..

ولأننا شعب لا يقرأ ولا يهتم.. فإن كثيرا من المعلومات تمر علينا دون أن ننتبه لها، وكثيرا من الكتب تصدر دون أن نلقي لها بالاً.. فقط نردد أننا نعرف كل شيء.. مع أن الواقع أننا لا نعرف شيئا..

هذا الكلام ليست له مناسبة معينة.. سوى كتاب وقع بين يدي عن تاريخ الكنيسة المصرية.. كتبه رفيق حبيب ومحمد عفيفي.. لم يقصد المؤلفان أن يؤرخا لمؤسسة.. أن يفصلا تاريخ عقيدة.. أو ينشرا تاريخًا لجزء من الجماعة المصرية، فالمصريون جماعة واحدة ولهم تاريخ واحد، ولكنهما قصدا أن يكون كتابهما لكل المصريين – لأن الديانتين الإسلامية والمسيحية اختلطتا وامتزجتا.. وصارتا ثقافة واحدة.

المؤثرات الإسلامية على الكنيسة القبطية والأقباط كثيرة عبر صفحات الكتاب، لكن أهمها تلك المؤثرات التي اقتربت من الأحوال الشخصية للأقباط.. ووصلت إلى



"شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية"، فنتيجة لطول اختلاط الأقباط بالمسلمين ومعايشتهم لهم ونتيجة لسماح الشريعة الإسلامية بتعدد الزوجات، فقد سار الأقباط نحو المطالبة بتعدد الزوجات بل وحاولوا فرض الأمر بالقوة على المؤسسة الكنسية في مطلع القرن السابع عشر في عهد الباب مرقس الخامس.

بل كان هناك ما هو أخطر.. فقد أدت مسألة تعدد الزوجات إلى ثورة وانقسام داخل المؤسسة الكنسية ذاتها، فقد أفتى مطران دمياط بذلك بعض رجال الدين الأقباط، مما أدى إلى انشقاق في صفوف الكنيسة، ودعا ذلك البابا مرقس الخامس إلى إصدار منشور يحرم فيه تعدد الزوجات، كما أصدر منشورا بعزل المطران عن مطرانيته وحرمانه من الكنيسة وهي أقسى عقوبة يمكن إيقاعها على مسيحي.

كان رد فعل مطران دمياط وأتباعه عنيفًا وصل بهم إلى حد التطرف، فقد طلبوا من الدولة عزل البابا مرقس لأنه يعطل شرائع العهد القديم، وساندهم في ذلك بعض كبار الأقباط الذين يعملون في دواوين الحكومة، والذين كان تعدد الزوجات يمثل لهم ترفًا اجتماعيا هم بحاجة إليه إلى جانب

ثرائهم الاقتصادي، فأصدرت الدولة أوامرها بعـزل البابـا وإيداعه السجن.

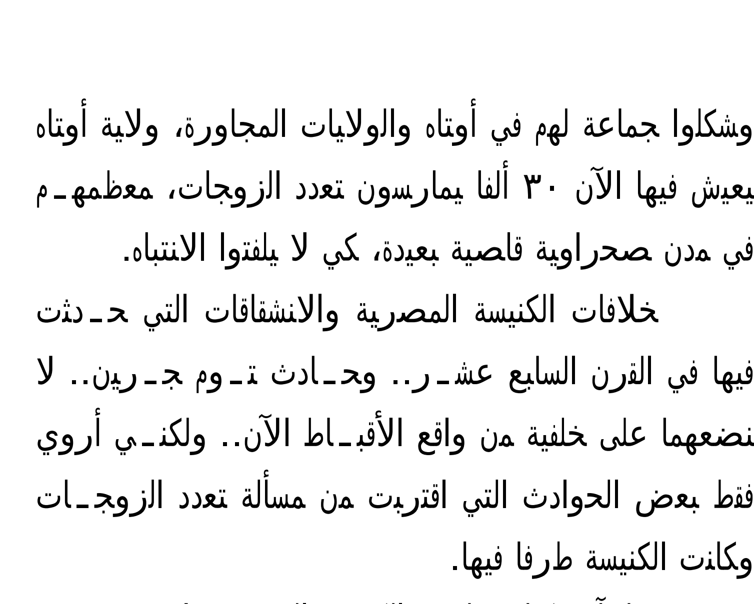
ولأنه كان لابد من تنصيب بابا جديد، فقـد نصـب المعارضون للبابا مرقس الخامس أحد الرهبان المؤيدين لتعدد الزوجات مكانه.. لكن المفاجأة أن الدعوة لتعـدد الزوجـات سرعان ما خفتت حدتها، وسرعان ما استطاع أنصار البابـا مرقس إعادته من جديد إلى كرسي البابوية.. ولم يكن هـذا يعني القضاء على تعدد الزوجات عند الأقباط كلية.. ولكنـه كان يعني نجاح الكنيسة في القضاء على الانشقاق الذي تـم في صفوفها..

بالقرب من هذه المعركة استمر بعض الأقبـاط فـي ممارسة تعدد الزوجات ولكن بعيدا عن أعين الكنيسة.. حيث لجئوا إلى القضاء الإسلامي الذي يبيح ذلك، حيث إن القاعدة الفقهية في هذا الوقت كانت ترى أن الأحوال الشخصية لأهل الذمة تسير وفقًا لشـرائعهم، إلا إذا لجئـوا إلـى القضـاء الإسلامي فتطبق عليهم الشريعة الإسلامية، ومن هنا دخـل بعض الأقباط من هذا الباب ليبيحوا لأنفسهم تعدد الزوجـات بعيدا عن سلطة الكنيسة!

موضوع تعدد الزوجات عند الأقباط في مصر مثـل النار التي تحت الرماد لكنها انفجرت بقوة عنـدما وجهـت السلطات الأمريكية عام ٢٠٠٣ إلى توم جرين – ٥٢ سنة – تهمة تعدد الزوجات.. توم دافع عـن نفسـه بـأن حقوقـه الدستورية تكفل له ممارسة قناعته الدينيـة كمـا يرغـب.. فيمكنه إنجاب ٥٠ طفلاً وطفلة وأن يكون لديه ١٢ زوجة.

توم جرين كـان ينتمـي إلـى طائفـة المورمـون المسيحية.. وهي طائفة تنتمي إلى كنيسـة "قديسـين الأيـام الأخيرة" ليسوع المسيح التي أسسها جوزيف سـميث عـام ١٨٣٠، وقد تزوج الأعضاء الأوائل فـي الكنيسـة الـذين استقروا في ولاية أوتاه في الأربعينيات من القـرن التاسـع عشر من عدة نساء. وكانت وجهة نظرهم فـي ذلـك أن ا يحثهم على الزواج من أكثر من امرأة لأن أنبياء العهد القديم تزوجوا من أكثر من امرأة.

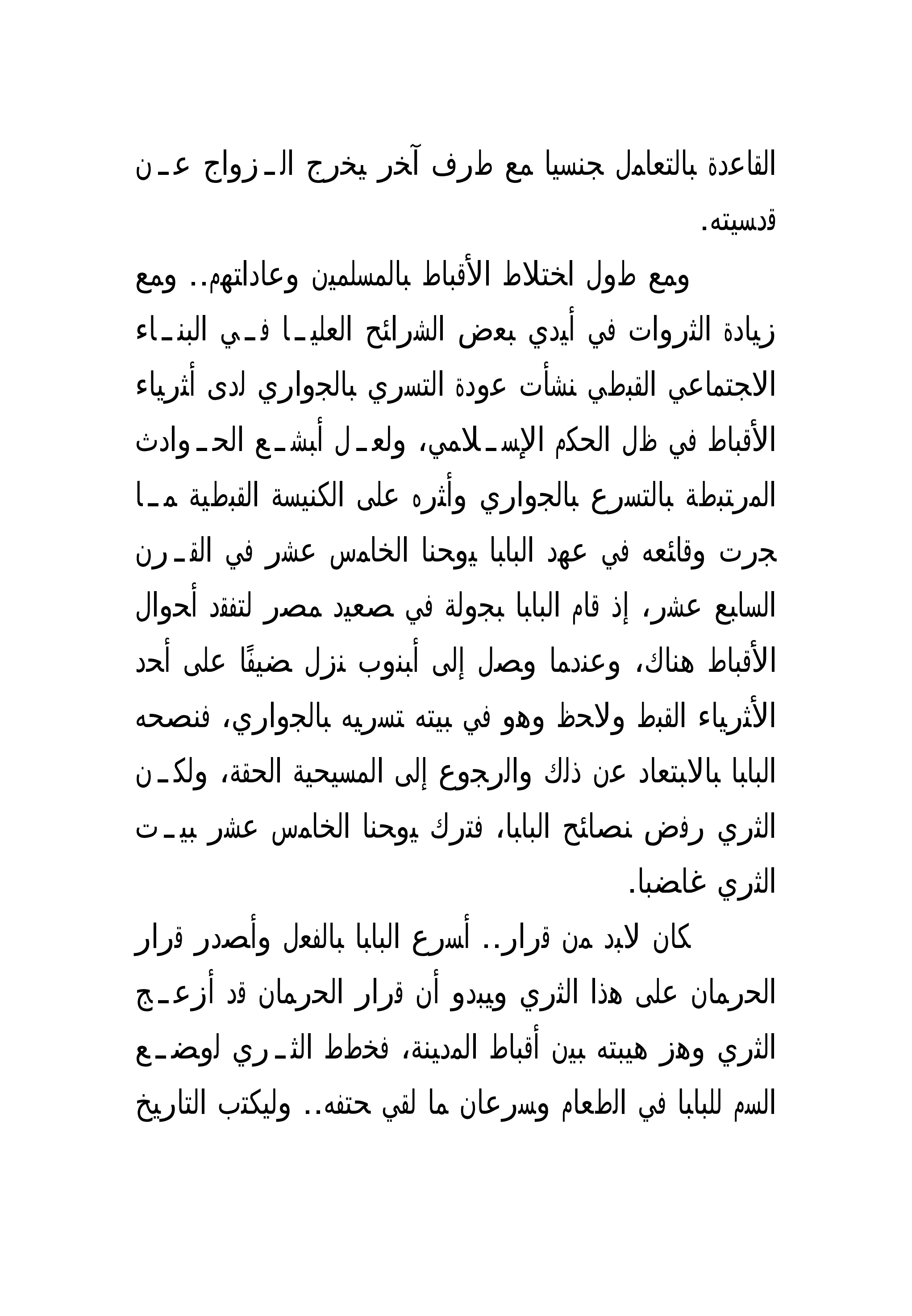
صحيح أن الكنيسة ألغت هـذا التقليـد عـام ١٨٩٠ عندما كانت أوتاه تسعى إلى الانضمام للولايات المتحدة، وتم تجريم تعدد الزوجات في دستور الولاية عام ١٨٩٦، إلا أن مجموعات من المورمون الأصوليين انشقوا عـن الكنيسـة



وشكلوا جماعة لهم في أوتاه والولايات المجاورة، ولاية أوتاه يعيش فيها الآن ٣٠ ألفا يمارسون تعدد الزوجات، معظمهم في مدن صحراوية قاصية بعيدة، كي لا يلفتوا الانتباه.

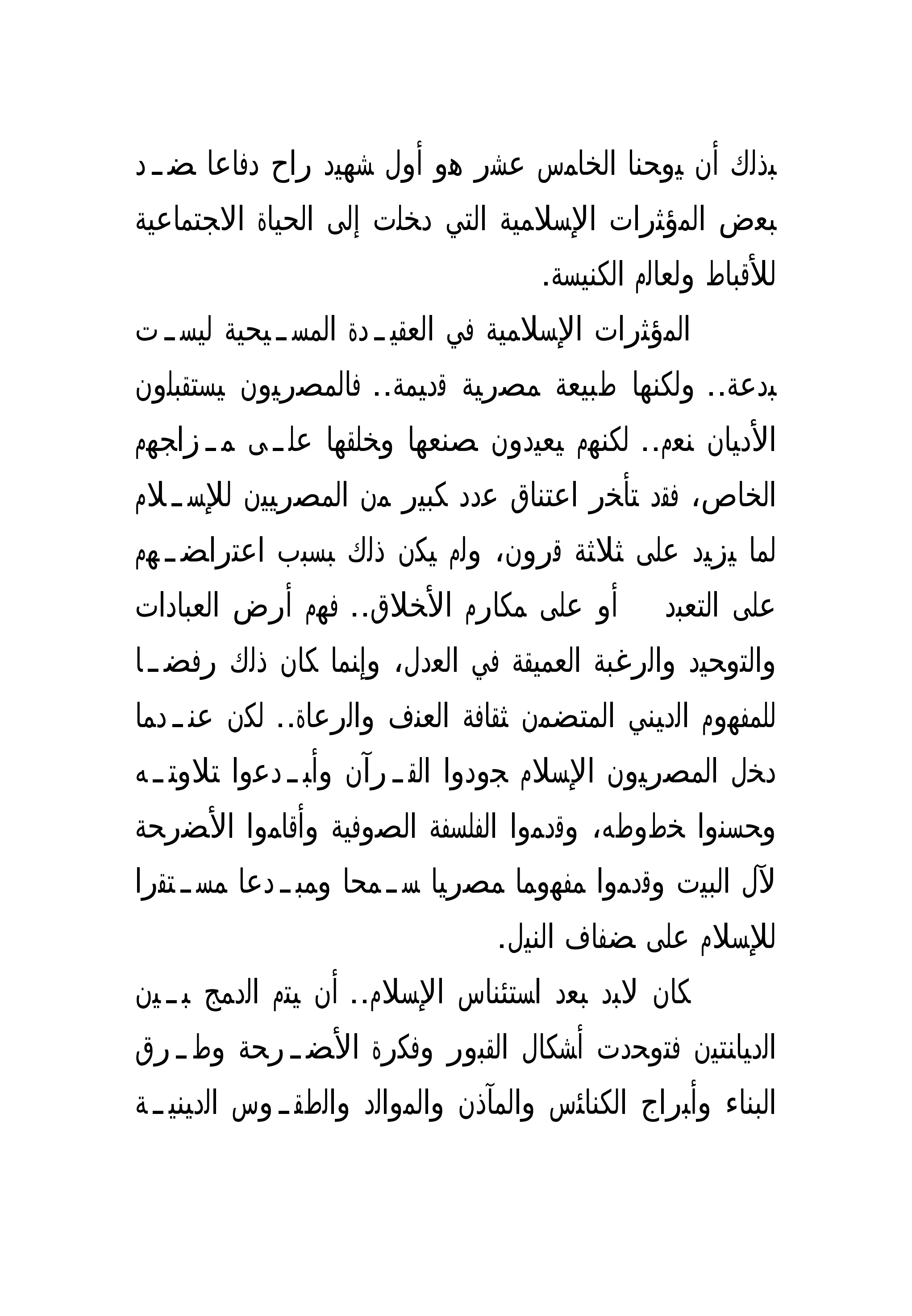
خلافات الكنيسة المصرية والانشقاقات التي حدثت فيها في القرن السابع عشر.. وحوادث تووم جرين.. لا نضعهما على خلفية من واقع الأقباط الآن.. ولكني أروي فقط بعض الحوادث التي اقتربت من مسألة تعدد الزوجات وكانت الكنيسة طرفا فيها.

مفاجآت كتاب تاريخ الكنيسة المصرية لا تتوقف.. فبعد أن نتجاوز قضية تعدد الزوجات نصل إلى الجواري، فمن المؤثرات الإسلامية التي بدأت في الزحف على الحياة القبطية مسألة التسري بالجواري.. أي اقتناء الجواري وممارسة الجنس معهن، وهو أمر يبيحه الإسلام ويضع له تشريعات تنظم أوضاعه، وعلى العكس من ذلك تماما في المسيحية فهي ترى أن خطورة الزنى في المسيحية أنه يفصم عرى الزواج أي أن الزنى يبطل الزواج، فالزواج في المسيحية علاقة مقدسة بين رجل واحد وامرأة واحدة مثلها مثل العلاقة بين المسيح والكنيسة، وأي خروج على هذه


القاعدة بالتعامل جنسيا مع طرف آخر يخرج الـزواج عـن قدسيته.

ومع طول اختلاط الأقباط بالمسلمين وعاداتهم.. ومع زيادة الثروات في أيدي بعض الشرائح العليـا فـي البنـاء الاجتماعي القبطي نشأت عودة التسري بالجواري لدى أثرياء الأقباط في ظل الحكم الإسـلامي، ولعـل أبشـع الحـوادث المرتبطة بالتسرع بالجواري وأثره على الكنيسة القبطية مـا جرت وقائعه في عهد البابا يوحنا الخامس عشر في القـرن السابع عشر، إذ قام البابا بجولة في صعيد مصر لتفقد أحوال الأقباط هناك، وعندما وصل إلى أبنوب نزل ضيفًا على أحد الأثرياء القبط ولاحظ وهو في بيته تسريه بالجواري، فنصحه البابا بالابتعاد عن ذلك والرجوع إلى المسيحية الحقة، ولكـن الثري رفض نصائح البابا، فترك يوحنا الخامس عشر بيـت الثري غاضبا.

كان لابد من قرار.. أسرع البابا بالفعل وأصدر قرار الحرمان على هذا الثري ويبدو أن قرار الحرمان قد أزعـج الثري وهز هيبته بين أقباط المدينة، فخطط الثـري لوضـع السم للبابا في الطعام وسرعان ما لقي حتفه.. وليكتب التاريخ



بذلك أن يوحنا الخامس عشر هو أول شهيد راح دفاعا ضـد بعض المؤثرات الإسلامية التي دخلت إلى الحياة الاجتماعية للأقباط ولعالم الكنيسة.

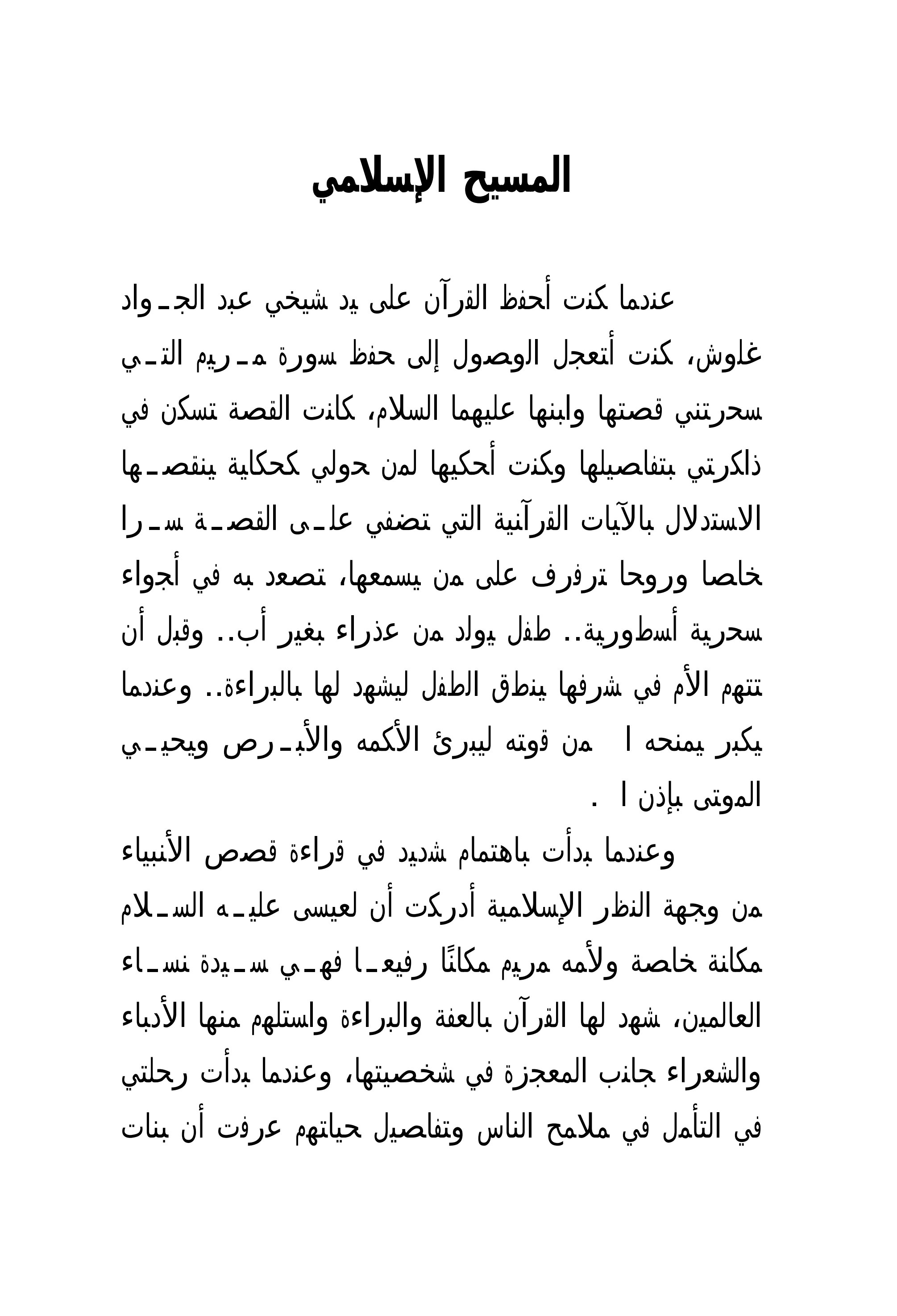
المؤثرات الإسلامية في العقيـدة المسـيحية ليسـت بدعة.. ولكنها طبيعة مصرية قديمة.. فالمصريون يستقبلون الأديان نعم.. لكنهم يعيدون صنعها وخلقها علـى مـزاجهم الخاص، فقد تأخر اعتناق عدد كبير من المصريين للإسـلام لما يزيد على ثلاثة قرون، ولم يكن ذلك بسبب اعتراضـهم على التعبد أو على مكارم الأخلاق.. فهم أرض العبادات والتوحيد والرغبة العميقة في العدل، وإنما كان ذلك رفضـا للمفهوم الديني المتضمن ثقافة العنف والرعاة.. لكن عنـدما دخل المصريون الإسلام جودوا القـرآن وأبـدعوا تلاوتـه وحسنوا خطوطه، وقدموا الفلسفة الصوفية وأقاموا الأضرحة لآل البيت وقدموا مفهوما مصريا سـمحا ومبـدعا مسـتقرا للإسلام على ضفاف النيل.

كان لابد بعد استئناس الإسلام.. أن يتم الدمج بـين الديانتين فتوحدت أشكال القبور وفكرة الأضـرحة وطـرق البناء وأبراج الكنائس والمآذن والموالد والطقـوس الدينيـة

الشعبية والترتيل بالعربية للقرآن وللصلوات الكنسية.. وكما خرجت فلسفة الرهبنة من مصر خرجت فلسفة الصوفية.. وكان المصريون مسلمين وأقباط يسعون إلى اعتناق معتقد شعبي واحد في مواجهة المعتقد الرسمي الذي جاءهم غازيا!

الكلام عن تعدد الزوجات والتسري بالجواري في المسيحية.. لا مقصد من ورائه إلا التأكيد على عبقرية الشعب المصري.. الذي يمتص كل ما يقدم إليه.. ليخرج منه رحيقًا خاصا به.. قد تهفو نفوس بعض الأقباط إلى تعدد الزوجات وقد يحلم أثرياؤهم بالتسري بالجواري.. لكن يظل ذلك في مساحة إنسانية ضيقة من الأمنيات المسكوت عنها.. فهم يعلمون أن الكنيسة لن تقبل ذلك.. رغم وجود فتاوى وتجارب في عهود سابقة سعت إلى جعل تعدد الزوجات أمرا مشروعا.. ومن التسري بالجواري واقعا ملموسا!

المسيح الإسلامي



المسيح الإسلامي

عندما كنت أحفظ القرآن على يد شيخي عبد الجـواد غلوش، كنت أتعجل الوصول إلى حفظ سورة مـريم التـي سحرتني قصتها وابنها عليهما السلام، كانت القصة تسكن في ذاكرتي بتفاصيلها وكنت أحكيها لمن حولي كحكاية ينقصـها الاستدلال بالآيات القرآنية التي تضفي علـى القصـة سـرا خاصا وروحا ترفرف على من يسمعها، تصعد به في أجواء سحرية أسطورية.. طفل يولد من عذراء بغير أب.. وقبل أن تتهم الأم في شرفها ينطق الطفل ليشهد لها بالبراءة.. وعندما يكبر يمنحه ا من قوته ليبرئ الأكمه والأبـرص ويحيـي الموتى بإذن ا .

وعندما بدأت باهتمام شديد في قراءة قصص الأنبياء من وجهة النظر الإسلامية أدركت أن لعيسى عليـه السـلام مكانة خاصة ولأمه مريم مكانًا رفيعـا فهـي سـيدة نسـاء العالمين، شهد لها القرآن بالعفة والبراءة واستلهم منها الأدباء والشعراء جانب المعجزة في شخصيتها، وعندما بدأت رحلتي في التأمل في ملامح الناس وتفاصيل حياتهم عرفت أن بنات

المسلمين يحملون في صدورهم عشقًا خاصا للسيدة العـذراء ولا تتردد بعضهن في وضع صورتها بنهاية سلسلة يعلقونها في رقابهن.

تجسدت هذه المعاني أمامي وأنا أزور دير العـذراء بجبل الطير في سمالوط بمحافظة المنيا، لم يكن الزائرون من الأقباط.. ولكن كان هناك عدد كبير من المسـلمين ذهبـوا حاملين مشاكلهم ليضعوها على أعتاب الدير علهم يجدون لها حلاً شافيا ببركة العذراء مريم، كان المسلمون يحيون السيدة مريم وابنها عيسى عليهما السـلام بطـريقتهم الخاصـة.. يقرءون لهما الفاتحة، ثم يدعون ا أن ينـالهم بعضـا مـن بركتهما التي ترجمها القرآن العظيم ببعض آياته وسنة النبي ﷺ بأحاديث لا تخطئها أذن ولا تجهلها عين.

وضعت كل هذه المعاني أمامي وأنا أقرأ كتابا مهمـا للغاية جمع مادته وعلق عليها طريف الخالدي وصدر عـام ٢٠٠١ باللغة الإنجليزية.. ثم ترجم إلى اللغة العربية وصدر عام ٢٠٠٤ عن دار النهار البيروتية، الكتاب يحمل عنوانًـا دالاً هو "الإنجيل برواية المسلمين".. ومنذ البدايـة يتحـدث طريف الخالدي عن هدف كتابه يقول: كان هدفي في الأساس

عند تجميع مادة كتابي إبراز صورة المسيح غير المعروفـة بشكل جيد خارج المدونات الإسلامية، وقد تثير هذه الصورة فضول أولئك الذين يهمهم فهـم كيـف أن حضـارة دينيـة كالإسلام توقر شخص المسيح وفـي ذات الوقـت تـرفض ألوهيته بشكل قاطع.. والمسيح في كتابي يشبه فـي بعـض النواحي المسيح وفقًا للتراث الإنجيلي، كما يختلف عنه فـي نواح أخرى.. والسؤال الأساسي الذي يدور حولـه الكتـاب هو: كيف ومتى ظهر الإنجيل الإسلامي؟ من عادتي عنـدما أعرض كتابا جديدا لقرائي ألا أتدخل كثيـرا بيـنهم وبـين المؤلف.. كل ما أفعله أنني أقدم لهم عصـارة الكتـاب دون تعليق ولا أظهر لهم إلا عندما يحتاج الأمر إلى ظهـوري.. أضع أمامهم أفكار صاحب الكتاب ثم أترك لهم حرية تكوين الرأي عما قرءوا، لا أصادر عليهم رأيهم.. ولا أقودهم إلـى فكرة بعينها.. وهذا ما سـأفعله الآن مـع كتـاب طريـف الخالدي.. قد تزعجكم أفكاره.. وقد تقلقكم أخباره.. لكنها في النهاية أمامكم دون أن يحجبها أحد عنكم.

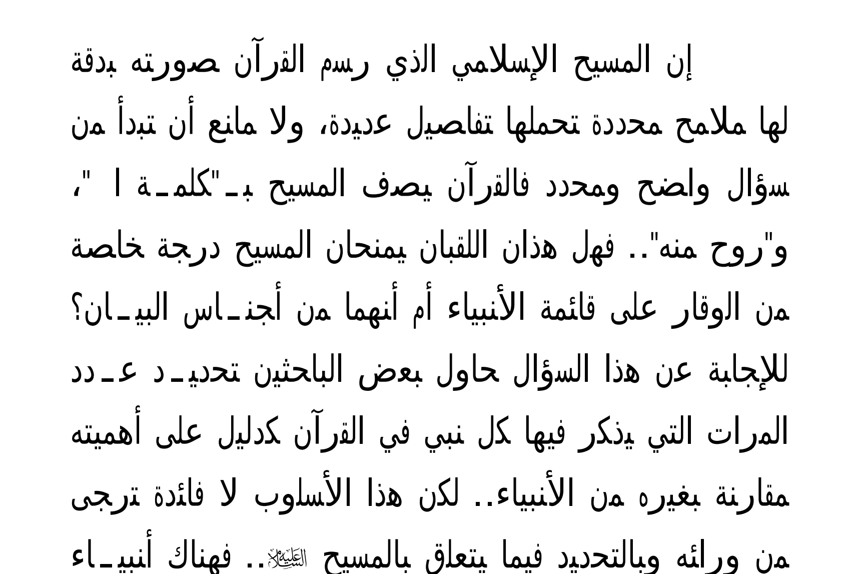
والآن أنتم وجها لوجه مع القصة الكاملة..

تبلورت صورة المسيح في الإسلام من خلال حديث القرآن عنه.. وقد ظهر الإسلام في زمان ومكان كانت فيـه شخصية المسيح معروفـة جـدا.. حيـث تظهـر النقـوش والمصادر السريانية والأثيوبية والبيزنطية والدراسات الحديثة للشعر الجاهلي ومؤلفات إسلامية قديمة.. أنه كانـت هنـاك فرق وجماعات مسيحية متعددة في شبه الجزيرة العربية وما حولها من الأمصار قبل ذلك الإسلام.. ويفسر ذلـك وجـود صور عديدة ومختلفة للمسيح.. ومنطقي أن نقول أنـه عنـد ظهور الإسلام لم تكن في الشرق الأدنى كنيسة موحدة تطبق تعاليم المجامع المسيحية بخصوص الاعتقاد المسـيحي.. أو بمعنى آخر أكثر دقة فالإسلام ولد وسـط تشـرذم مسـيحي بعضه عدائي جدا لبعضه الآخر وغير منصهر فـي إطـار كنيسة عالمية واحدة.

إن الصورة التي رسمها المستشرقون للمسيح عليه السلام من خلال القرآن تركز على أن أصولها من الأناجيل المسـيحية المنحولة أو على الأقل من أفكار فرق مسيحية هرطوقيـة أو يهودية.. مسيحية كانت عاملة مع بدايات القرن العشـرين.. وقد نما هذا التصور انطلاقـًا مـن حجـة اعتمـد عليهـا

المستشرقون وهي أنه كانت للرسول ﷺ صورة مشوشة عـن المسيحية، ربما أخذها عن فرق مسـيحية.. وعليـه يـرى المستشرقون (ببجاحة لا يحسدون عليها) أن كـل القصـص والأخبار عن المسيح التي رواها النبي هي خرافات وأوهام.. أو هي مادة مأخوذة من الأناجيل التي على المرء أن يتصور أنها كانت متداولة بسهولة في المناطق شبه المعزولـة مـن العالم البيزنطي.

وفي خلاف حاد بين المستشرقين رأى بعضـهم أن المسيح شغل مكانة مرموقة بين الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن، لكن مستشرقين آخرين رفضوا فكرة أن القرآن مـن الأساس يبرز المسيح بصورة خاصة مقارنة بأنبياء آخـرين كإبراهيم وموسى ويوسف وداود عليهم السلام وهـم أنبيـاء يمتلكون مكانة مرموقة في القرآن.. وعندما يصل البحث إلى علم اللاهوت المسيحي فإن بعض المستشرقين يزعمـون أن مفهوم الفداء عند المسيحيين غائـب تمامـا عنـد المسـيح القرآني.. وعليه فمن المستحيل التوصل إلى مصالحة كاملـة بين الإسلام والمسيحية.


إن المسيح الإسلامي الذي رسم القرآن صورته بدقة لها ملامح محددة تحملها تفاصيل عديدة، ولا مانع أن تبدأ من سؤال واضح ومحدد فالقرآن يصف المسيح بـ"كلمة ا "، و"روح منه".. فهل هذان اللقبان يمنحان المسيح درجة خاصة من الوقار على قائمة الأنبياء أم أنهما من أجناس البيان؟ للإجابة عن هذا السؤال حاول بعض الباحثين تحديد عدد المرات التي يذكر فيها كل نبي في القرآن كدليل على أهميته مقارنة بغيره من الأنبياء.. لكن هذا الأسلوب لا فائدة ترجى من ورائه وبالتحديد فيما يتعلق بالمسيح عليه السلام.. فهناك أنبياء مثل إبراهيم وموسى ويوسف قد يكون لهم ذكر عددي أكبر، لكن عندما يتعلق الأمر بالتأثير والإيحاء والفعالية والدلالة فهذه أمور لا يمكن قياسها عدديا.

النظر إلى المسيح يختلف، ففي حين لا يجد يهودي متدين معاصر شيئا يعترض عليه في طريقة وصف القرآن لموسى ويوسف وداود.. فإن اليهودي المتدين يمكن أن يعترض على صورة المسيح القرآني، لأنه وبالتوصيف الإسلامي شخصية مثيرة للجدل، فهو النبي الوحيد في القرآن الذي يبتعد بنفسه عما يعتقده أتباعه فيه، فالقرآن يقول عن

المسيح: "مطهرك".. أي أن ا سـيطهره مـن المعتقـدات الفاسدة لأتباعه، وهناك ما هو أكثر فالمسيح سيلعب بنفسـه دورا في هذا التطهير.. ففي القرآن ينفي المسيح أية مسئولية له في إشاعة معتقد الثالوث الأقدس.. وا نفسه ينفي حدوث الصلب، وبذلك فهو ينفي أن يكون اليهود قتلوا المسيح.. فما حدث أن ا رفعه إليه منجيا إياه منهم.. ليظل الرفع ولـيس الصلب رمزا لأهم اللحظات في حياة عيسى وفقًا للقرآن.

إن القرآن ينبذ معتقد الثالوث الأقدس ويصفه بمذهب عبادة آلهة ثلاثة.. وتدلل على ذلك الآيـة التـي تـم فيهـا استنطاق المسيح من قبل ا (**وإِذْ قَالَ ا ُ يا عِيسى ابن مريم أَأَنْتَ قُلْتَ ِللناس اتخِذُونِي وأُمي ِإلَهين مِـن دون ا ِ قَـالَ سبحانَك ما يكُون ِلي أَن أَقُولَ ما لَيس ِلي بِحق ِإن كُنتُ قُلْتُه فَقَد علِمتَه تَعلَم ما ِفي نَفْسِي ولاَ أَعلَم ما ِفي نَفْسِك ِإنك أَنتَ علام الْغُيوبِ**)، هذه الآية بما تحمل من دلالات هي الأكثـر جدلاً.. فالقرآن يلخص عقيدة هدفها وضع حد للنزاع والجدال المستمرين بين أتباع أهل الكتاب.

ويظهر المسيح في القرآن من خلال أربعة أقسـام، قصص عن ولادته وطفولته وأخبار عن عجائبه ومعجزاتـه

وحوارات بينه وبين ا أو بينه وبين بني إسرائيل، ثم كـلام إلهي يؤكد أنه بشر وعبد من عباد ا ويعرف مكانتـه بـين أنبياء ا ويهدف كذلك للتشديد على ضرورة نبذ الغلو فـي الإيمان به.. بالنسبة للقسمين الأولين ليس هناك مـا يـدعو للشك أن القصص الـواردة فيهمـا تشـبه كثيـرا قصـص الأناجيل.. فولادة المسيح من العذراء والتي في القرآن حدثت تحت جذع النخلة والكلمات التي يقولها وهو رضيع في المهد هي آيات تشير إلى النعمة الإلهية المعطاة له ولوالدته، أمـا عجائبه في القرآن فهي غير موجودة بإسهاب بقدر ما جاءت للتذكير بالقوة التي جعلها ا فيه لشفاء المرضـى وإحيـاء الموتى.

وعلى عكس الأناجيل يميل القرآن إلى التركيز على ولادة المسيح المباركة أكثر من آلامه في أيامـه الأخيـرة.. ولذلك يكثر الكلام عنه بعبارة "ابن مريم" وكثيرا ما نجده إلى جوار أمه فهي بجانبه تؤكد ولادته العجائبية، أما موته فهـو أمر لا يقل غرابة إذ يرفعه ا إليه لأنـه ووفقًـا للتصـور الإسلامي لا يزال ينتظر تكملة دوره مع قرب نهاية العالم.

أما طريق كلامه والخطاب الإلهي عنه فتبدو وكأنها تحاكي تجربة النبي محمد وهي تبدو مدبرة لتشير إلـى أنـه مجرد عبد من عباد ا ، والمسيح نفسـه لا يسـتهين بهـذه الصفات أو بهذه الحقيقة.. فنحن نجده متواضعا جـدا تجـاه والدته.. ونجده يحمل رسالة إلهية تثبت وحدانية ا وتؤكد ما سبقها من رسائل، والعدد الأكبر من الإشارات القرآنية إلـى المسيح يأتي في إطار تصريحات إلهية تتكلم عنه وبالنيابـة عنه، وهي تصريحات تذكر المسيح نفسه وتذكر البشرية بأن ا هو الخالق الحقيقي ومقرر حياة ومصير المسيح والبشرية جمعاء.. ويظهر المسيح من خلال ذلك بصورة "المطهر" من تحريفات أتباعه فهو النبي الوفي المطيع لخالقه مخالفًا بـذلك صورة المسيح المصلوب.

هذا عن المسيح القرآني.. أمـا عـن المسـيح فـي الكتابات الإسلامية وعند رواة الحديث وكتاب قصص الأنبياء فهناك مسيح نهاية العالم يتربع معززا فـي كتـب الحـديث الصحيحة وهو بذلك يصبح هامشيا فيما يتعلق بأمور العبـادة والتقوى الإسلامية، وهناك مسيح آخر مزدهر في كتب الزهد والتقوى.. ويلعب هذا المسيح الثاني دورا مركزيا ليس فقـط

كمعلم للأخلاق. ولكن أيضا كطرف فاعل في النقاش الإسلامي الداخلي، فالمسيح الآخر هو مسيح التقوى والعبادة الذي استمرت أخباره وقصصه في الظهور في الأدبيات العربية الإسلامية حتى العصر ما قبل الحديث أي حتى القرن الثامن عشر وأخباره وقصصه هي التي نسميها الإنجيل الإسلامي.

ولا يظهر المسيح وحده في أدبيات الزهد والتقوى، إذ معه أنبياء آخرون تنسب إليهم أيضا أخبار وقصص أهمهم موسى وداود وسليمان وأيوب ولقمان ويحيى.. هذا غير أحاديث في كتب الزهد والتقوى المبكرة منسوبة إلى الرسول ﷺ ومجموعة أقوال منسوبة إلى جماعة من الصحابة ومشاهير الأولياء من صدر الإسلام، وهذا الكم يشبه كتب عيون الأخبار في الأدب وبالعادة هو مقسم إلى أبواب كفضل العبادة والحزن والبكاء وأمور الدنيا والآخرة والخشية والخوف من ا والتواضع وفضائل الصمت والأخلاق وذكر الموت وفضائل الفقر والتوبة، ويمكن اعتبار هذه الأبواب بشكل أو بآخر خلاصة للموضوعات التي شغلت أوساط الزهاد المسلمين الأوائل.

وعند فحص تراجم رواة الأخبار الأولى عن المسيح نجد أن حياتهم العملية هي من فترة نصف القرن الإسـلامي الأول إلى نصف القرن الثاني، ووفقًا للتقليد الإسلامي الشائع في علم الطبقات يكون تصنيفهم إما التابعين أو تابعي التابعين وفي معظم الحالات يروي هؤلاء الرواة الأخبار والقصـص عن المسيح على مسئوليتهم الشخصية دون إسنادها إلى أحـد صحابة النبي ﷺ، وهم الذين يمر عبـرهم عـادة الحـديث النبوي، بمعنى آخر إن أخبار المسيح تم تناقلها في أوسـاط المسلمين بحرية دون تطبيق للمقاييس المتشددة التـي كـان يتوقع من الحديث النبوي الالتزام بها.

وتشير كل الاحتمالات إلى أن مكان ظهور المسـيح بصورته الإسلامية المحددة هو العراق وبالتحديد في مدينـة الكوفة، فمعظم الرواة المؤسسين لأخبار وقصص المسيح في التراث الإسلامي من أهل الكوفة ولم يكن هذا غريبا فالكوفة في صدر الإسلام كانت مسرحا أساسيا لنشوء وتطور عـدد كبير من العلوم الإسلامية كالحديث والتفسير والكلام والفقـه وكذلك العلوم العلمانية كالنحو والتاريخ والأنسـاب والأدب.

وكانت الكوفة أيضا الموطن الرئيسي الذي انطلقت منه المدرستان اللتان أنتجتا فيما بعد المذهبين السني والشيعي.

ومما يلاحظ أن كتب التراجم تضفي على معظم هؤلاء الرواة الكوفيين صفة الزهاد والعباد وتعرف الكثير منهم بأنهم وعاظ أو قراء وتنسب إليهم خطبا أخلاقية قصيرة، وكان هؤلاء الوعاظ والزهاد أوعية متنقلة للعلم، رحلوا من مكان إلى آخر مؤنبين الحكام المحليين حيث حلوا، أو معتزلين الحياة السياسية ومعلنين صدمتهم ورفضهم لحياة البذخ والتدهور الأخلاقي للطبقة الحاكمة وكان جوهر تعاليمهم يتمحور حول التقوى الذاتية، ولذلك نجد في المجموعة الأولى من أخبار الإنجيل الإسلامي الكثير من النقد للعلماء الذين يستخدمون الدين للتضليل أو الذين يقولون ما لا يفعلون، ورفض معظم هؤلاء الوعاظ والزهاد المسلمون خدمة الدولة حتى في أمور كالقضاء والفقه، كما كان الأمر مع زهاد الصحراء المسيحيين في مصر في القرنين الرابع والخامس للميلاد الذين كانوا دائما على خلاف مع الكنيسة الرسمية ورفضوا العمل كأساقفة ومطارنة، لذلك وجد هؤلاء الوعاظ والزهاد المسلمون في أخبار الأناجيل عن

المسيح وصراعه المتكرر مع الفريسيين مادة خصـبة بنـوا عليها الكثير من أمثلتهم الأخلاقية، ولم يكن هناك مـن نبـي أكثر من المسيح يجسد الصراع بين النص والـروح، بـين الإنسان والمخلوق لخدمة نهار السبت ونهار السبت الموجود لخدمة الإنسان وبين ممالك الدنيا وملكوت السموات.

إن القصص والأخبار الأولى عن المسـيح وعـددها يصل إلى ٨٥ خبرا تقريبا نجدها في كتابين أساسـيين فـي الزهد والتقوى وهما كتاب: "الزهد والرقائق لعبـد ا بـن المبارك" وكتاب: "الزهد لأحمد بن حنبل" ويمكن تقسيمها إلى أربع مجموعات.

- المجموعة الأولى تعلي من دور المسيح في نهاية العالم وهو ما يشير إليه القرآن بشكل عام وتشير هذه الأخبار إلى أن المسيح ليس بأعلم من أي بشر آخر عن وقت قيـام الساعة، فذكر الساعة يثير الرعب فيه ويحمله على تكثيـف الصلاة "كان عيسى بن مريم إذا ذكر الساعة صاح ويقول: لا ينبغي لابن مريم أن تذكر عنده الساعة فيسكت" وفـي يـوم القيامة سيكون المسيح هو الشـخص الـذي يلتقـي حولـه المؤمنون تحديدا "الفرارون يجمعون إلى عيسـى ﵇ يـوم

القيامة" وبمعنى أوضح سيكون المسيح عـراب كـل الـذين رفضوا الدنيا وما فيها خوفًا من الفساد الأخلاقي.

- المجموعة الثانية تشمل أحاديـث وقصصـا مـن الأناجيل إما موسعة أو معدلة بطريقة تعطيها طابعا إسلاميا، وهذه الأحاديث والأخبار من أصل إنجيلي كانـت متـوفرة أساسا كجزء من مجموعة من أقوال المسيح، ربما في إطار كتاب يتضمن فصولاً من الإنجيل لغرض القداس، أو كانـت معروفة كجزء من مادة الأناجيل في أوساط حلقـات الزهـد والتقوى الإسلامية، وتحوي هذه المجموعة أقوالاً مثل: "أنتم ملح الأرض" و"انظروا إلى طيور السماء" و"إذا تصدقت فلا تعلم شمالك ما تفعل يمينك" و"اكنزوا كنوزا في السماء فحيث يكون كنزك يكون قلبك" و"طوبى للبطن الذي حماك وللثديين الذين رضعتهما" و"تتلمذوا لي فإني وديع متواضع القلب".

وقد تمت بعد ذلك أسلمة أقوال المسيح ضمن الإنجيل الإسلامي، ففي إنجيل متى يجيب المسيح المرأة التي باركته بقوله: "بل طوبى لمن يسمع كلمـة ا ويحفظهـا"... وفـي الإنجيل الإسلامي تأتي إجابة المسيح أكثر تحديـدا وبنكهـة إسلامية واضحة: "طوبى لمن قرأ القرآن ثم عمل بما فيه"..

ثم تعالوا نتفحص الحديث التالي: "قيل لعيسى ابن مريم ﵇: يا رسول ا لو اتخذت حمارا تركب لحاجتك؟ قال: أنا أكرم على ا من أن يجعل لي شيئا يشغلني به" من الصعب للغاية تحديد ما إذا كان لهذا الحديث صلة بدخول المسيح إلى القدس وبالموقف الإسلامي الرافض لرواية أسـبوع الآلام.. وهـي الرواية التي لا يوجد لها أي أثر في الإنجيل الإسلامي.

- المجموعة الثالثة تقدم المسـيح كعـراب للزهـاد المسلمين وتركز على رفضـه الكامـل والمطلـق للـدنيا، فالتعاطف والتماثل مع الفقراء صلب رسالته.. والعالم عنـده حطام وكل ما ينتمي إليه يجب نبذه وعلـى المـؤمن إبقـاء الآخرة في باله وأمام عينيه كأنه في هذه الدنيا عابر سبيل أو غريب أو ضيف.

- في المجموعة الرابعة لا يظهر المسيح كنمـوذج بعيد المنال للأخلاق، بل هو شخصية أعطـت دعمهـا فـي بعض الحالات لفرق إسلامية وضد فرق أخرى بخصـوص موضوعات تتعلق بالخلاف الإسلامي الداخلي، فالمسيح يقف موقفًا محددا من أمور ساخنة وشائكة ومنها مثلاً دور العلماء في المجتمع وعلاقتهم بالدولة، والجدل الخاص بالاسـتطاعة

والقدر وموضوع الإيمان والمعصية، ومصير صاحب المعصية سواء أكان مؤمنًا عاديا أم حاكما، فموضوعات مثل هذه فرقت المسلمين إلى مذاهب عديدة وكانت من بين الأسباب التي فجرت الحروب والفتن فيما بينهم والتي هيمنت حتى منتصف القرن الثاني للهجرة.

فالمسيح في الإنجيل الإسلامي يغضب من علماء الدين الذين ابتعدوا عن دورهم وذهبوا إلى حد وضع خدماتهم وعلمهم تحت تصرف الدولة والحكام وأعرضوا عن واجبهم تجاه مجتمعاتهم طلبا للمنفعة الذاتية.. ومن ذلك قوله: لا تأكلوا بكتاب ا .. وهذا الخبر: إذا زل العالم زل بزلته عالم كثير".. واقرأ أيضا هذا الخبر: قال عيسى بن مريم للحواريين: "لا تأخذوا ممن تعلمون من الأجر إلا مثل الذي أعطيتموني"، فالعلوم الدينية من وجهة نظر الإنجيل الإسلامي يجب نشرها من دون أجر وهو مفهوم أثار جدلاً حادا وطويلاً بين العلماء المسلمين.

في مرحلة لاحقة دخل المزاج الأدبي على الإنجيل الإسلامي وأثر فيه.. ويظهر ذلك في أحد كتب المختارات الأدبية وتحديدا في كتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة الذي نقل

بعض الأخبار مترجمة حرفيا من الأناجيل وبعضها الآخر من المصادر السابقة للإنجيل الإسلامي، لكنه لا يعلق على وجودهما جنبا إلى جنب في كتابه الذي تقرأ فيه كلمات للمسيح مثل: قال المسيح ﵇: "الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها" وقال المسيح ﵇: "كن وسطًا وامش جانبا".. وعند ابن قتيبة أصبح المسيح إضافة إلى دوره كعراب للزهاد المسلمين نموذجا للسيرة الحسنة والأخلاق، كما في الحديث التالي: مر المسيح بقوم شتموه فقال خيرا ومر بآخرين شتموه فقال خيرا، فقال رجل من الحواريين: كلما زادوك زدت خيرا كأنك تغريهم بنفسك؟ فقال: كل إنسان يعطي مما عنده.

لم يقتصر الأمر على المسيح الزاهد عراب الزهاد ولا على المسيح الأخلاقي.. بل تأثر الإنجيل في القرن الثالث للهجرة بما يمكن وصفه بالمزاج الشيعي.. ففي عدد من التيارات الشيعية الأولى استخدمت المقارنة بالمسيح كبراهين لحجج كلامية، بعض الفرق استخدمت فكرة أن المسيح لم يمت، بل رفعه ا إليه لإثبات أن بعض أئمتهم ليسوا موتى، بل أحياء لا يمكن رؤيتهم، ودافعت فرق أخرى عن إمكانية تحقيق الإمام الطفل لدرجة الكمال في العلم عبر مقارنة ذلك

بالمسيح القرآني الذي يتكلم في المهد.. وقد أدى مقتل سـيدنا الحسين في الفكر الشيعي المتأخر إلى إنتاج عدد من الأخبار تقارن الحسين بالمسيح.. بل وصل الأمر إلى اتهـام بعـض الفرق الشيعية كالإسماعيلية باعتناق أفكار مسيحية كالثـالوث الأقدس!

ثم يصل المسيح إلى الصوفية.. ففي إحيـاء علـوم الدين لأبي حامد الغزالي تبلغ مكانة المسيح درجة عالية من الشفافية كنبي القلب بامتياز، ورغـم أن المسـيح لـم يكـن الشخصية الوحيدة المهمة عند أهل التصوف فإننا نجـد فـي أقوال المسيح عند الغزالي العمق والخيال والـنظم البـارع ويستشهد بها الغزالي دوما في المكان المناسب لخلق ربـط داخلي متين بين الحجج الأخلاقية الرئيسية وبين الأحاديـث التي لا يحصرها عدد تقريبا، وقد رشح ذلك كلـه المسـيح لكونه النبي الأكثر ملائمة من غيره من الأنبياء للعـب دور النموذج للأخلاق.

لم يحدث هذا بالصدفة.. فقد لعب صراع المسيح مع الشيطان دورا بارزا في الأناجيل وكان عاملاً مكونًا للتجربة الروحانية المسيحية الأولى ورشح من هناك كمـزاج إلـى

التصوف الإسلامي، ويجد الغزالي من المناسب ليس فقط نقل عدد كبير من قصص وأقوال المسيح، بل أيضا التعليق عليها مثل: "روى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال: يا عيسى رغبت في الدنيا" ويضيف الغزالي من عنده: "وعلى الحقيقة فمن يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه، فإن القائم بالليل مثلاً للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ببال ولا تتحرك رغبته إلى النوم، هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى".

إن الإنجيل الإسلامي يعرف المسيح باستمرار كنبي مسلم وللتأكيد على ذلك نجده يتلو آيات من القرآن ويفسرها ويصلي صلاة المسلمين ويحج إلى مكة، وتشدد بعض الأخبار الواردة عنه ليس على طبيعته البشرية فقط، بل أيضا على عجزه وضعفه، وتشدد الأحاديث النبوية على العلاقة المميزة والخاصة بين النبي والمسيح أهمها أنه ليس هناك نبي بينهما وفي إحدى الروايات أن النبي ﷺ دخل مكة فاتحا

وأمر بكسر الأصنام والصور لكنه رأى أيقونة للمسيح وأمـه داخل الكعبة فغطاها بعباءته أو بيده وأمر بمحو كافة الصور الأخرى إلا صورة المسيح وأمه، وفي ذلك تظهـر مكانـة المسيح وأمه لدى الرسول.

قد تكون لدى البعض اعتراضات على رؤيـة طريـف الخالدي للمسيح الإسلامي.. وهي الرؤية التي عرضت ملخصـا حاولت أن يكون وافيا لها.. لكن ما أراد أن يؤكده أن المسـيحية والإسلام في حاجة إلى التخاطب والتكامل، وقد يقال أن المسـيح الإسلامي في الإنجيل الإسلامي ليس إلا شخصية مصطنعة.. كما قد نصل في يوم من الأيام إلى معرفة شـاملة للأوسـاط التـي صنعته والسبب من وراء ذلك، لكنه يبقى مع ذلك شخصية دينية شامخة بحد ذاته ويرتقي بسهولة وبشكل طبيعي فـوق ديـانتين الأولى أنشأته والأخرى تبنته، وفي خضم التوتر بين المسـيحية والإسلام الذي يشهده هذا العصر في العالم كله فإن الواجـب أن نستعيد إلى الذهن فترة طويلة من الزمن وتراثًا أدبيا عريقًا شـهد انفتاح المسيحية والإسلام على بعضها البعض واعتماد كل منهما على شهادة الآخر.

وأعتقد أن هذا يكفي.. الآن على الأقل.

في حب ستنا مريم العذراء!

في حب ستنا مريم العذراء!

عندما تضيق الدنيا بفقراء هذا الوطن.. وهي كثيـرا ما تضيق.. تجدهم يمدون أبصارهم إلى ا ، ويحلمون بتجلي العذراء، وعندما تعجزهم الحيل وتتكـاثر علـيهم الهمـوم وتهزمهم الكروب ويرهقهم العطش للحظة سـعادة، تجـدهم يشدون الرحال إلى أولياء ا الصـالحين، يتبركـون بأهـل البيت لا يفرقون بين السيدة زينب والسيدة مـريم، يقولـون بأصوات ترعشها اللهفة: مدد يا ست يا طـاهرة، وقبـل أن يبتلعوا ريقهم يصرخون.. بركاتك يا عدرا.

لقد اختارت السماء للسيدة مريم ولطفلهـا الطـاهر أرض مصر سكنًا وأمنًا، همست في أذن يوسف النجـار أن يحمل العذراء وابنها يسوع ويهرب بهما من الملك الروماني هيرودوس ورجاله الذين كانوا يريدون رقبة الطفل المبارك، حملوا متاعهم القليل وولوا وجوههم شطر مصر التي بـارك الرب شعبها.. ومن يومها والعذراء هي رمز الطهارة وتميمة البراءة، أيقونة الخصب وطوق النجاة، سحابة الرحمة ومأوى البائسين الذين أعجزتهم الحاجة وأعيتهم الأيام.

لم تتغير نظرة المصريين للسيدة الطاهرة، حتى عندما دخلها عمرو بن العاص.. ودخل المصريون الإسلام لم يتخلوا عن حبهم وعشقهم واهتمامهم بالسيدة مريم، عبروا بها بين العقيدتين واعتبروها ملكًا خاصا لهم، وظلوا يرددون قصتها بروحانيات سورتها التي تحتل مكانًا عاليا بين سور القرآن الكريم، يعيشون معها لحظات القلق عندما يتمثل لها الملاك بشرا سويا.. ويشعرون بنشوة روحية عندما ينفخ فيها ا من روحه، تهزهم لحظة ولادتها التي ألم بها أثناءها الضعف والخوف من مجهول لا تعرف له بداية ولا نهاية.. ثم يجدون أنفسهم وجها لوجه أمام الواقعة الصدمة.. عندما وضعت المسيح على يديها وقدمته لقومها على أنه ابنها رغم أنها العذراء التي لم تتزوج ولم يمسها بشر.

لا تجد صور مريم العذراء في بيوت المسيحيين وحدهم.. ولا يضع شباب المسيحيين دون غيرهم صورها بين أوراقهم الشخصية.. فشباب المسلمين يفعلون ذلك أيضا.. بحب شديد وتقديس أشد.. أعرف شباب مسلمين يجمعون الصور المختلفة لمريم العذراء.. وعندما يكتبون خواطرهم لا يترددون في أن يتمنوا أن يرتبطوا بفتاة في صفاء وجهها

ونقاء قلبها وقوة عزيمتها.. في تحدي أقسى اتهام يمكـن أن تواجهه امرأة في التاريخ.

لقد رأيت فتيات مسلمات يرتدين سلاسل علقن فيهـا صورة مريم العذراء، وفي كل مرة كنت أسألهن عن سـبب ذلك.. وكانت الإجابة واحدة.. بنحبها قوي.. لا يذكرن سـببا محددا لهذا الحب.. لكنها حالة وجدانية يعشنها بكل تفاصيلها يحملن العذراء وهن يصلين.. وهن يدعين ا طلبـا للسـتر والبركة.. وهن يقرأن القرآن، فقد علمن أن حبهن للعذراء.. جزء من إيمانهن بالإسلام.. الذي أخـذ مـريم مـن جـو الأساطير.. وجعلها امرأة عادية نعم.. لكنهـا سـيدة نسـاء العالمين.

هذا الإطار البشري الراقـي الـذي وضـعت فيـه العذراء.. لم يمنعنا أن نعتقد في العذراء ونسعى خلف سرها المكنون، فالرقية الشرعية التي أخذها المسلمون عن الرسول ﷺ، تضع جداتنا بين ألفاظها إلى جـوار الملائكـة الكـرام والأنبياء الأخيار وآل البيت الطيبين.. اسـم السـيدة مـريم العذراء، فهن يطردن باسمها الشرور عن الصغار، ويحاربن

شياطين الجن ببركتها، ويطلبن لهم الصحة والعافية بطهارتها وروحها الشفافة.

كنت أعتقد حتى وقت قريب أن مريم العذراء ملكنا وحدنا.. ألسنا نحبها ونتغنى بمعجزاتها، ألسنا نراها المثل والرمز.. ألسنا نعتبرها الحلم الذي ننتظره حتى يتحقق وحتى إذا تأخر فإننا نلتمس له العذر.. ألسنا نصلي باسمها ونترنم بقوتها.. ألسنا نترجى تجليها في أزماتنا.. لقد ذهب إليها جمال عبد الناصر عام ١٩٦٨ بعد هزيمته وانكساره لينتظر نورها وهو يتنزل على كنيسة الزيتون، علها تمده بقوة خفية تنقذه من المستنقع الذي وجد نفسه فيه.. وفي بداية العام ٢٠٠٠ ذهب إليها ملايين المصريين عندما عرفوا أنها تتجلى على كنيستها بجبل الطير في أسيوط.

ذهب إليها الجميع طامعين وطامحين.. بعد أن شعروا بالعجز، وبعد أن تعرت الحكومة أمامهم، فقدوا الأمل في أي إصلاح أو إنقاذ، فراحوا يتلمسون العون من أنوارها.. حتى الذين أنكروا تجليها باعتباره خرافة.. كانوا يتمنون في داخلهم أن يكون ما يحدث حقيقيا، فحتى الذين لا يؤمنون بالغيبيات والمعجزات تحيط بهم لحظات يكونون في

حاجة ملحة لمن يأخذ بأيـديهم.. ويفـرج عـنهم كـروبهم، فجميعنا حتى ولو كنا ماديين.. نظل حتى النهاية في انتظـار معجزة.

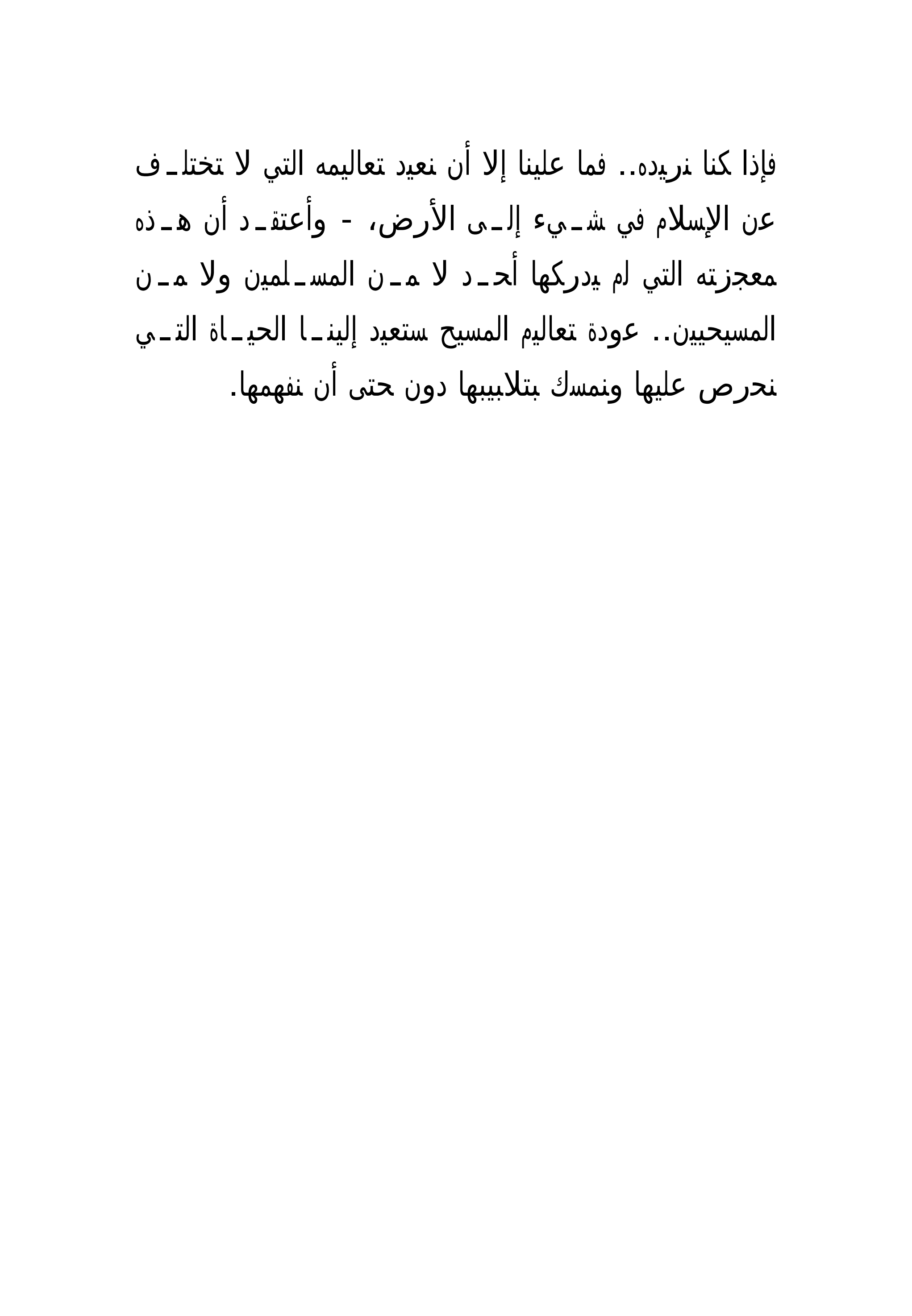
لم تطل معرفتي بأن السيدة مريم لنا وحـدنا.. فقـد عرفت أنها حلم كل شعوب الأرض، ولذلك تختلف صورتها وملامحها.. الأفارقة يرونها امرأة إفريقيـة سـوداء تحمـل ملامح زنجية، والآسـيويون وضـعوا صـورتها بملامـح نسائهم.. والأوربيـون رأوهـا سـيدة مجتمـع ملامحهـا أرستقراطية.. ونحن وضعنا في صورتها كل سمات البراءة وأحلام الطفولة التي بلا حدود.. لكل مريمه إذن.. لأن لكـل منا حاجته وعجزه وضعفه وحلمه الذي يحتاج أن يتحقق.

لا غرابة في ذلك فكل منا يرسم من يحبه بطريقتـه، فعندما كنت في الجامعة ألح علي سؤال كنـت أراه طبيعيـا ويراه من حولي متجاوزا.. كان السؤال هو.. كيـف يـرى الزنجي المسيح؟ هل يراه أبيض مـثلاً.. وكانـت الإجابـة التلقائية هي لا بالطبع! فالمسيح عند الزنجي الأسود لابـد أن يكون أسود.. وهذا طبيعي للغاية.. فـاللون الأبـيض عنـد الزنجي رمز الشر، هو لون الرجل الذي يضطهده ويعذبـه

ويصادر حقه وليس معقولاً أن يكون لون المسيح هو لـون الشر.. كل منا يرى مسيحه كما يريد ويحب، وهكذا فعلنا مع السيدة مريم، فهي مرة أفريقية.. ومرة آسيوية ومرة أوربية، لكنها تظل في النهاية الحلم والأمل.

لكن أي حلم وأي أمل.. إن الأدبيات الدينية إسلامية ومسيحية تؤكد عودة المسيح المادية، تنتظـره حتـى يقتـل المسيخ الدجال.. وينهي عصر الفتن ويقضي على الشرور.. ويعيد السعادة للأرض، فيملؤها عدلاً بعد أن ملئـت ظلمـا وجورا.. وهو تصور قاصر لمهمة المسيح ﵇.. فالمسلمون ينتظرونه على شـريعة سـيدنا محمـد ﷺ.. والمسـيحيون ينتظرونه على شريعته هو الذي أرسـى قواعـدها ورسـخ مثالياتها.. فعودة المسيح لن تكون أبدا مادية. لن تكون بجسد ينزل في القدس ليحررها!

عودة المسيح الحقيقية ستكون بأخلاقه ومبادئه التـي خرجت من مشكاة الإله الواحد الذي لا شريك له.. فـدعونا ننتظره.. لقد نزل المسيح الأرض.. عاش بين أهلها.. هداهم إلى ا .. أخذ بأيديهم من الظلمات إلى النور، وانتهت مهمته عند ذلك، ولن يعود مرة أخرى ليكمل ما بدأه، فلدينا مبادئه..



فإذا كنا نريده.. فما علينا إلا أن نعيد تعاليمه التي لا تختلـف عن الإسلام في شـيء إلـى الأرض، - وأعتقـد أن هـذه معجزته التي لم يدركها أحـد لا مـن المسـلمين ولا مـن المسيحيين.. عودة تعاليم المسيح ستعيد إلينـا الحيـاة التـي نحرص عليها ونمسك بتلابيبها دون حتى أن نفهمها.

آيات العنف....

في الإنجيل والقرآن!

آيات العنف في الإنجيل والقرآن!

ستظل أمريكا – وربما لفترة طويلة قادمة – تحـاول أن تفهم ما حدث لها في ١١ سبتمبر، ولأن الإسـلام كـان المتهم الأول والأساسي في هز أركان المجتمـع الأمريكـي الذي اقتربت قواعده من الانهيار.. فإن البحث فـي قواعـده وتفسير أوامره ونواهيه لن ينتهي.

كينيث آل وودوارد الكاتب الأمريكي حاول أن يقـدم رؤية غريبة لفهم الإسلام، مجلة نيوزويك بطبعتيها الإنجليزية والعربية أبرزت الموضوع على غلافهـا، لـيس لأهميتـه كموضوع يجذب القارئ العربـي والمسـلم فقـط، ولكنـه موضوع يمثل مفصلاً كبيرا وأساسيا في الصراع بين الغرب والإسلام.

البداية قد تكون صادمة ويرفضها المسلم العادي الذي لا يريد أن يقلقه أحد أو يؤرقه أو يهز علاقته برسوله ودينه وقرآنه، فالحديث عن النبي محمد ﷺ يأتي هكذا "كان رجـلاً يعمل تاجرا في مكة.. يعتكف بانتظام في الجبـال منقطعـا للصوم والصلاة، وفي عامه الـ ٤٠ وعندما كان يتعبد فـي

غار حراء تحدث إليه الملاك جبريل قائلاً: "محمد أنت رسول ا " وأمره بأن يقرأ، رد محمـد محتجـا بأنـه لا يسـتطيع القراءة، فهو لم يكن موهوبا كالشعراء القبليين التقليديين فـي الجزيرة العربية، أمره جبريل أن يقرأ مرة أخرى، ثم انسابت من بين شفتيه الآيات الأولى لما أصبح بعـد ذلـك القـرآن الكريم، الذي يعتبر كلمة ا الخالدة عند نحو ١٠٣ بلايـين مسلم في شتى أنحاء العالم.

رؤية كينيث للإسلام لم تكن لتكتمل إلا بوضع رؤيته للإنجيل إلى جوارها آيات الوفاق وآيات الخـلاف، فـالقرآن عنده كالإنجيل وحي إلهي، وبينما اسـتغرق الإنجيـل عـدة قرون لتوحيد القبائل العبرية وجعلها أمة عبرانية واحدة، فإن القرآن وخلال ١٠٠ عام فقط، أوجد حضارة كاملة امتدت في ذروتها من شمال أفريقيا وجنوب أوروبا في الغـرب إلـى حدود الهند المعاصرة والصين في الشرق.

الحيوية تدب في عروق رؤيـة الكاتـب الأمريكـي عندما يقرر من وجهة نظره بالطبع أن القرآن يحتوي علـى بعض الآيات التي يفهم منها الدعوة إلى العنف، وهي موزعة في سوره المختلفة، والإسـلام يعنـي السـلام كمـا يشـدد

المسلمون على ذلك، غير أن السلام الذي يعد به ا النـاس والمجتمعات، يتحقق فقط لأولئك الـذين يتبعـون الصـراط المستقيم، لكن عندما يواجه المسلمون أية معارضة، وخاصة المسلحة منها، فإن القرآن ينصح بالقتال. ورغم أن الآيـات التي تدعو إلى الجهاد والقتال قليلة في القرآن لكنهـا ألهبـت مشاعر المتعصبين المسلمين في كل عهد وعصر.

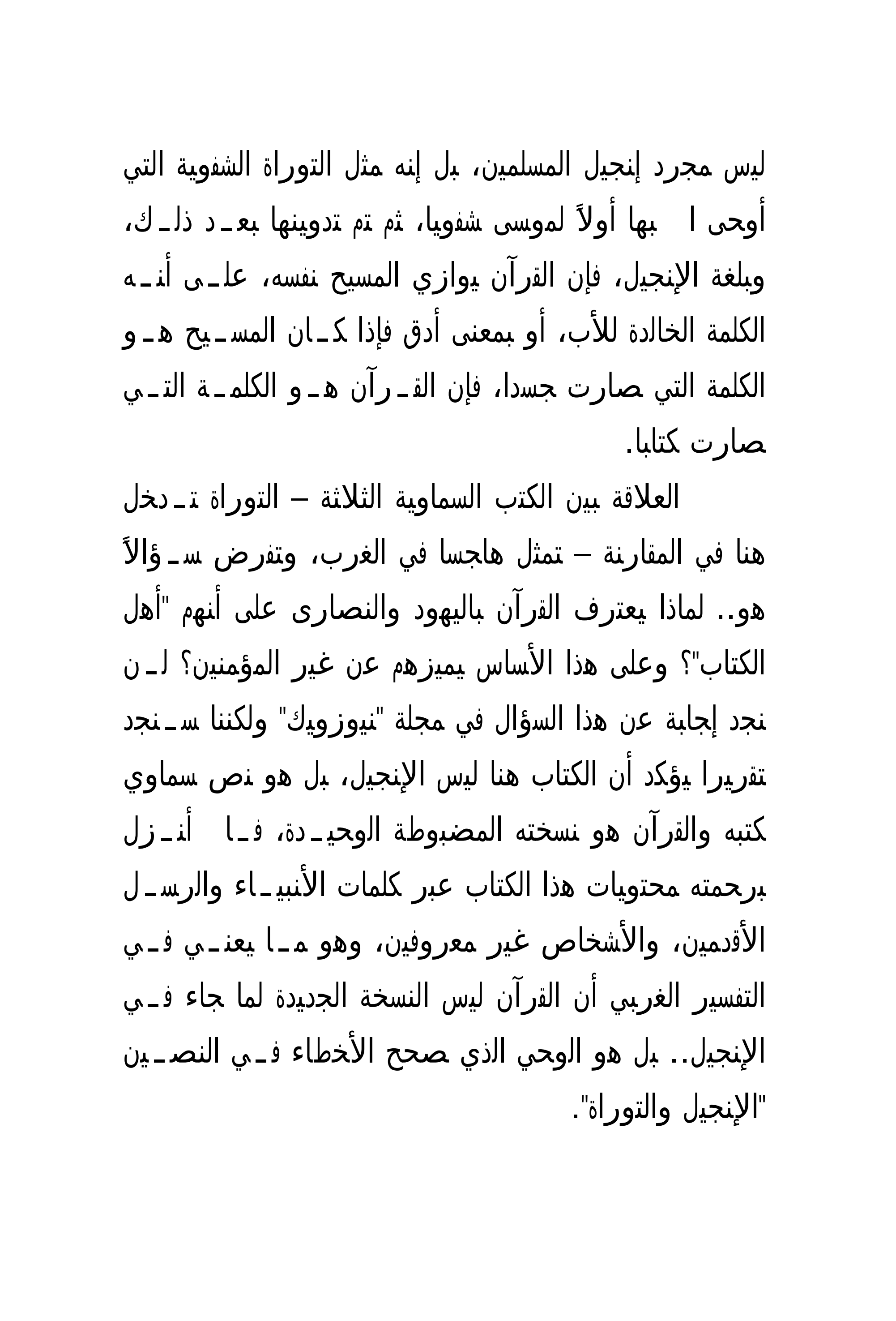
ولا يختلف الإنجيل كثيرا عن القرآن، فهو يحتـوي أيضا على قصص العنف باسم الرب إن رب الكتب المقدسة عنيف وتحديدا في مساندته المحاربين الإسرائيليين فهو يغرق أعداءهم في البحر.

الفرق بين الإنجيل والقرآن، أن قصص الإنجيل التي تؤيد عنف الرب، ليس لديها قوة الأمر الإلهي، كما أنهـا لا تعتبر كلمات ا الخالدة، كما يعتقد المسلمون بالنسـبة إلـى القرآن، ولذلك فإنه من الطبيعي عنـد كينيـث أن الفـدائيين الإسرائيليين لا يستشهدون بنبـيهم اليهـودي يوشـع حـين يخوضون معاركهم غير أن المتمردين المسـلمين بوسـعهم بسهولة الاستشهاد بقوة نبيهم الذي كان قائدا عسكريا.

الرؤية الأمريكية الجديدة تسحبنا إلى أعماق جديـدة، فالقرآن والإنجيل ككتابين مقدسين لا يمكن أن يكونـا أكثـر اختلافًا، ففي كل آية من القرآن يمكن أن نجد أمرا إلهيـا أو قصة عن الأنبياء الأوائل أو وصفًا ليوم القيامة، ولأن السور التي أنزلت على محمد كانت تأتي مسموعة، وتقرأ وتحفـظ من أتباعه، فإن القرآن حافل بالتكرار، ليس هنـاك أي مـن سوره الـ ١١٤ تركز على فكرة واحدة، وكل سـورة مـن سوره تحمل عنوانًا من كلمة واحدة، وحين كتبت السور التي أوحى بها لمحمد وجمعت بعد وفاته فإنه تم ترتيبها تقريبا من الأطول إلى الأقصر فهذه هي أقـوال ا على أيـة حـال وكلماته خالدة.

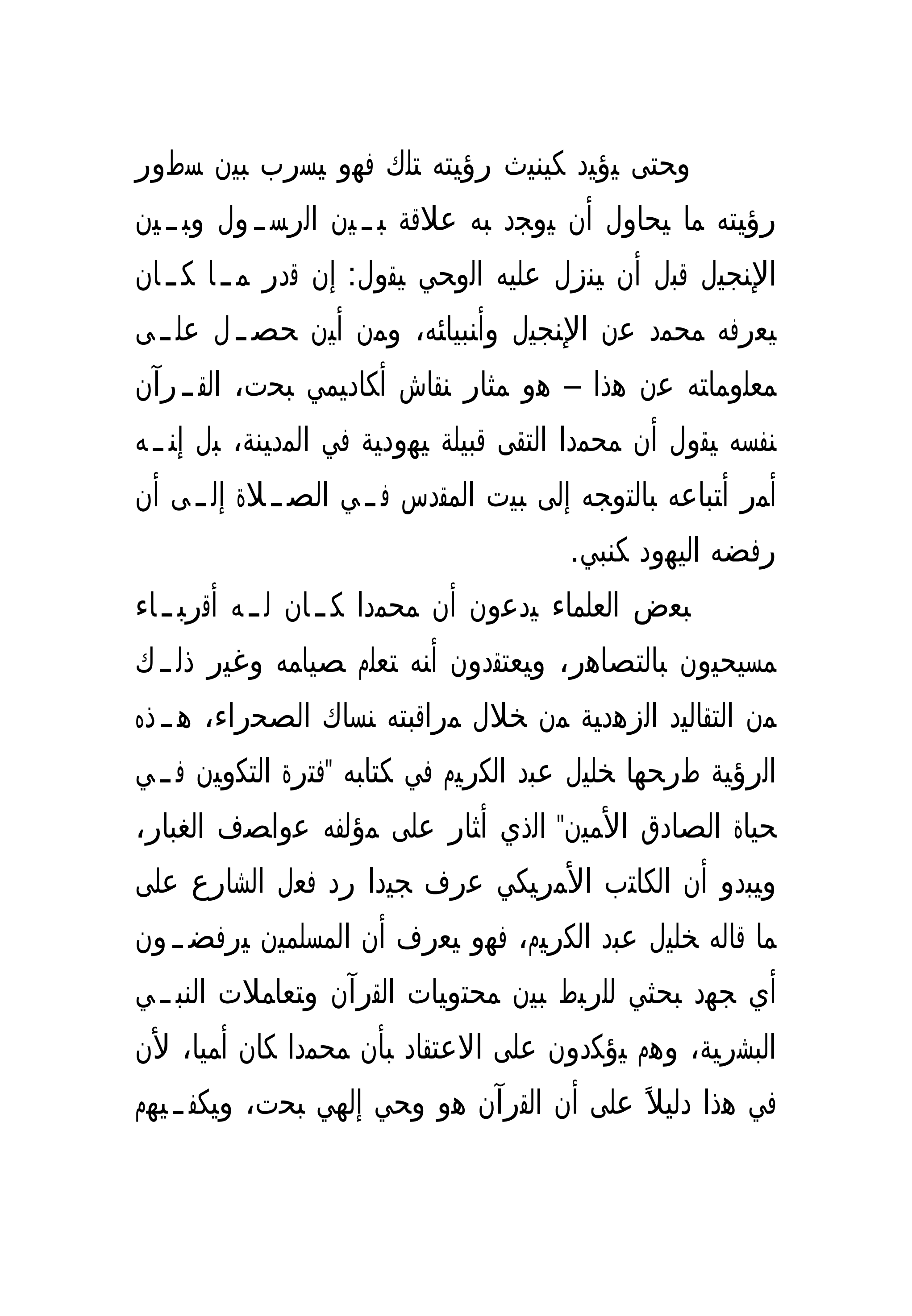
وكالإنجيل فإن القرآن يؤكد سلطاته الإلهية، ولكنـه بينما يعتبر اليهود والمسيحيون النص المقدس كلمات لمؤلفين بشر ملهمين إلهيا، فإن المسلمين يعتبرون القرآن كلمـة ا الخالدة، وعليه فإن محمدا كان بمنزلة ناقل لكلمات ا ، ولـم يكن مؤلف هذه الكلمات.

يستند وودوارد إلى رؤى متحدة أسـتاذ الدراسـات الشرق أوسطية في جامعة هارفارد ليصل إلـى أن القـرآن



ليس مجرد إنجيل المسلمين، بل إنه مثل التوراة الشفوية التي أوحى ا بها أولاً لموسى شفويا، ثم تم تدوينها بعد ذلك، وبلغة الإنجيل، فإن القرآن يوازي المسيح نفسه، على أنه الكلمة الخالدة للأب، أو بمعنى أدق فإذا كان المسيح هو الكلمة التي صارت جسدا، فإن القرآن هو الكلمة التي صارت كتابا.

العلاقة بين الكتب السماوية الثلاثة – التوراة تدخل هنا في المقارنة – تمثل هاجسا في الغرب، وتفرض سؤالاً هو.. لماذا يعترف القرآن باليهود والنصارى على أنهم "أهل الكتاب"؟ وعلى هذا الأساس يميزهم عن غير المؤمنين؟ لن نجد إجابة عن هذا السؤال في مجلة "نيوزويك" ولكننا سنجد تقريرا يؤكد أن الكتاب هنا ليس الإنجيل، بل هو نص سماوي كتبه والقرآن هو نسخته المضبوطة الوحيدة، فا أنزل برحمته محتويات هذا الكتاب عبر كلمات الأنبياء والرسل الأقدمين، والأشخاص غير معروفين، وهو ما يعني في التفسير الغربي أن القرآن ليس النسخة الجديدة لما جاء في الإنجيل.. بل هو الوحي الذي صحح الأخطاء في النصين "الإنجيل والتوراة".



وحتى يؤيد كينيث رؤيته تلك فهو يسرب بين سطور رؤيته ما يحاول أن يوجد به علاقة بـين الرسـول وبـين الإنجيل قبل أن ينزل عليه الوحي يقول: إن قدر مـا كـان يعرفه محمد عن الإنجيل وأنبيائه، ومن أين حصـل علـى معلوماته عن هذا – هو مثار نقاش أكاديمي بحت، القـرآن نفسه يقول أن محمدا التقى قبيلة يهودية في المدينة، بل إنـه أمر أتباعه بالتوجه إلى بيت المقدس فـي الصـلاة إلـى أن رفضه اليهود كنبي.

بعض العلماء يدعون أن محمدا كـان لـه أقربـاء مسيحيون بالتصاهر، ويعتقدون أنه تعلم صيامه وغير ذلـك من التقاليد الزهدية من خلال مراقبته نساك الصحراء، هـذه الرؤية طرحها خليل عبد الكريم في كتابه "فترة التكوين فـي حياة الصادق الأمين" الذي أثار على مؤلفه عواصف الغبار، ويبدو أن الكاتب الأمريكي عرف جيدا رد فعل الشارع على ما قاله خليل عبد الكريم، فهو يعرف أن المسلمين يرفضـون أي جهد بحثي للربط بين محتويات القرآن وتعاملات النبـي البشرية، وهم يؤكدون على الاعتقاد بأن محمدا كان أميا، لأن في هذا دليلاً على أن القرآن هو وحي إلهي بحت، ويكفـيهم

في صباحهم ومسائهم أن يؤكدوا أن الإسلام هو الدين المثالي والقرآن هو النص المثالي.

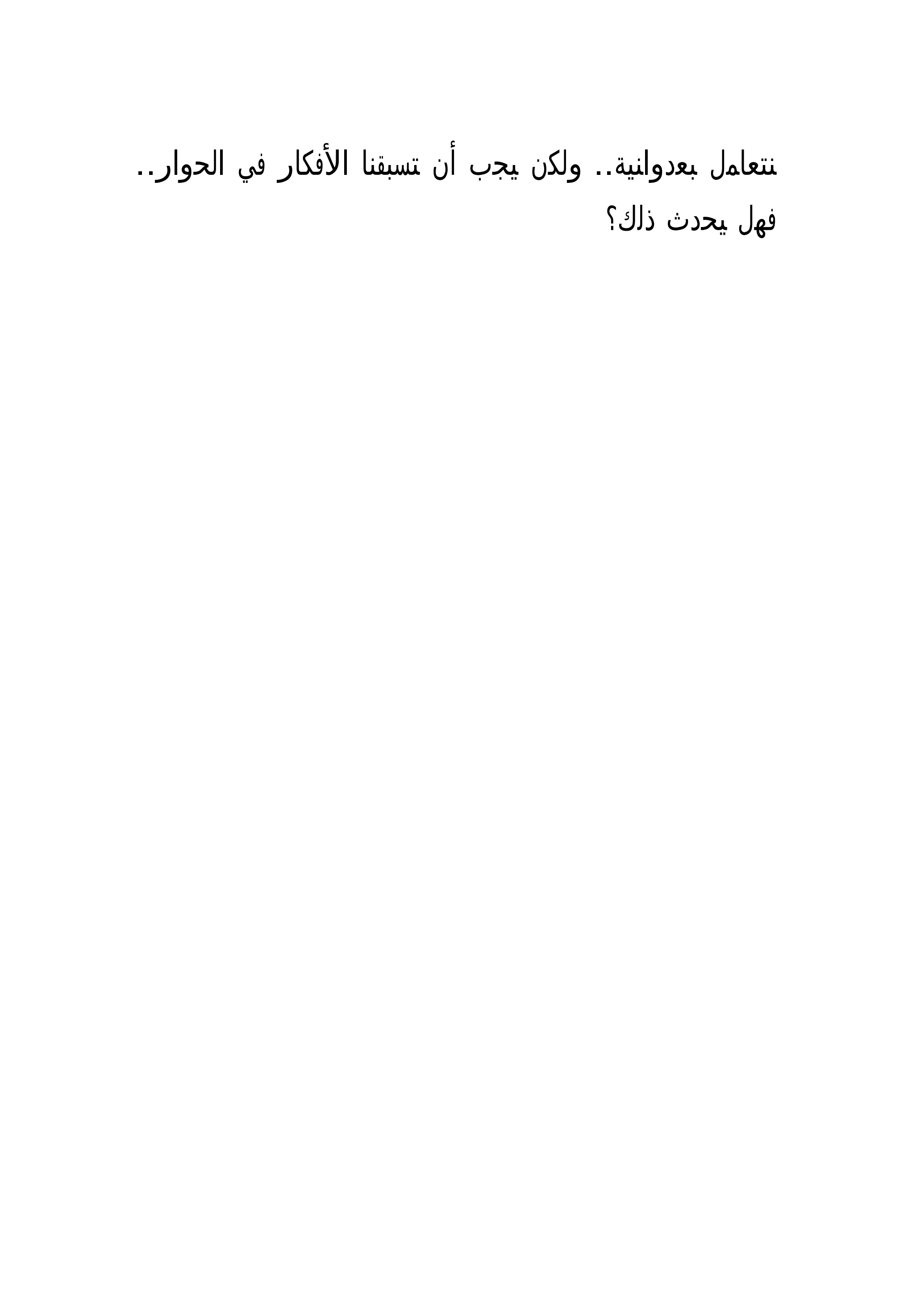
نأتي إلى النقطة الأهـم والتـي أعتقـد أن الكاتـب الأمريكي ما قدم رؤيته إلا من أجل أن يصل إليهـا، ففـي صراعات الإسلام الحالية مع الغرب، فإن المشكلة الرئيسـية ليست في الكتاب المقدس للمسلمين، بل في كيفيـة تفسـيره، فالمسلمون في كل مكان يعانون أزمة من السلطة الحاكمة في بلادهم، فكما يظهر في تاريخهم، فإن المسلمين لم يتمكنوا من حل التوترات بين السلطة الدينية والحكومات الإسلامية.

فحين كان الإسلام حضارة عظيمـة فـي القـرون الوسطى، قرر العلماء الإسلاميون كيفية تطبيق كلمة ا على الظروف التاريخية المتغيرة، وأدت فتاوى هؤلاء إلـى حـل الخلافات، غير أنه في الدول الإسلامية الحالية فإن الأصوات الدينية ذات السلطة لا تحظى باحترام كبير، ولذلك فكل مسلم لديه قضية أو برنامج يشعر الآن بأنه حر في استخدام القرآن لتدعيم معتقداته، ولأن أسامة بن لادن أوجع أمريكا بعنـف، فإن الكاتب الأمريكي يأخذ منه مثالا واضحا وكبيـرا علـى استخدام المسلمين للإسلام على مزاجهم الخاص.

ولأن في نفس الكاتـب الأمريكـي مرضـا، فمـن الطبيعي أن يقر بأن هناك أصواتًا في أنحـاء مختلفـة مـن الشرق الأوسط نددت بأعمـال قتـل المـدنيين الإرهابيـة، واعتبروا العمليات الفدائية مخالفة لتعاليم القرآن، وبـالعودة إلى نص القرآن نفسه، فإن علماء دين آخرين وجـدوا فـي القرآن آيات تظهر أن ا خلق شعوبا وثقافات مختلفة لهدف وبالتالي فإنه قصد أن يكون العالم تعدديا في دياناته أيضا.

وعندما يشير كينيـث إلـى أن العلمـاء المسـلمين الموجودين في أمريكا الآن يعتقدون أن القرآن مفتوح علـى التفاسير المتعددة وأنه يملك دفاعا عن حقوق المرأة فإنـه لا ينسى أن هؤلاء العلماء ولدوا في أمريكا وعرفوا عن قـرب فوائد الديمقراطية وحرية التعبير ووثيقة الحقوق، فحتى الفهم السليم للإسلام نسبه الكاتب الأمريكي إلى أمريكا.

قد تنزعج من رؤية الكاتـب الأمريكـي وتعتبرهـا اعتداء على الإسلام لكنها في النهاية مجرد رؤية قدمها كاتب أمريكي في مجلة سيارة لا تجب مصـادرتها ولكـن يجـب النقاش حولها، فكل بحث يخرج من أمريكا الآن يحـاول أن يلصق كل نقيصة بالإسلام وهذا مفهوم الدوافع فلا يجـب أن



نتعامل بعدوانية.. ولكن يجب أن تسبقنا الأفكار في الحوار..
فهل يحدث ذلك؟

توكيلات الأمر بالمعروف

توكيلات الأمر بالمعروف

لا يوجد في مصر أكثر مـن الآمـرين بـالمعروف والناهين عن المنكر..

ورغم ذلك فلا يمر يوم دون حادثة فساد وكلما تعاظم الفساد زادت المواعظ مـرة باسـم الـدين.. ومـرة باسـم الأخلاق.. ومرة باسم العادات والتقاليد ومرة – وهذه عنـدنا فقط – باسم سمعة مصر، دون أن يحدد من يتحـدثون عـن هذه السمعة ملامحها وصفاتها وحدودها.. وهل الفساد هـو الذي يسيء إلى سمعة مصـر.. أم مـن يهاجمـه ويكشـفه ويفضحه هو الذي يسيء إليها..

على كل.. لم تخرج عندنا بعد جمعية منظمة وداعية ترفع لواء النهي عن المنكر كما حدث في أمريكا وأوروبـا، ففي عام ١٨٠١ فزع أنصار الرقابة في بريطانيا من انهيـار جمعية البيان الداعية للفضيلة والإصـلاح، ولهـذا نشـروا اقتراحا بإنشاء جمعية لـ"النهي عن المنكر" وتشجيع الـدين والحض على الفضيلة، وكان الهدف من وراء هذه الجمعيـة التي أطلقت على نفسها جمعية النهي عن المنكر هو تحـري

سلامة الموازين ووقاية الحيوان من قسوة الإنسان ومعاقبـة غواية النساء والأطفال باتبـاع الرذيلـة، ورفـع الـدعاوى القضائية ضد المنحلين.

تكونت هذه الجمعيـة مـن ثـلاث لجـان فرعيـة تخصصت الأولى في ملاحقة المطبوعات المجدفة والبذيئـة، والثانية في التأكد من مراعاة إغلاق المحلات وعدم العمـل يوم الأحد، وتخصصت الثالثة في الإشـراف علـى طـرق الطبقة العالية في التسلية والترفيه عن نفسها.

ركزت هذه الجمعية على تطهير حياة الطبقة العاملة من الشوائب والحيلولة دون قراءة المطبوعات البذيئة، وبذلت جهدا لقمع الكلاسيكيات الأدبية البذيئة وكانت تشك حتى فـي موظفيها، الأمر الذي جعلها تصدر تعليماتها إلـى إداراتهـا المختلفة لمراقبة الانحراف.

لم تكتسب الجمعية شعبية بين القراء والأغنياء علـى حد سواء، لكنها وجدت تأييدا من جانب الطبقـة المتوسـطة الصاعدة وقتها، وفي عام ١٨٦٨ نشرت الجمعية بيانًا مفصلاً عن نشاطها. فقد رفعت منذ ١٨٤٥ مائة وتسـعا وخمسـين دعوى قضائية، نجحت في الحصول على أحكام لصالحها في

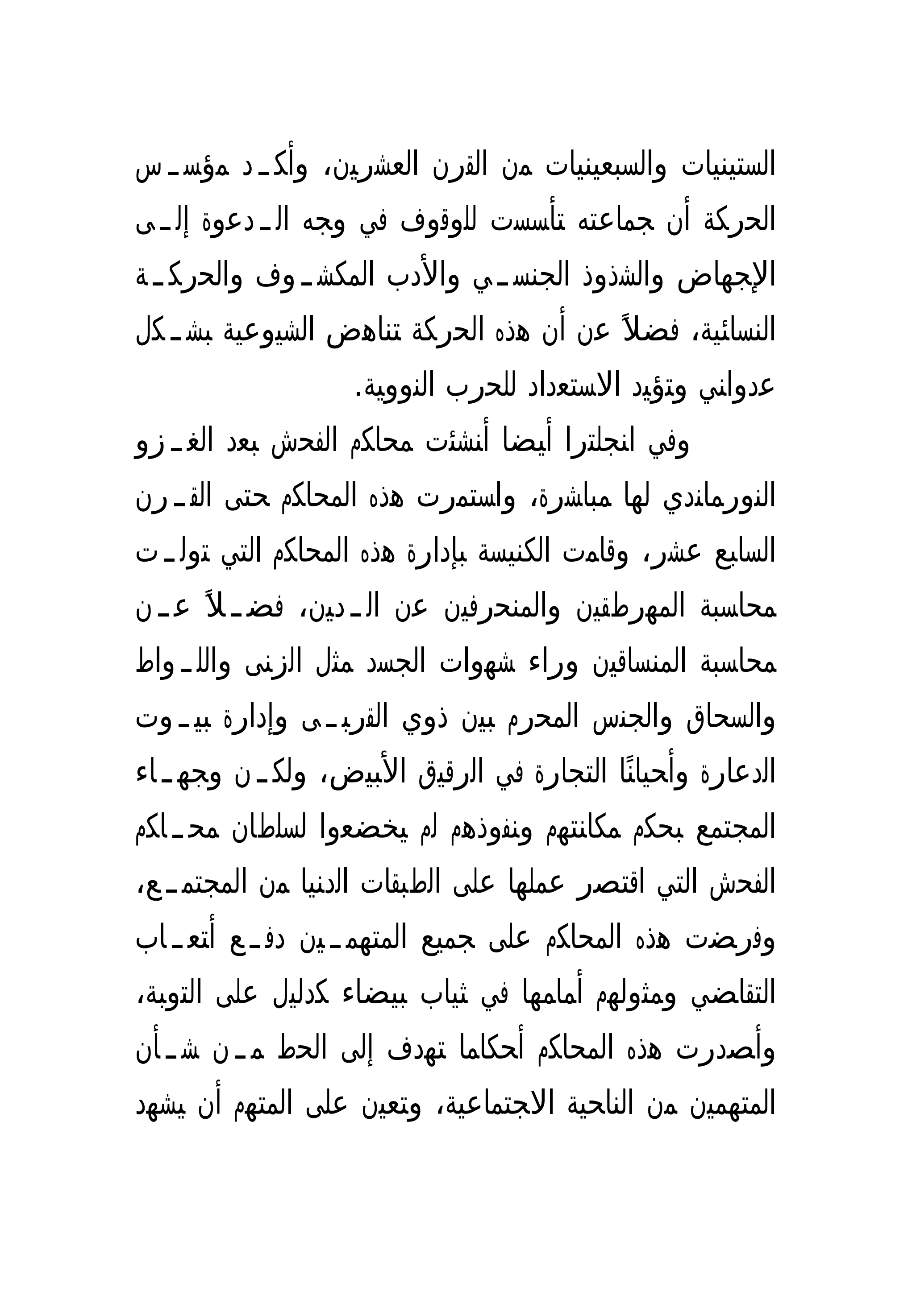
مائة وأربع وخمسين قضية منها، ونجحت أيضا في إغـلاق ٣٧ محلاً وتدمير ١٢٩,٦٨١ مطبوعا بذيئًا و١٦,٢٢٠ نبـذة وخمسة أطنان من الخطايا المنشورة، و١٦٠٠٥ ورقات من الأغاني البذيئة و٥٥٠٣ كروت و٨٤٤ محفورة معدنية.

وفي عام ١٨٧٠ اعترفت الجمعيـة بعجزهـا عـن تمويل ٢٨ دعوى قضائية ولكنها استمرت في الوجود حتـى عام ١٨٨٠، وهو العام الذي توقفت فيه عن نشاطها، ولكـن الجمعية عادت إلى الظهور وبدأت شوكتها تقوى من جديـد عام ١٨٨٦ تحت اسم جديد هو جمعية اليقظة القومية.

ومن بريطانيا إلى أمريكا، حيـث تأسسـت جمعيـة النهي عن المنكر بها في نيويورك عام ١٨٧٣ وتولى أمانتها الزعيم المناضـل المعـروف بممارسـة الرذيلـة "أنتـوني كومستوك" وخرجت هذه الجمعية من لجنة كان كومستوك قد أنشأها بهدف محاربة الرذيلة وهي لجنة عملت تحت زعامة جماعة الشبان المسيحيين، وبمقتضى إصدار قانون خـاص، منح المشرع الأمريكي هذه الجمعيـة الحـق فـي احتكـار التصدي للرذيلة وحق التفتيش والضبطية القضائية والقـبض على المتهمين، كما أن الجمعية تمتعت بالحق في الاسـتفادة

من نصف مبالغ الغرامات الموقعة على المتهمين بممارسـة الرذيلة، وظل كومستوك يتولى إدارة شئون الجمعيـة، وقـد خلفه بعد وفاته عام ١٩١٥ جون. س. سـمر، وفـي عـام ١٩٢٤ صرح الرئيس الجديد "سمر" أن الجمعية صادرت في المتوسط كل عام خمسة وستين ألف نسخة وفي الثلاثينيـات من القرن العشرين سخرت الجمعية جهودها لرفع قضية ضد ساموبل روث، وبالتدريج أخذ كومستوك يفقد نفوذه وسيطرته على الجمعية، فبدأ نجمها في الأفـول، وبنشـوب الحـرب العالمية الثانية كانت الجمعية قد اندثرت.

وفي عام ١٩٧٩ أنشأ القس "جيري فالويل" جماعـة الأغلبية الأخلاقية في أمريكا، وقد وصـفت هـذه الجماعـة نفسها بأن حركة سياسية تكرس جهودها لإقناع الأمريكـان المحافظين بأن واجبهم المقـدس يقتضـي مـنهم التضـافر لانتخاب المرشحين الذين يميلون إلـى المحافظـة الفكريـة والأخلاقية، وقد سـخر مؤسـس هـذه الحركـة الراديـو والتليفزيون لتوسيع رقعة نشاطه مؤكدا أن هذه الحركة نشأت بطريقة تلقائية في صفوف اليمين الأمريكي، كرد فعل مضاد للاتجاهات الإباحية التي سـادت المجتمـع الأمريكـي فـي



الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وأكد مؤسس الحركة أن جماعته تأسست للوقوف في وجه الدعوة إلى الإجهاض والشذوذ الجنسي والأدب المكشوف والحركة النسائية، فضلاً عن أن هذه الحركة تناهض الشيوعية بشكل عدواني وتؤيد الاستعداد للحرب النووية.

وفي انجلترا أيضا أنشئت محاكم الفحش بعد الغزو النورماندي لها مباشرة، واستمرت هذه المحاكم حتى القرن السابع عشر، وقامت الكنيسة بإدارة هذه المحاكم التي تولت محاسبة المهرطقين والمنحرفين عن الدين، فضلاً عن محاسبة المنساقين وراء شهوات الجسد مثل الزنى واللواط والسحاق والجنس المحرم بين ذوي القربى وإدارة بيوت الدعارة وأحيانًا التجارة في الرقيق الأبيض، ولكن وجهاء المجتمع بحكم مكانتهم ونفوذهم لم يخضعوا لسلطان محاكم الفحش التي اقتصر عملها على الطبقات الدنيا من المجتمع، وفرضت هذه المحاكم على جميع المتهمين دفع أتعاب التقاضي ومثولهم أمامها في ثياب بيضاء كدليل على التوبة، وأصدرت هذه المحاكم أحكاما تهدف إلى الحط من شأن المتهمين من الناحية الاجتماعية، وتعين على المتهم أن يشهد

على نفسه ويقر بآثامه و إلا تعرض لتهمة أخرى هي الشهادة الزور، وقد استمرت المحاكم في العمل حتى عام ١٦٦٠.

مازلنا في انجلترا.. حيث تقابلنا الجمعية الدستورية وهي جماعة ضغط للتصدر للبذاءة، أنشئت عام ١٨٢٠ تحت رعاية دوق ولنجتون، وتولى رئاستها د. جون ستودارت محرر بجريدة "نيوتايمز" واستهدفت العمل الهادئ السري نيابة عن الحكومة في رفع قضايا البذاءة على المستوى الشخصي ضد الهجاء والمعارضة الهازئة والكاريكاتور والمطبوعات المماثلة التي تعترض عليها السلطات دون أن تجرؤ على اتخاذ الإجراءات القانونية حيالها جهارا وفي وضح النهار، بسبب خوفها مما قد تسيره من عواقب سياسية.

وفي عام ١٩٦٩ تم تأسيس منظمة صليبية من أجل التهذيب، بهدف التصدي للانحلال السائد في المجتمع الأمريكي الحديث وشن حملة شعواء ضد الأدب المكشوف والإجهاض وتدريس الجنس بالمدارس وجاء تكوين هذه المنظمة نتيجة رغبة مليون أمريكي وقعوا على التماس رفعوه إلى الكونجرس.

أمريكا ظلت تشهد ظهـور مثـل هـذه الجماعـات والجمعيات.. ففي عام ١٩٧٥ ظهرت جماعة حملـت اسـم النسر، وأعلنت عن نفسها منذ البداية أنها سوف تتصدى لأي هجوم على نظام الأسرة وا والـدين ومحاولـة اسـتغلال الأطفال والإساءة إلـى سياسـة وزارة الـدفاع الأمريكيـة وخرجت عن هذه الجمعية لجنة فرعية عرفت باسـم لجنـة رقابة الكتب المدرسية، وهدفت إلى أن يكون لهـا رأي فـي إعداد الكتب المقررة في المدارس الأمريكية وقـد درجـت جمعية النسر على إصدار تقرير شـهري يتضـمن نتـائج أعمالها.

عندما تسترجع هذه المعلومات عن الجمعيات التـي خرجت للنور في أمريكا وبريطانيا، والتـي وردت ضـمن موسوعة الرقابة والأعمال المصادرة في العالم التي أعـدها وعربها د. رمسيس عوض.. هذه المعلومات ستضعك أمـام حقيقة لا يجب أن تتجاهلها وهي أنها خرجت لتحقيق أهداف معينة.. وعلى رأسها محاربة كـل ألـوان الفسـاد المـالي والجنسي.. لا مكان لغموض.. ولا مسـاحة للـبس.. وكـل

جمعية تأخذ وقتها وتنتهي طبقًا للظروف والاحتياجات العامة.. وكذلك الحالة النفسية والاجتماعية للمواطنين.

عندنا في مصر.. ولأن كل شيء مختلف.. فالنهي عن المنكر.. والأمر بالمعروف يختلفان عما يحدث في كل بلاد العالم.. فليس عندنا جمعيات تضع على قائمة أولوياتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وذلك لسبب بسيط أنه عندنا أكثر من ٧٠ مليون آمر بالمعروف وناه عن المنكر في مصر.. كلنا نتحول في لحظة إلى وعاظ.. وملاك للحقيقة المطلقة.. نأمر وننهي وندافع بحماس منقطع النظير.. ولا مانع أن ندافع بنفس الدرجة من الحماس عن الحق والباطل!

ولن أكون مبالغًا إذا قلت أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم في مصر لوجه ا مطلقًا.. فلابد أن تكون هناك مصلحة.. وإذا أردتم أمثلة على ذلك.. فلا مانع ففي يونيو ١٩٩٥ صدر حكم محكمة استئناف القاهرة للأحوال الشخصية الذي يقضي بالتفريق بين الدكتور "نصر حامد أبو زيد" وزوجته ابتهال يونس، بعد الحكم بارتداده بناء على مؤلفاته وأهمها تأويل النص، وعلى الرغم من وقف تنفيذ الحكم في ديسمبر ١٩٩٦، فإنه لم يتم إلغاؤه في حين هاجر

الدكتور "نصر أبو زيد" مع زوجته إلى هولندا هربا من مصير القتل الذي يهدده باعتباره مرتدا، وفقًا لتقرير مجمع البحوث الإسلامية.

وعندما تتأمل قضية نصر بهدوء تكتشف أن هذه الشوشرة التي نزلت على رأسه، لم تكن بسبب خلاف فكري، ولم تكن غيرة على الإسلام، كما حاول البعض أن يفهمنا، ولكن كل الحكاية أن د. نصر هاجم د. عبد الصبور شاهين واتهمه بالمتاجرة في الدين بعمله مستشارا في إحدى شركات توظيف الأموال.. وعندما وصلت أبحاث د. نصر إلى يد د. عبد الصبور ليقول كلمته فيها ليحصل على الترقية.. منع د. عبد الصبور الترقية ولم يكتف بذلك بل شهر بنصر. وكانت النتيجة تكفيره وإجباره على الهجرة من مصر كلها.. لا بسبب الخوف على الإسلام.. ولكنها الحسابات اللعينة.

ولم يقم شاب أمي يعمل بائعا للسمك بقتل د. فرج فودة.. لأنه فقط قام بعمل مناظرة في معرض الكتاب مع رموز الفكر الإسلامي، فقد قتل فرج فودة بعد حملات تشويه تعرض لها من بعض الكتاب الإسلاميين وصلت إلى ذروتها بتكفيره.. ولم تصل المعركة ذروتها بين تيار الإسلام

السياسي وفرج فودة إلا بعد أن ضرب في شرعيتهم وبـدلاً من اتباع القاعدة الإسلامية.. وهي "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".. اتبعوا معه قاعدة "اقتل وتوكل على ا .. اقتل يرحمك ا ".

ولأننا عشوائيون أكثر مما ينبغي.. فمن الطبيعي أن تظهر على السطح نماذج مثل المحامي الذي يريد أن يجرجر كل مفكر أو كاتب أو كاتبة يقول رأيا إلى المحكمة.. يطعـن في إسلامهم ويتهمهم في عقيدتهم إن ما يفعله هذا المحـامي من رفع القضايا على بعض المفكرين – فعل ذلـك مـع د. نوال السعداوي – وتعمده الحديث إلى وسائل الإعـلام عـن إنجازاته تلك يؤكد لدي اعتقادا أنه وغيره لا يفعلون ذلك إلا للشهرة وجذب الأضواء، لقد قابلته مرة عابرة، ووجهت لـه سؤالاً عابرا أيضا: لماذا رفع دعوى قضائية ضد د. نـوال السعداوي وما الذي يريده منها! وهل هو مقتنع تماما بأنهـا خارجة عن الدين حتى يعاديها في المحاكم؟ كـان صـريحا جريئًا كعادته.. فهو يعترف بأنه لا يوجد أساتذة يجلس إليهم ليتعلم منهم.. وبدلاً من أن يقضي وقته في حديقة النقابة بـلا عمل جاد.. فلماذا لا يسلي وقته بمثل هذه القضايا.. التـي لا

يكسبها غالبا.. لكنه في النهاية يحقق مـن ورائهـا شـهرة وسمعة من المؤكد أنها تفيده في عمله.

وكما يفعل هذا المحامي يعمل د. يوسف البدري وهو الشيخ الذي أخذ أكبر من حجمه بمراحل.. فهو يبادر برفـع الدعاوى القضائية ضـد الأعمـال السـينمائية والروايـات والكتب.. ويتهم أصحابها بـأنهم يتـآمرون علـى الإسـلام ويريدون هدمه.. ويشاء ا ألا يسـتمر د. البـدري دون أن يكشفه.. فعندما أصدر د. عبد الصبور شاهين كتابه "أبي آدم" الذي يحكي فيه قصة الخليقة.. رفع يوسف البـدري عليـه دعوى قضائية.. وطالب بمصادرة الكتاب ومحاكمة د. عبـد الصبور، لم يصمت د. عبد الصـبور، فـرغم أن الـرجلين البدري وعبد الصبور كانا في خندق واحد في مواجهة نصر حامد أبو زيد.. لكنهما اختلفا.. وخرجت طلقات شاهين تتهم البدري بالسطحية والسذاجة وحب الشهرة.. فهو لا يرفع هذه الدعاوى القضائية إلا من أجل الأضواء التي يعشقها ويدمنها.

هذه النماذج تتصدر الساحة وتحجـب مـا دونهـا.. وأبحث في صفوف المثقفين والمفكـرين فـلا أجـد رجـلاً رشيدا.. لقد كانت بداية القرن العشرين أفضل من أيامنا هذه

بمراحل.. على الأقل كان هناك عقل.. فحين اتهم الدكتور طه حسين في بلاغات رسمية بدءا من ٣٠ مايو ١٩٢٦ بالطعن في القرآن الكريم في كتابه "في الشعر الجاهلي"، قرر محمد نور رئيس نيابة مصر بعد التحقيق حفظ الأوراق إداريا في ٣٠ مارس ١٩٢٧، وقال في حيثيات قراره "إن للمؤلف فضلاً لا ينكر في سلوكه طريقًا جديدة للبحث حذا فيه حذو العلماء من الغربيين، ولكن لشدة تأثر نفسه بما أخذ عنهم قد تورط في بحثه حتى تخيل ما ليس بحق، أو ما ازال في حاجة إلى إثبات أنه حق، فكان يجب عليه أن يسير على مهل، وأن يحتاط في سيره حتى لا يضل، ولكنه أقدم بغير احتياط، فكانت النتيجة غير محمودة، وحيث إنه مما تقدم يتضح أن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتعدي على الدين، بل إن العبارات الماسة بالدين التي أوردها في بعض المواضع من كتابه إنما أوردها في سبيل البحث العلمي مع اعتقاده أن بحثه يقتضيها، وحيث إنه من ذلك يكون القصد الجنائي غير متوافر، فلذلك تحفظ الأوراق إداريا.

لا أحد يفعل ذلك الآن.. الكل يدين.. وحتى عندما ترفض الدعاوى القضائية التي تحاول تحريم الفن أو رجم

أديب كتب رواية أو هدم شاعر حاول أن يبدع، ترفض لأنها رفعت من غير ذي صفة.

لقد أفرزت السنوات الأخيـرة فـي حياتنـا نحـن المصريين ألوانًا متعددة من النفاق الفكري والاجتماعي حتى أصبحنا أساتذة في تشويه كل شيء جميل، فكل كلمـة نقـد مؤامرة.. وكل مقال يدعو للإصلاح كـلام فـارغ.. وكـان طبيعيا أن يفقد الناس الثقة في كل ما يقال حتـى لـو كـان حقيقيا، فإذا كانوا ببساطة يجدون مقالاً يدافع عن الفسـاد أو الانهيار السياسي أو الضياع الثقافي أو الانحلال الأخلاقي.. فكيف يثق الناس فينا.

لقد حاولت جمعيات النهي عن المنكر فـي أمريكـا وانجلترا أن تحمي المجتمع من الانهيار لكن جماعات النهي عن المنكر عندنا تهدم وتدمر ولا مانع عنـدها أن تقتـل.. ولأننا نعتقد أننا على صواب طوال الوقت.. فإننا أغمضـنا أعيننا عن الوضع السيئ الذي وصلنا إليه جميعا.. وراح كل منا يبحث عن مكاسبه الخاصة.. حتـى لـو تحققـت هـذه المكاسب بما يخالف ضمائرنا.

وحتى نحمي أنفسنا.. فإننا نمـارس حياتنـا وكأننـا أصحاب توكيلات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. نتهم الآخرين بالخطأ.. أما نحن فملائكة على طول الخط.. هـل تريدون أمثلة.

١٨ سنة مع الجن

١٨ سنة مع الجن

تماما مثلما يحدث في الأفلام التجارية، يظل البطـل يسرق ويقتل ويتاجر في المخدرات، وفي الـدقائق الخمـس الأخيرة يموت مقتولاً أو يقبض عليه ليكـون بـذلك عبـرة للناس، ولا مانع من أن يختم الفيلم بآية قرآنية تقـدم عظـة وموعظة، شيء من هذا فعلته د. نادية رضوان في كتابهـا الذي سجلت فيه سيرتها الذاتية وأعطته عنوانًا من المؤكد أنه سيجر عليها المشاكل، عنوان الكتاب "رحلتي إلى عالم الجن والعلاج الروحاني".

ود. نادية رضوان لمن لا يعرفها حاصلة على درجة الدكتوراة من قسم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس، ولها عدة مؤلفات وبحوث في مجال حقوق المرأة والتنميـة البشرية، والمشكلات السكانية، ومن مؤلفاتها الأخرى كتـاب "الشباب المصري المعاصر وأزمة القيم" وفازت عنه بجائزة وزارة الثقافة لأفضل كتاب في مجال البحـوث الاجتماعيـة لعام ١٩٩٨، وتعمل حاليا أستاذًا لعلم الاجتماع بكلية التربيـة ببورسعيد جامعة قناة السويس.

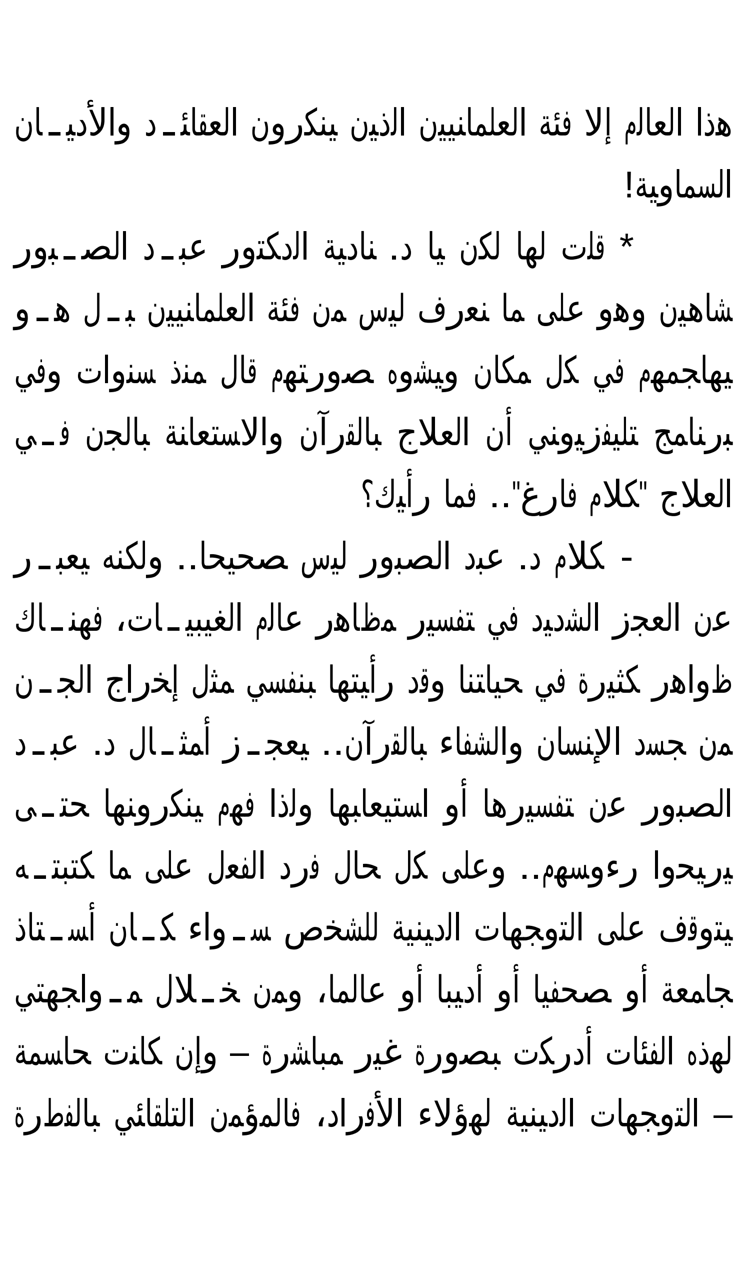
وقد تسأل نفسك عن هذا التناقض الواضـح، فكيـف لأستاذه علم اجتماع من المفروض أن تتصـدى للخرافـات والجهل، وتكشف محاولات الدجالين والمشعوذين والنصابين فإذا بها تروج لهم وتروي قصص قدرتهم على إخراج الجن وفك الأعمال وتسخير العفاريت والعلاج الروحـاني، هـذا السؤال طرحته على د. نادية رضوان فوجدتها مقتنعة تمامـا بما فعلت، بل وتؤكد عليه وترفض كل من يشك فيه.

تقول: فيه ناس تدخل في تجارب مـرض وتـذهب للأطباء، لكنهم يعجزون عن علاجهم.. وعندما تعجز الحلول الطبية يبحث الناس عن الغيبيات يلتمسون فيها الشفاء، أعلـم أن العلمانيين يرفضون الحديث عن الغيبيات ولا يعترفـون بها، لكن ثقافتنا الشرقية والإسلامية تؤكـد أن هنـاك جنًـا وغيبيات.. وأنا مرضت بصداع فشل الأطبـاء فـي مصـر وانجلترا وأمريكا في معرفة سببه، وكلما بدأت رحلة عـلاج تفشل.. فذهبت إلى الشيوخ والمعالجين الروحيين.

د. نادية تتحدث عن تجربة شخصية خاضتها بنفسها إذن، لكن الموضوع يتحول عندها من مجرد تجربـة إلـى اقتناع كامل، فهي ترى أن الاعتقاد ببعض الغيبيـات ومنهـا

الاتصال بالأرواح وتجسيدها والوساطة الروحية والجن، أي الإيمان بوجود الكائنات اللامرئية، أمر لا ينبغي أن نصفه بالتخلف، حيث تشير كل الأديان السماوية إلى بعض أشكاله وتؤكده، كما أن الجمعيات الروحية المنتشرة في العالم الغربي وفي مصر تضم بين أعضائها خيرة العلماء والفلاسفة والمفكرين، كذلك فإن المكتبة العالمية تضم آلاف المؤلفات حول هذه الغيبيات كواقع غير مرئي، لأن قدراتنا وإمكانياتنا العلمية لا تؤهل الكثيرين منا لاكتشاف هذا العالم المجهول، مما يحتم علينا ألا ننفيه لمجرد كونه مجهولاً لنا، إذ لا يعني كونه مجهولاً أنه لا وجود له، فمنذ عدة عقود وقبل الاكتشافات العلمية الطبية كانت البكتيريا والميكروبات والفيروسات مجهولة لجميع البشر رغم وجودها.

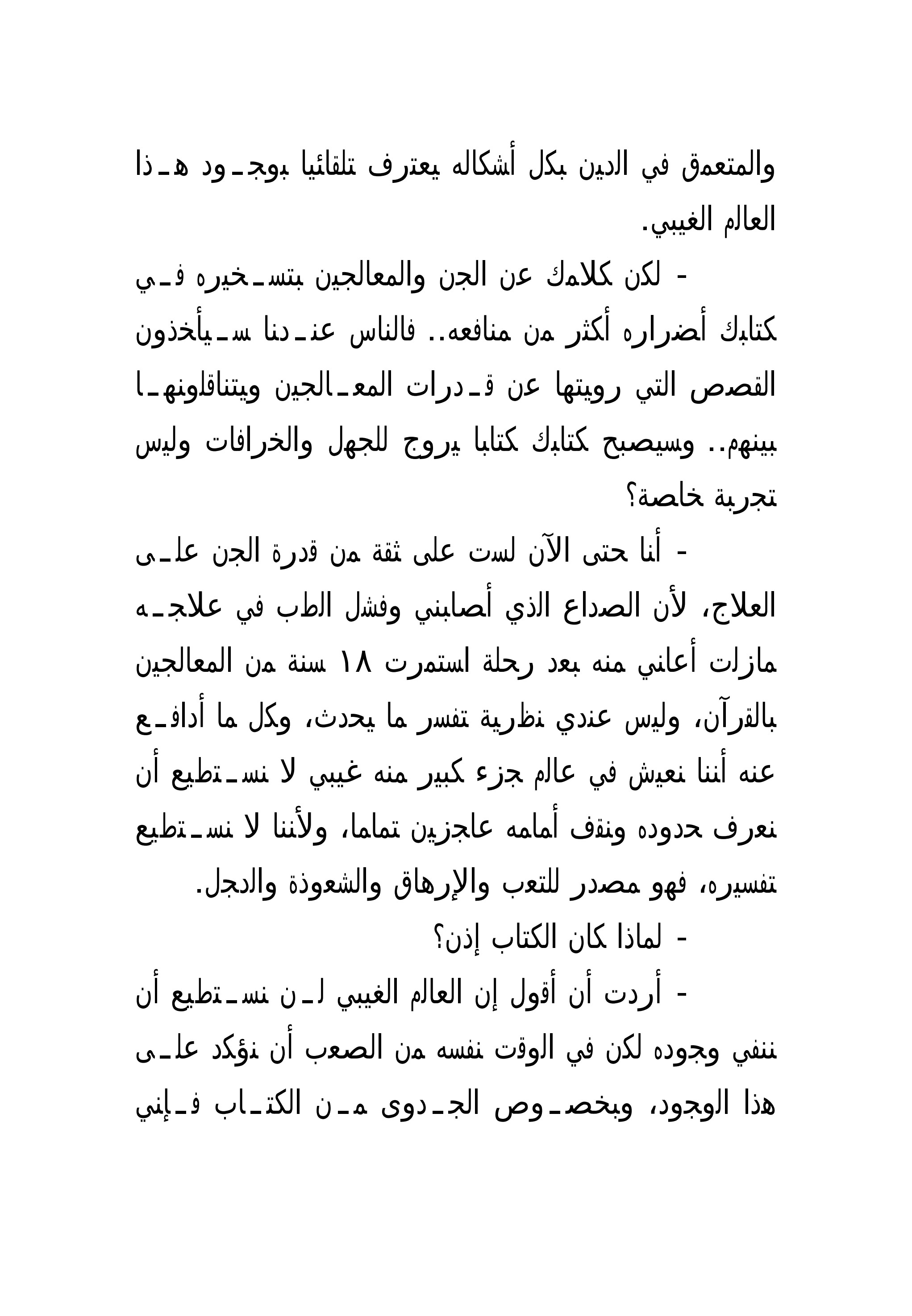
نحن إذن أمام شخصية علمية لكنها تؤمن إيمانًا يقينيا بالغيبيات بل وتروج لها وتتهم من يستنكر موقفها هذا بالجهل الشديد، د. نادية تتهم من ينكر الجن ويعيب عليها لجوءها إلى الغيبيات بعد الانتماء والإنكار التام للقرآن الكريم، لأن الأديان السماوية الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن أشارت إلى هذا العالم الغيبي في كثير من المواضع، وبالتالي فلا ينكر



هذا العالم إلا فئة العلمانيين الذين ينكرون العقائد والأديان السماوية!

* قلت لها لكن يا د. نادية الدكتور عبد الصبور شاهين وهو على ما نعرف ليس من فئة العلمانيين بل هو يهاجمهم في كل مكان ويشوه صورتهم قال منذ سنوات وفي برنامج تليفزيوني أن العلاج بالقرآن والاستعانة بالجن في العلاج "كلام فارغ".. فما رأيك؟

- كلام د. عبد الصبور ليس صحيحا.. ولكنه يعبر عن العجز الشديد في تفسير مظاهر عالم الغيبيات، فهناك ظواهر كثيرة في حياتنا وقد رأيتها بنفسي مثل إخراج الجن من جسد الإنسان والشفاء بالقرآن.. يعجز أمثال د. عبد الصبور عن تفسيرها أو استيعابها ولذا فهم ينكرونها حتى يريحوا رءوسهم.. وعلى كل حال فرد الفعل على ما كتبته يتوقف على التوجهات الدينية للشخص سواء كان أستاذ جامعة أو صحفيا أو أديبا أو عالما، ومن خلال مواجهتي لهذه الفئات أدركت بصورة غير مباشرة – وإن كانت حاسمة – التوجهات الدينية لهؤلاء الأفراد، فالمؤمن التلقائي بالفطرة



والمتعمق في الدين بكل أشكاله يعترف تلقائيا بوجـود هـذا العالم الغيبي.

- لكن كلامك عن الجن والمعالجين بتسـخيره فـي كتابك أضراره أكثر من منافعه.. فالناس عنـدنا سـيأخذون القصص التي رويتها عن قـدرات المعـالجين ويتناقلونهـا بينهم.. وسيصبح كتابك كتابا يروج للجهل والخرافات وليس تجربة خاصة؟

- أنا حتى الآن لست على ثقة من قدرة الجن علـى العلاج، لأن الصداع الذي أصابني وفشل الطب في علاجـه مازلت أعاني منه بعد رحلة استمرت ١٨ سنة من المعالجين بالقرآن، وليس عندي نظرية تفسر ما يحدث، وكل ما أدافـع عنه أننا نعيش في عالم جزء كبير منه غيبي لا نسـتطيع أن نعرف حدوده ونقف أمامه عاجزين تماما، ولأننا لا نسـتطيع تفسيره، فهو مصدر للتعب والإرهاق والشعوذة والدجل.

- لماذا كان الكتاب إذن؟

- أردت أن أقول إن العالم الغيبي لـن نسـتطيع أن ننفي وجوده لكن في الوقت نفسه من الصعب أن نؤكد علـى هذا الوجود، وبخصـوص الجـدوى مـن الكتـاب فـإني

كمتخصصة في علم الاجتماع أزعم أنني أكثر قدرة على فهم الشخصية المصرية، والخلفية الثقافية التي توسـم المـؤمنين بالغيبيات بسمة مميزة، وهي الانصـياع الأعمـى والتسـليم المطلق لذوي القدرة على تسخير القوى الإعجازية، والعجـز عن إعمال العقل وعدم الربط بين الأسباب والنتائج، وعـدم القدرة على التحليل العلمي المتعقل للظواهر التي قـد تبـدو خارقة، مما يجعل الكثيرين منهـا هـدفًا سـهلاً للنصـابين والمشعوذين، فالبسطاء من الناس ذوو القدر الضـئيل مـن التعليم أو الثقافة يميلون إلى التفسيرات الإعجازية والخرافية لكل ما يعجزون عن فهمه أو تفسـيره أو مواجهتـه حتـى بالنسبة لأبسط الظواهر.

تعتبر د. نادية ما كتبته بمثابـة صـفارة تحـذير أو جرس إنذار لأن الدخول إلى عالم الغيبيات والاستعانة بالجن يؤدي إلى طريقين لا ثالث لهما الأول أن هذا الطريق أشـبه بالباب الدوار الذي لا يحقق الإنسان من ورائه أية نتيجة، إلا من بعض الحالات الشاذة، والتي ربما تعود إلـى الصـدفة، والثاني أن تلك القوى الغيبية كالأرواح أو الجن على فـرض التسليم المطلق بالاستعانة بها لا تنفع وإن كان مـن الـوارد

احتمالات ضررها، فالجن على وجه الخصوص من خـلال الظواهر الخارقة التي عاشتها والتي قد يكـون لهـا بعـض التفسيرات العلمية التي لا نعرفها، لا يسـتفيد منـه سـوى الشخص الذي يسخره، حيث يحصل من ورائه على الأموال الطائلة في المقام الأول، إذ إن ذيوع اسـم ذلـك الشـخص وانتشار شهرته في مجال قدرته على الإتيان ببعض الظواهر الخارقة يؤدي إلى تدفق الناس وارتمائهم على أعتابه، والذي يؤدي بدوره إلى مكاسب مادية طائلة.

يبدو من كلام الدكتورة أنها تعي جيدا مـا تقـول.. وتعرف أيضا وكما قالت لنا أن ٩٩% من الذين ذهبت إليهم طلبا للعلاج مجرد نصابين ومشعوذين وتعرضت في بيـوت بعضهم للاغتصاب والبهدلة.. لكنها كتبت عنهم ما يروج لهم ربما دون أن تقصد، وكان لابد أن نسأل.

- كلامك يا د. نادية عن الوصول لتفسـير بعـض الظواهر الخارقة في حياتنا كان الأولى به بحـث علمـي.. وليس كتابا يقرؤه عامة الناس، ألم تفكري فيمـا يمكـن أن يحدثه هذا الكتاب من أثر سلبي؟

- أحب أن أؤكد أنني لم ألجأ للغيبيـات إلا بعـد أن سدت في وجهي كل السبل العلمية والطبية، وبعد أن نهشـني العجز بأنيابه وتراجعت فلول الأمل أمام جيوش اليأس وبعـد أن تقلصت مساحة الصحة أمام زحف المرض وأنا أتجـرع أنات الألم الأخرس، لكن حماني مستوى تعليمـي وخبراتـي وتجاربي في الحياة، فقد أمدتني بقدر من القدرة على التمييز بين النصب والتحايل، والادعاء، وبـين بعـض الظـواهر الاجتماعية التي يعجز العلم والمنطق عن إنكارها.

هذا إلى جانب أن تصاريف القـدر مضـاف إليهـا قدراتي الفطرية مشفوعة بتجاربي الكثيرة في العديـد مـن المجالات، أمدتني بالقوة والقدرة علـى مواجهـة المواقـف الخطيرة والصعبة التي قد لا ينجو منها شخص آخـر، ممـا أتاح لي فرصة النجاة من الفخاخ والشراك الخداعية التي يقع فيها الكثيرون من البسطاء.

أغلب الظن أن د. نادية رضوان كانت حسنة النيـة وهي تضع هذا الكتاب، فهي تؤكد أن الإنسان عندما يـدخل عالم الغيبيات ويطلب العلاج من الجن قد يتعثر للحظة فيسقط وتطحنه التجربة أو تسحقه ولهذا أقول إياكم وهذا الطريـق،

النية حسنة إذن.. لكن الطريق إلى جهنم – كمـا يقولـون – مفروش بالنوايا الحسنة، فالدكتورة كتبت لتحذر الناس لكنهـا أوقعتهم في شر أعمالهم من حيث لا تدري.. والقصص التي أوردتها في كتابها تؤكد ذلك وتفعله.

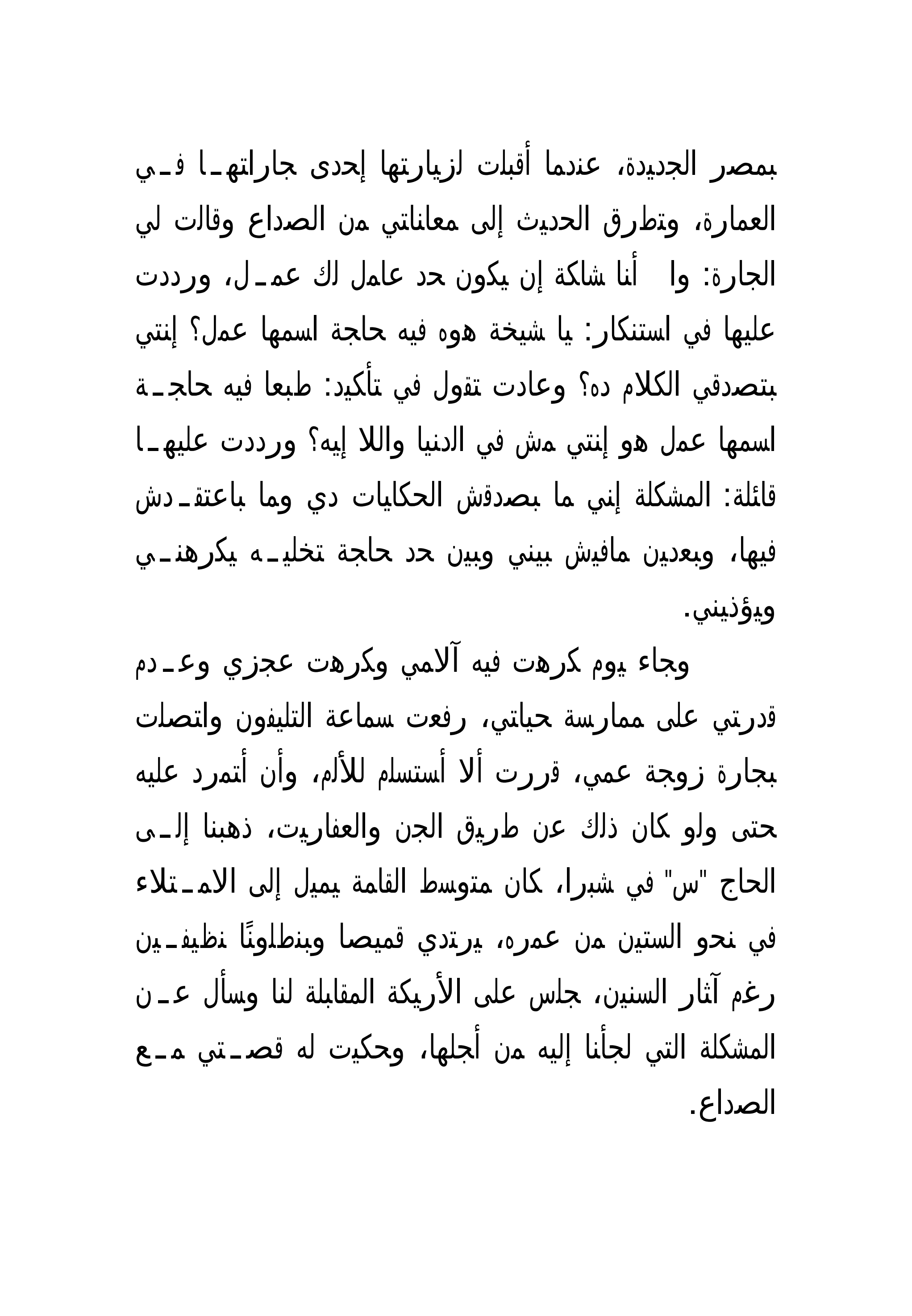
تقول: ناقشتهم، حاورتهم، اعترضت على تحلـيلاتهم وتفسيراتهم، فأنا آخر ما ينطبق عليه مصطلح مريض نفسي، حياتي مليئة بالأنشطة والهوايات المتعددة، داخلي في توافـق وتواؤم مع خارجي، أحب الحياة وأنفتح عليها بلا حـدود، لا شيء يقف أمام تحقيق طموحاتي وإرادتي، أحب أن أحيا بين الناس، وأحيا لهم، أنا لست مريضة نفسيا ولم يستمع لي أحد ولم يصدقني أحد، وأقنعني أطبـائي أن الـذي يعـاني مـن الاكتئاب النفسي لست أنا، بل هو جهازي العصبي اللاإرادي ولعنت هذا الجهاز الذي يتحكم في إرادتي.

أصابتني تحليلات الأطباء وأدويتهم فعلاً بالاكتئـاب وانسحبت لعدة شهور مـن الحيـاة واستسـلمت للمـرض والصداع الذي احتل رأسي كالاحتلال الانجليزي، سـافرت إلى أمريكا في مهمة علمية وعرضت نفسي علـى الأطبـاء هناك وقرروا كما قرر أطباء مصر قبلهم أنني أعـاني مـن

صداع نفسي، وقضيت الشهور الطويلة وأنا أبلبـع الأدويـة الأمريكاني، وكان الصداع أشد عنادا وأكثر من الدواء ومـن أمريكا، ويئست من الدواء مرة أخرى، فقد عجز عن قهـر الألم وتوقفت عن تعاطيه.

فشل الطب البشري فاتجهت إلى ا أنشـد رحمـة الطب الإلهي، ترددت على أوليـاء ا الصـالحين، سـيدنا الحسين، السيدة زينب، السيدة نفيسة، الإمام الشافعي دعـوت وتوسلت وبكيت وصليت وتصدقت، وذهبت إليه رغم أننـي أعرف أنه موجود في كل مكان، ذهبت إليه، أدعوه عند بيته الحرام، وطفت حول الكعبة، وقبلت الحجر الأسود وركعـت طويلاً في حجر إسماعيل واغتسلت بماء زمزم، وشكوت إليه آلامي وشكوت عجزي وشكوت ضـعف حيلتـي، انحنيـت لجلاله وأنا أبكي، وشكوت إليه وأنا أبكي، ودعوته وأنا أبكي ولم تشأ لي إرادته الشفاء ولا راد لقدره وإرادته.

لم تستجب السماء لتوسلات د. نادية فهربـت مـن الأطباء والدواء وألقـت بنفسـها فـي أحضـان الـدجالين والسحرة.. وها هي بقية فصول الحكاية.. تقول الـدكتورة: كنت في زيارة لزوجة عمي في شقتها بميـدان "تريومـف"



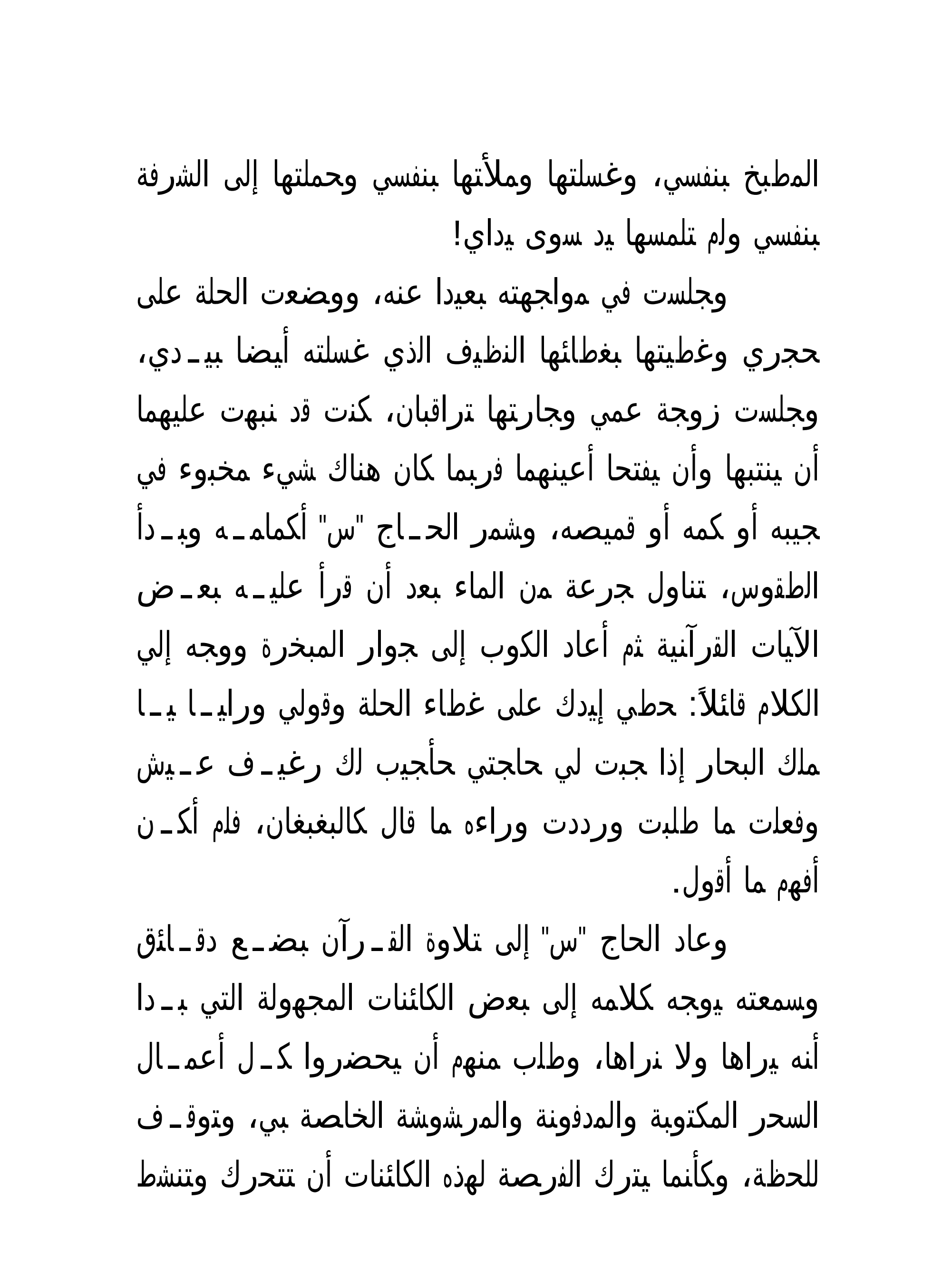
بمصر الجديدة، عندما أقبلت لزيارتها إحدى جاراتهـا فـي العمارة، وتطرق الحديث إلى معاناتي من الصداع وقالت لي الجارة: وا   أنا شاكة إن يكون حد عامل لك عمـل، ورددت عليها في استنكار: يا شيخة هوه فيه حاجة اسمها عمل؟ إنتي بتصدقي الكلام ده؟ وعادت تقول في تأكيد: طبعا فيه حاجـة اسمها عمل هو إنتي مش في الدنيا واللا إيه؟ ورددت عليهـا قائلة: المشكلة إني ما بصدقش الحكايات دي وما باعتقـدش فيها، وبعدين مافيش بيني وبين حد حاجة تخليـه يكرهنـي ويؤذيني.

وجاء يوم كرهت فيه آلامي وكرهت عجزي وعـدم قدرتي على ممارسة حياتي، رفعت سماعة التليفون واتصلت بجارة زوجة عمي، قررت ألا أستسلم للألم، وأن أتمرد عليه حتى ولو كان ذلك عن طريق الجن والعفاريت، ذهبنا إلـى الحاج "س" في شبرا، كان متوسط القامة يميل إلى الامـتلاء في نحو الستين من عمره، يرتدي قميصا وبنطلونًا نظيفـين رغم آثار السنين، جلس على الأريكة المقابلة لنا وسأل عـن المشكلة التي لجأنا إليه من أجلها، وحكيت له قصـتي مـع الصداع.

لم يعقب الحاج "س" بكلمة، وبعد فترة خيل إلي أنـه راح في غيبوبة، لكنه انتفض فجأة، وارتسمت على وجهـه أمارات غضب وانزعاج هائل، وانهالت كلمـات الاسـتنكار الشديدة مختلطة ببعض الآيات القرآنية وهو يقول: يا ساتر يا رب يا مغيث يا حفيظ إيه ده يا بنتي، إيه الحرب اللي عليكي ده، ده إنتي مرشوش لك، ومكتوب لك، ومدفون لك.

وانتقل إلى انزعاجه رغم أني لم أفهم شيئا مما قال، وطلبت منه مزيدا من الإيضاح، أخبرني أنني قد تعرضـت لحملة من تسليط وتسخير الجن لإيذائي عن طريـق أعمـال السحر، وأنه قادر بمشيئة ا على فك هذا السحر، وطلبـت منه وأنا بين مكذبة ومصدقة أن يبدأ فورا وأخبرني أن ذلـك لابد وأن يتم خارج جدران بيته.

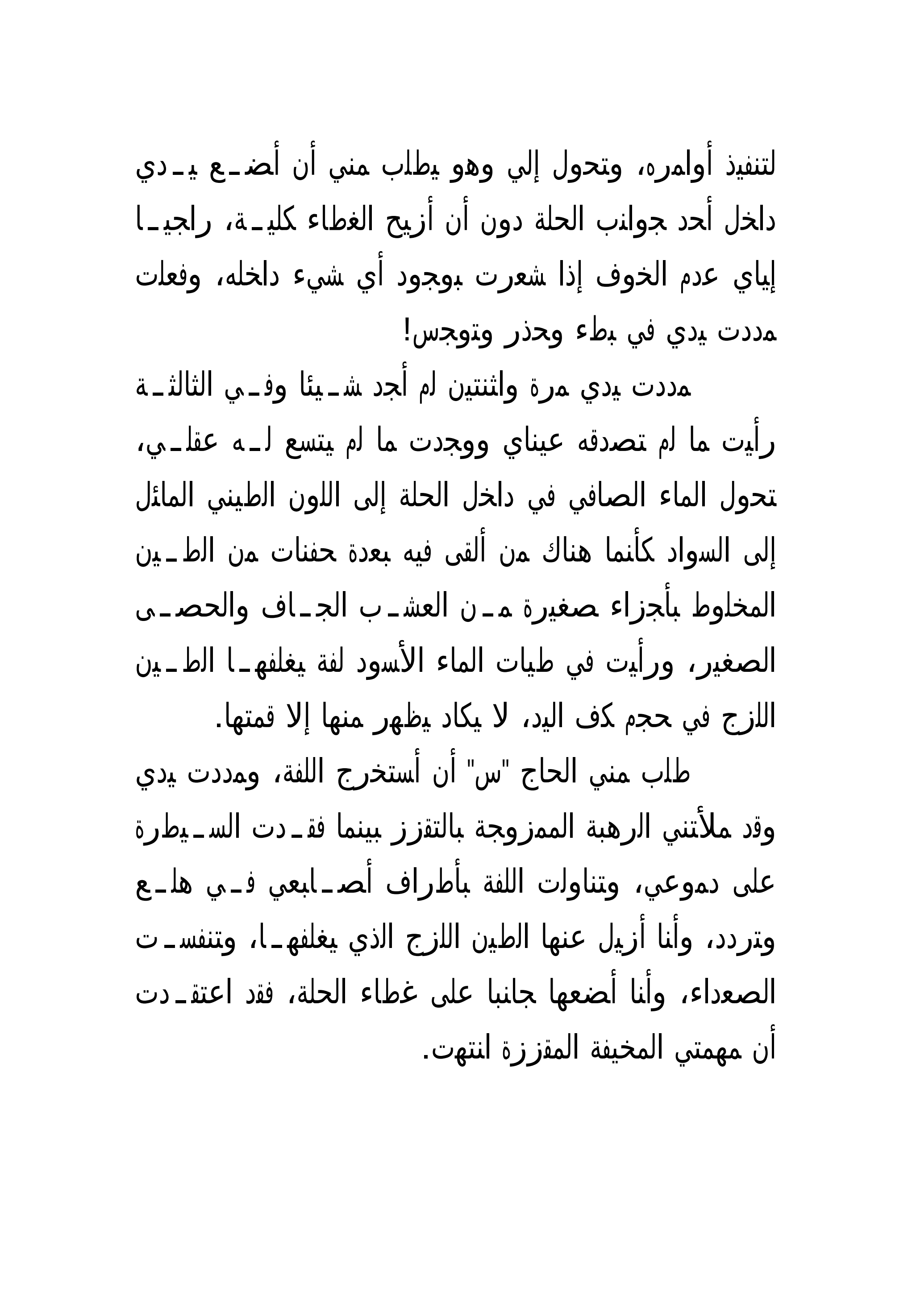
ناقشت الأمور مع زوجي فاتهمني بالكفر والجنـون وقرر عدم السماح بممارسة هذه الخزعبلات والتخاريف في بيتنا، لكني فكرت وخططت ونفذت، وصل الحاج "س" إلـى بيت عمي في العاشرة صباحا، طلب مني كوبا نظيفًا مليئًـا بالماء وضعه أمامه، وطلب مني أن أحضر من المطبخ "حلة" نظيفة مملوءة إلى نصفها بالماء، وسحبت الحلة مـن دولاب



المطبخ بنفسي، وغسلتها وملأتها بنفسي وحملتها إلى الشرفة بنفسي ولم تلمسها يد سوى يداي!

وجلست في مواجهته بعيدا عنه، ووضعت الحلة على حجري وغطيتها بغطائها النظيف الذي غسلته أيضا بيـدي، وجلست زوجة عمي وجارتها تراقبان، كنت قد نبهت عليهما أن ينتبها وأن يفتحا أعينهما فربما كان هناك شيء مخبوء في جيبه أو كمه أو قميصه، وشمر الحـاج "س" أكمامـه وبـدأ الطقوس، تناول جرعة من الماء بعد أن قرأ عليـه بعـض الآيات القرآنية ثم أعاد الكوب إلى جوار المبخرة ووجه إلي الكلام قائلاً: حطي إيدك على غطاء الحلة وقولي ورايـا يـا ملك البحار إذا جبت لي حاجتي حأجيب لك رغيـف عـيش وفعلت ما طلبت ورددت وراءه ما قال كالببغان، فلم أكـن أفهم ما أقول.

وعاد الحاج "س" إلى تلاوة القـرآن بضـع دقـائق وسمعته يوجه كلامه إلى بعض الكائنات المجهولة التي بـدا أنه يراها ولا نراها، وطلب منهم أن يحضروا كـل أعمـال السحر المكتوبة والمدفونة والمرشوشة الخاصة بي، وتوقـف للحظة، وكأنما يترك الفرصة لهذه الكائنات أن تتحرك وتنشط



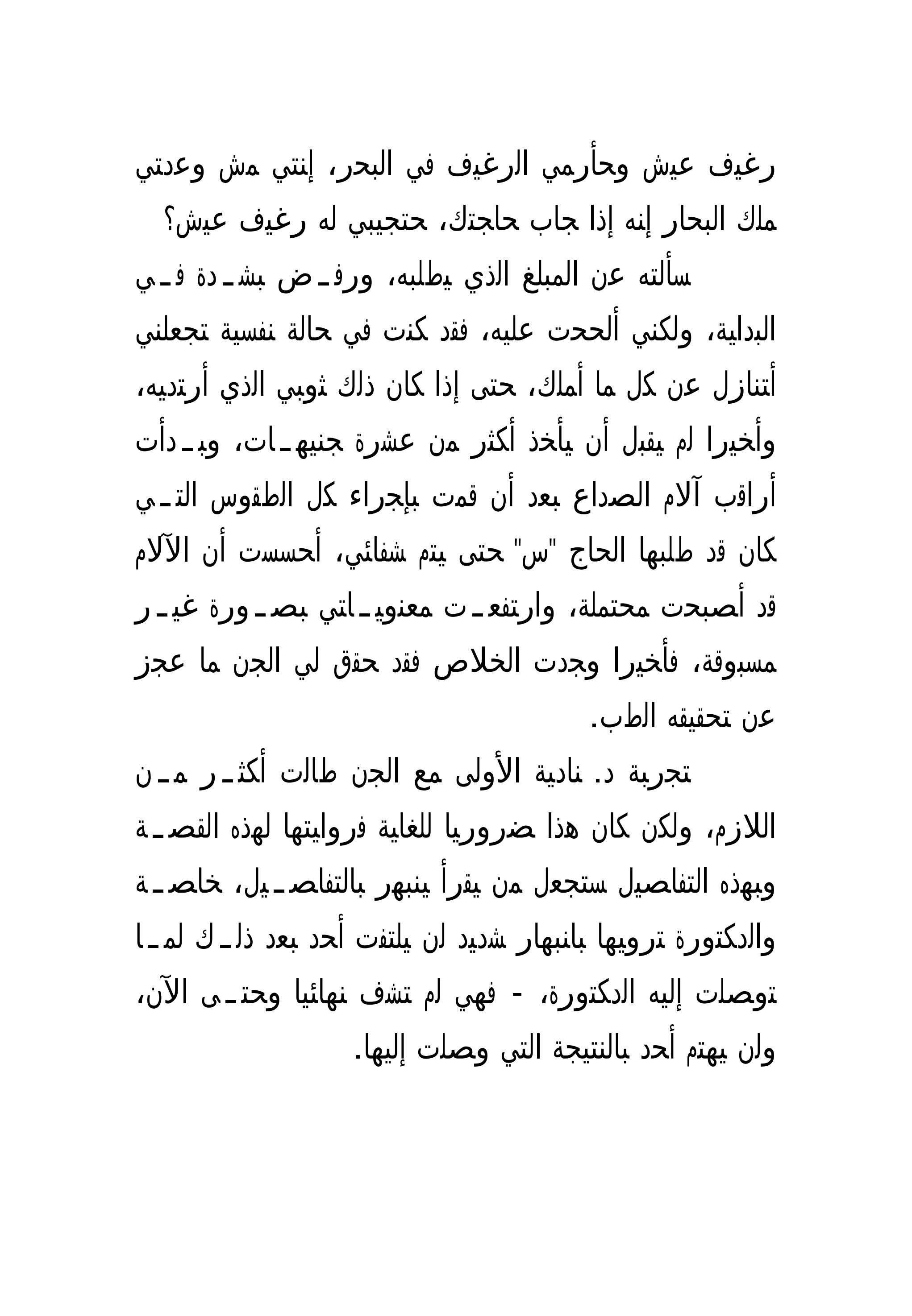
لتنفيذ أوامره، وتحول إلي وهو يطلب مني أن أضع يدي داخل أحد جوانب الحلة دون أن أزيح الغطاء كلية، راجيا إياي عدم الخوف إذا شعرت بوجود أي شيء داخله، وفعلت مددت يدي في بطء وحذر وتوجس!

مددت يدي مرة واثنتين لم أجد شيئا وفي الثالثة رأيت ما لم تصدقه عيناي ووجدت ما لم يتسع له عقلي، تحول الماء الصافي في داخل الحلة إلى اللون الطيني المائل إلى السواد كأنما هناك من ألقى فيه بعدة حفنات من الطين المخلوط بأجزاء صغيرة من العشب الجاف والحصى الصغير، ورأيت في طيات الماء الأسود لفة يغلفها الطين اللازج في حجم كف اليد، لا يكاد يظهر منها إلا قمتها.

طلب مني الحاج "س" أن أستخرج اللفة، ومددت يدي وقد ملأتني الرهبة الممزوجة بالتقزز بينما فقدت السيطرة على دموعي، وتناولت اللفة بأطراف أصابعي في هلع وتردد، وأنا أزيل عنها الطين اللازج الذي يغلفها، وتنفست الصعداء، وأنا أضعها جانبا على غطاء الحلة، فقد اعتقدت أن مهمتي المخيفة المقززة انتهت.

عاد الحاج "س" يطلب البحث داخل المـاء عـن أي شيء آخر قد يكون مستقرا في قاع الحلة، وأسـتأنف مـرة أخرى مهمتي الثقيلة، وخرجت يداي بما هو أغرب وأعجب من اللفافة المغلفة بالطين، خرجت يداي بأكثر من عشر قطع معدنية صغيرة الأحجام بعضها علـى شـكل الماشـاء ا وبعضها على هيئة صلبان محفور عليها جميعا نـوع مـن الكتابة غير المفهومة، وخرجت يداي بمجموعة مـن قطـع الدوبار كل منها يزيد طوله على الشبر، وقد تم عقد كل منها عدة عقد على أبعاد شبه متساوية، كان صـوت الحـاج "س" يتعالى بالاستنكار والسخط كلما خرجت يداي بشيء من الحلة قائلاً: أعوذ با ! أعوذ با ! حوش يا حواش، كل ده سحر؟ كل دي أذية؟

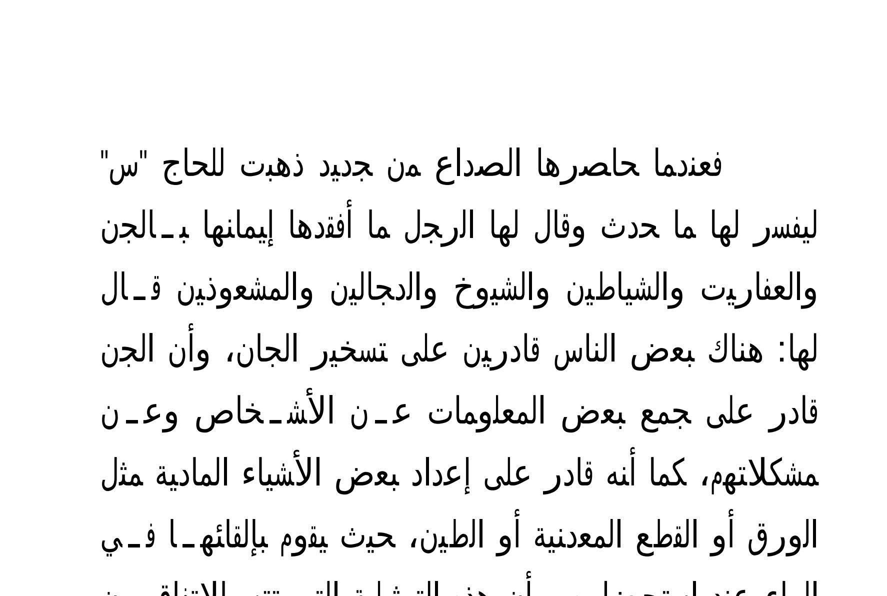
رفض الحاج "س" أن يطلعني على أسماء من سـعوا لإيقاع الشر بي، وأنا أرجوه وأتوسل إليه بصوتي المختنـق بالبكاء، وطلبت منه أن يترك لي الورقة والأشكال المعدنيـة وقطع الدوبار التي وجدناها في الحلة حتى يراهـا زوجـي، ورفض قائلاً: مستحيل يا بنتي، كل الحاجات دي حأحطها في



رغيف عيش وحأرمي الرغيف في البحر، إنتي مش وعدتي ملاك البحار إنه إذا جاب حاجتك، حتجيبي له رغيف عيش؟

سألته عن المبلغ الذي يطلبه، ورفض بشدة في البداية، ولكني ألححت عليه، فقد كنت في حالة نفسية تجعلني أتنازل عن كل ما أملك، حتى إذا كان ذلك ثوبي الذي أرتديه، وأخيرا لم يقبل أن يأخذ أكثر من عشرة جنيهات، وبدأت أراقب آلام الصداع بعد أن قمت بإجراء كل الطقوس التي كان قد طلبها الحاج "س" حتى يتم شفائي، أحسست أن الآلام قد أصبحت محتملة، وارتفعت معنوياتي بصورة غير مسبوقة، فأخيرا وجدت الخلاص فقد حقق لي الجن ما عجز عن تحقيقه الطب.

تجربة د. نادية الأولى مع الجن طالت أكثر من اللازم، ولكن كان هذا ضروريا للغاية فروايتها لهذه القصة وبهذه التفاصيل ستجعل من يقرأ ينبهر بالتفاصيل، خاصة والدكتورة ترويها بانبهار شديد لن يلتفت أحد بعد ذلك لما توصلت إليه الدكتورة، - فهي لم تشف نهائيا وحتى الآن، ولن يهتم أحد بالنتيجة التي وصلت إليها.

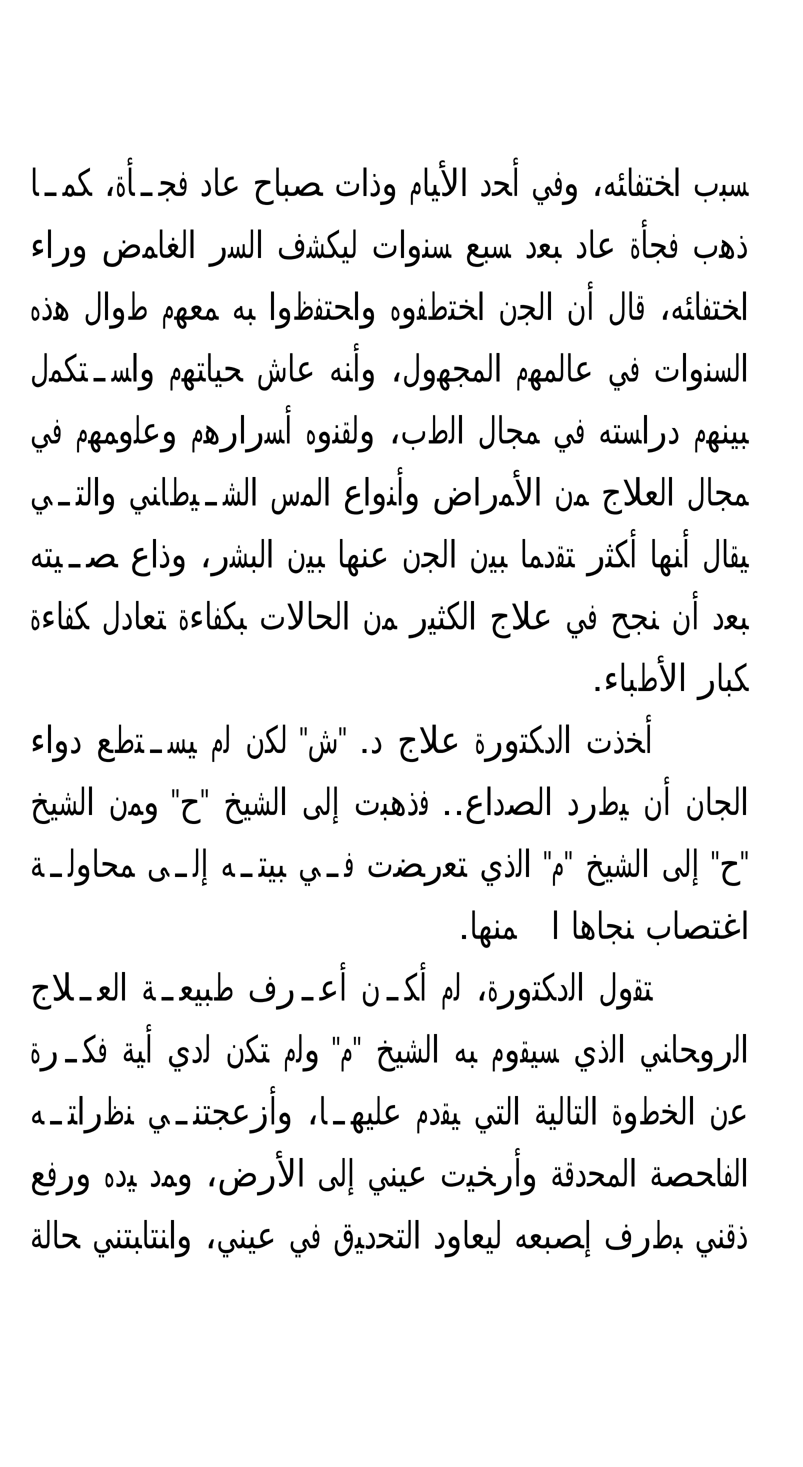


فعندما حاصرها الصداع من جديد ذهبت للحاج "س" ليفسر لها ما حدث وقال لها الرجل ما أفقدها إيمانها بالجن والعفاريت والشياطين والشيوخ والدجالين والمشعوذين قال لها: هناك بعض الناس قادرين على تسخير الجان، وأن الجن قادر على جمع بعض المعلومات عن الأشخاص وعن مشكلاتهم، كما أنه قادر على إعداد بعض الأشياء المادية مثل الورق أو القطع المعدنية أو الطين، حيث يقوم بإلقائها في الماء عند استحضاره، وأن هذه التمثيلية التي تتم بالاتفاق بين الجن والشخص الذي يقوم بتسخيره تعد نوعا من العلاج النفسي للأشخاص أصحاب الحاجات والمشكلات.

عادت الدكتورة من عند الحاج "س" تحمل صداعها معها وقد ملأها الإيمان بأن ما تم على يديه كان مجرد تمثيلية محبوكة الأطراف أعدها وأخرجها الحاج بالتعاون مع أتباعه من الجن والعفاريت كان من المفروض أن تعلن توبتها وترتدع، لكنها عادت لتستنجد بالجن والعفاريت، فربما – كما تقول – أجد من بينهم جنيا أو عفريتًا "ابن حلال" لا يكذب ولا يحب التمثيل.

تركت الدكتورة نفسها للشيوخ والدجالين يفعلون بهـا ما يشاءون، ذهبت إلى الشيخ "ك" في المرج الذي خرجـت من عنده، وهي تسخر من نفسها ومن شهادة الدكتوراة التـي تجرجرها معها بين المشعوذين والدجالين، ثم ذهبـت إلـى الشيخ عامر في كوبري القبة وقد رمزت له الـدكتورة فـي كتابها بالشيخ "ع" لكنها قالت لنا اسمه لأنه مات منذ سـنوات ولأنها شعرت أنه لم يكن دجالاً، فقد رأته بنفسها يسـتخرج الجان من أجساد صديقاتها ومعارفها، ورغم أن الشيخ عامر لم ينجح في علاج الصداع الذي كانت تعـاني منـه رغـم محاولاته المتكررة، لكنها ظلت تتردد عليه بين الحين والآخر من أجل علاج بعض الحالات التي يهمها أمرها، ومن بينهـا حالة ابن شقيقها المهندس الذي عجز الأطباء عـن علاجـه وشفاه الشيخ عامر!

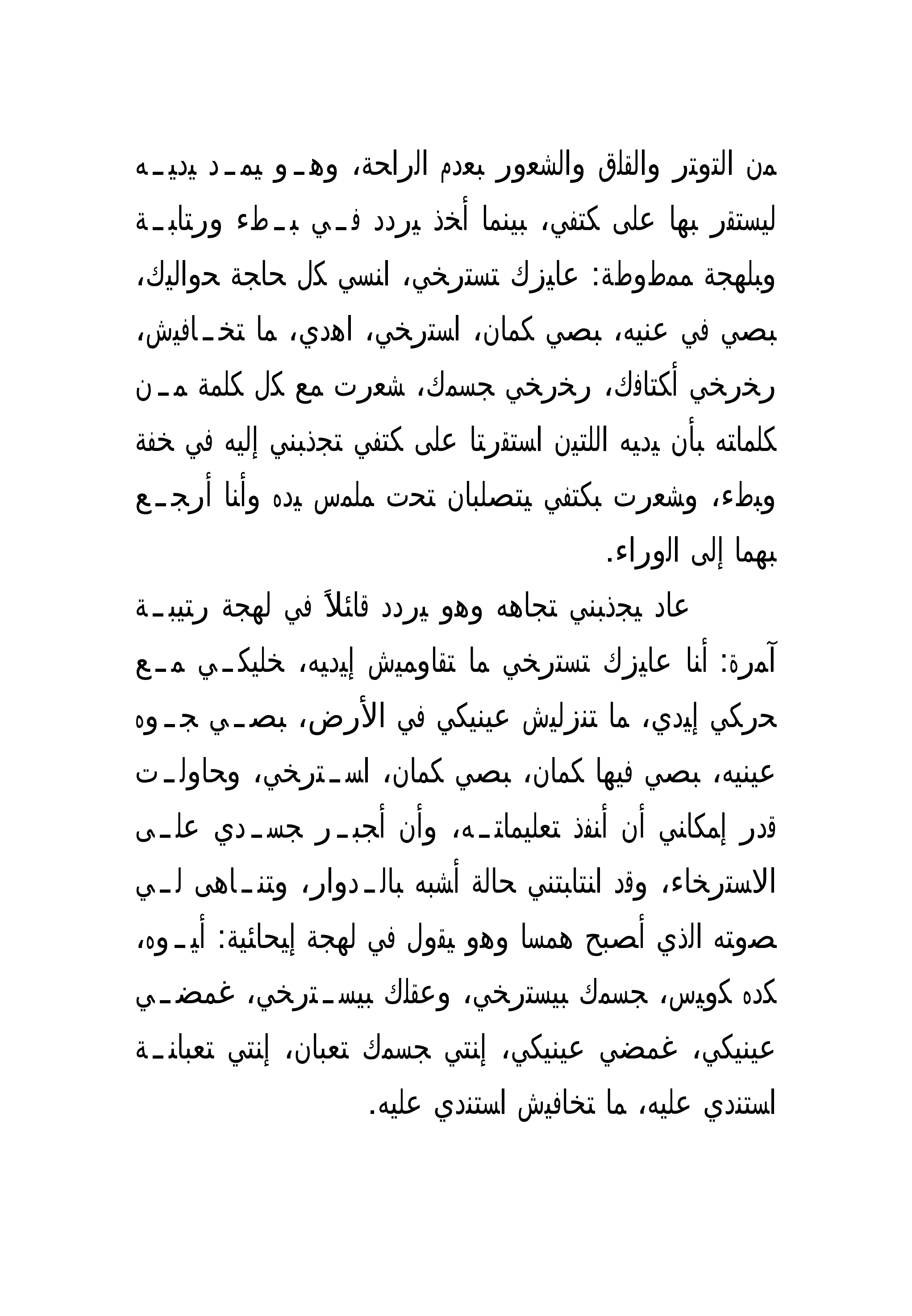
ومن كوبري القبة ذهبت د. نادية إلى المحلة الكبرى ليعالجها الطبيب القادم من عالم الجن، رمزت له الـدكتورة بـ"ش" وحكت قصته قائلة: كان الـدكتور "ش" طالبـا فـي السنوات النهائية بكلية الطب، وفجأة اختفى، تلاشى، خلـت منه جدران بيته الريفي، لم يترك وراءه أي أثر يشـير إلـى



سبب اختفائه، وفي أحد الأيام وذات صباح عاد فجـأة، كمـا ذهب فجأة عاد بعد سبع سنوات ليكشف السر الغامض وراء اختفائه، قال أن الجن اختطفوه واحتفظوا به معهم طوال هذه السنوات في عالمهم المجهول، وأنه عاش حياتهم واسـتكمل بينهم دراسته في مجال الطب، ولقنوه أسرارهم وعلومهم في مجال العلاج من الأمراض وأنواع المس الشـيطاني والتـي يقال أنها أكثر تقدما بين الجن عنها بين البشر، وذاع صـيته بعد أن نجح في علاج الكثير من الحالات بكفاءة تعادل كفاءة كبار الأطباء.

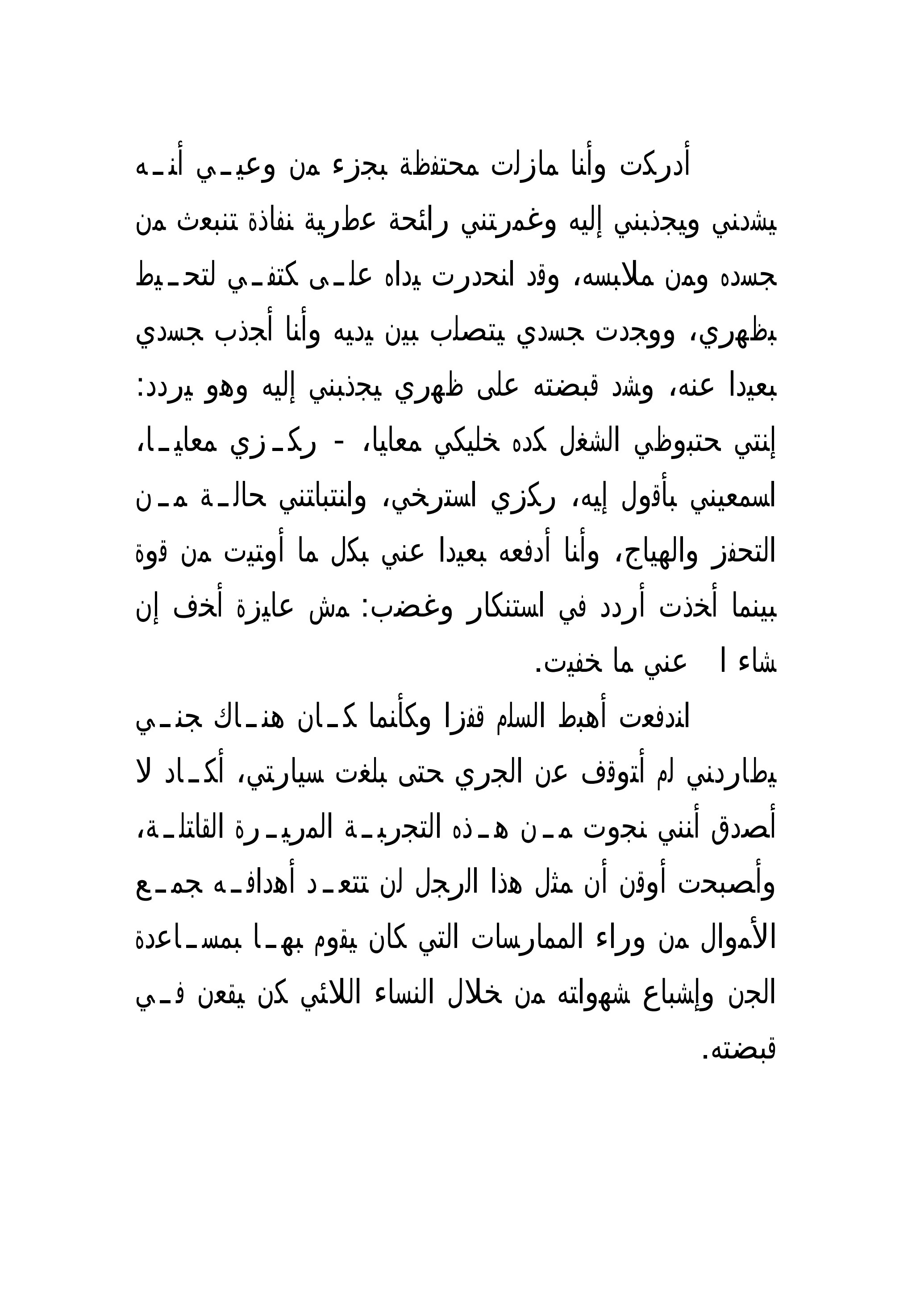
أخذت الدكتورة علاج د. "ش" لكن لم يسـتطع دواء الجان أن يطرد الصداع.. فذهبت إلى الشيخ "ح" ومن الشيخ "ح" إلى الشيخ "م" الذي تعرضت فـي بيتـه إلـى محاولـة اغتصاب نجاها ا منها.

تقول الدكتورة، لم أكـن أعـرف طبيعـة العـلاج الروحاني الذي سيقوم به الشيخ "م" ولم تكن لدي أية فكـرة عن الخطوة التالية التي يقدم عليهـا، وأزعجتنـي نظراتـه الفاحصة المحدقة وأرخيت عيني إلى الأرض، ومد يده ورفع ذقني بطرف إصبعه ليعاود التحديق في عيني، وانتابتني حالة



من التوتر والقلق والشعور بعدم الراحة، وهـو يمـد يديـه ليستقر بها على كتفي، بينما أخذ يردد فـي بـطء ورتابـة وبلهجة ممطوطة: عايزك تسترخي، انسي كل حاجة حواليك، بصي في عنيه، بصي كمان، استرخي، اهدي، ما تخـافيش، رخرخي أكتافك، رخرخي جسمك، شعرت مع كل كلمة مـن كلماته بأن يديه اللتين استقرتا على كتفي تجذبني إليه في خفة وبطء، وشعرت بكتفي يتصلبان تحت ملمس يده وأنا أرجـع بهما إلى الوراء.

عاد يجذبني تجاهه وهو يردد قائلاً في لهجة رتيبـة آمرة: أنا عايزك تسترخي ما تقاوميش إيديه، خليكـي مـع حركي إيدي، ما تنزليش عينيكي في الأرض، بصـي جـوه عينيه، بصي فيها كمان، بصي كمان، اسـترخي، وحاولـت قدر إمكاني أن أنفذ تعليماتـه، وأن أجبـر جسـدي علـى الاسترخاء، وقد انتابتني حالة أشبه بالـدوار، وتنـاهى لـي صوته الذي أصبح همسا وهو يقول في لهجة إيحائية: أيـوه، كده كويس، جسمك بيسترخي، وعقلك بيسـترخي، غمضـي عينيكي، غمضي عينيكي، إنتي جسمك تعبان، إنتي تعبانـة استندي عليه، ما تخافيش استندي عليه.



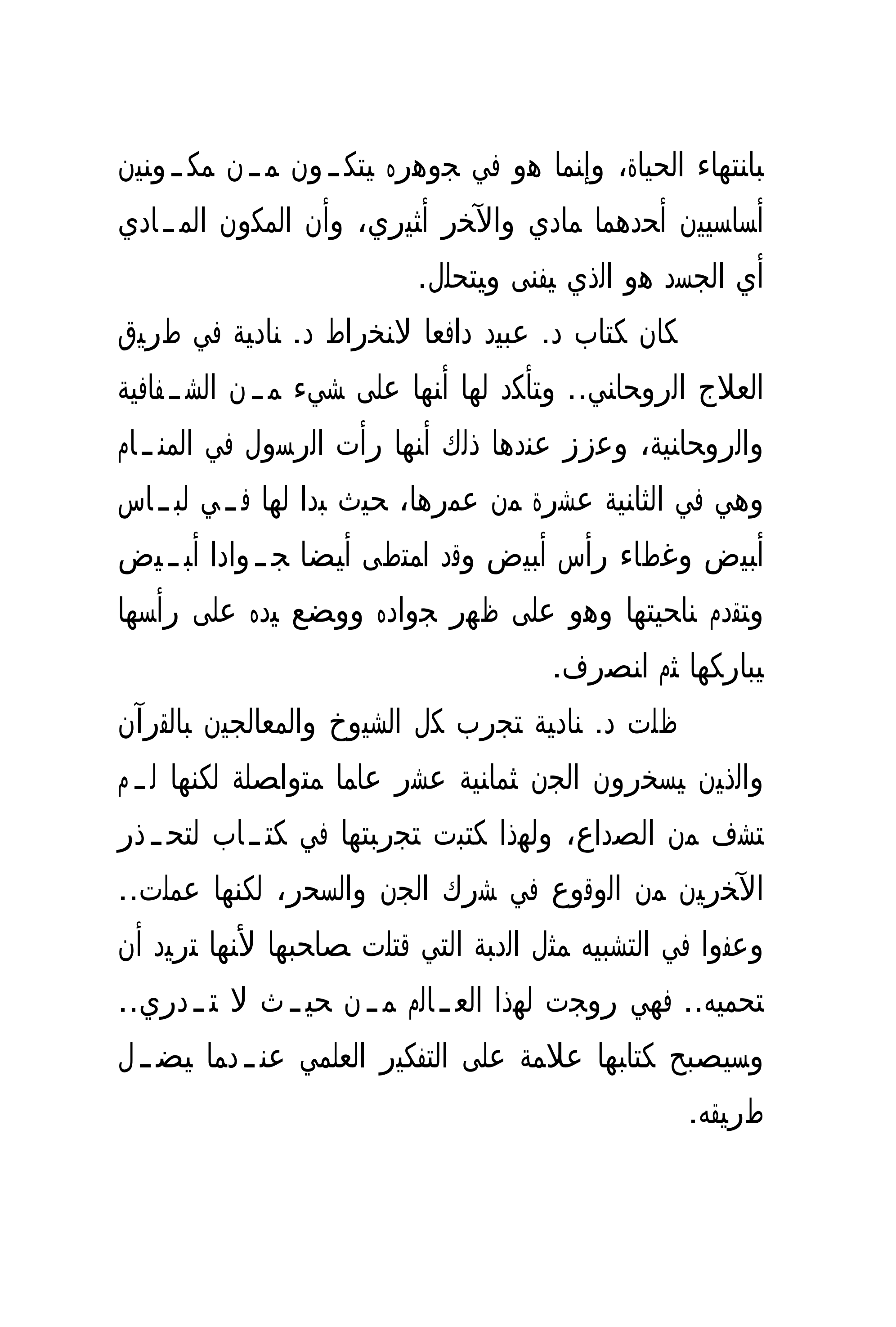
أدركت وأنا مازلت محتفظة بجزء من وعيي أنه يشدني ويجذبني إليه وغمرتني رائحة عطرية نفاذة تنبعث من جسده ومن ملابسه، وقد انحدرت يداه على كتفي لتحيط بظهري، ووجدت جسدي يتصلب بين يديه وأنا أجذب جسدي بعيدا عنه، وشد قبضته على ظهري يجذبني إليه وهو يردد: إنتي حتبوظي الشغل كده خليكي معايا، - ركزي معايا، اسمعيني بأقول إيه، ركزي استرخي، وانتباتني حالة من التحفز والهياج، وأنا أدفعه بعيدا عني بكل ما أوتيت من قوة بينما أخذت أردد في استنكار وغضب: مش عايزة أخف إن شاء ا عني ما خفيت.

اندفعت أهبط السلم قفزا وكأنما كان هناك جني يطاردني لم أتوقف عن الجري حتى بلغت سيارتي، أكاد لا أصدق أنني نجوت من هذه التجربة المريرة القاتلة، وأصبحت أوقن أن مثل هذا الرجل لن تتعد أهدافه جمع الأموال من وراء الممارسات التي كان يقوم بها بمساعدة الجن وإشباع شهواته من خلال النساء اللائي كن يقعن في قبضته.

كان من المفروض أن تصبح هذه الحادثة هي نهايـة المطاف في رحلة الدكتورة مع الجن والعفاريت لكنهـا لـم تهدأ.. وتحولت من الجـن إلـى عـالم الأرواح والعـلاج الروحاني، الغريب أن الدكتورة تفعل ذلك باقتناع تام وعميق.

قلنا لها يا دكتورة إن تجربتك إغراق فـي الخرافـة نحن نؤمن بالغيب.. ولكننا نرفض الخرافة.. فكيـف يتفـق العلاج الروحاني مع شخصيتك التي من المفروض أن تكون علمية؟

قالت.. ما أقوله عن العلاج الروحاني لـيس بدعـة، فلدينا في مصر د. رءوف عبيد وكان من كبار أساتذة القانون بكلية الحقوق بجامعة عين شمس، كما كان من أوائل الرواد الذين وهبوا حياتهم لاختراق أسرار عالم الروح، وللـدكتور عبيد كتاب بعنوان "الإنسان روح لا جسد" وهو مكون مـن ثلاثة أجزاء ضخمة يقع كل جزء في نحو ١٥٠٠ صـفحة، ويوضح د. عبيد أن الإنسان روح لا جسد وفسر على أساس ذلك اتصال الأرواح سمعيا بالأحياء أو تجسـدها لهـم فـي صورتها الشفافة الأثيرية، وهو ما يسمى بالجلاء البصـري، حيث يرى أن الإنسان ليس مجرد كيان يفنى ويتحلل وينتهي



بانتهاء الحياة، وإنما هو في جوهره يتكون من مكونين أساسيين أحدهما مادي والآخر أثيري، وأن المكون المادي أي الجسد هو الذي يفنى ويتحلل.

كان كتاب د. عبيد دافعا لانخراط د. نادية في طريق العلاج الروحاني.. وتأكد لها أنها على شيء من الشفافية والروحانية، وعزز عندها ذلك أنها رأت الرسول في المنام وهي في الثانية عشرة من عمرها، حيث بدا لها في لباس أبيض وغطاء رأس أبيض وقد امتطى أيضا جوادا أبيض وتقدم ناحيتها وهو على ظهر جواده ووضع يده على رأسها يباركها ثم انصرف.

ظلت د. نادية تجرب كل الشيوخ والمعالجين بالقرآن والذين يسخرون الجن ثمانية عشر عاما متواصلة لكنها لم تشف من الصداع، ولهذا كتبت تجربتها في كتاب لتحذر الآخرين من الوقوع في شرك الجن والسحر، لكنها عملت.. وعفوا في التشبيه مثل الدبة التي قتلت صاحبها لأنها تريد أن تحميه.. فهي روجت لهذا العالم من حيث لا تدري.. وسيصبح كتابها علامة على التفكير العلمي عندما يضل طريقه.

- قلت لها بعد أن انتهيت من كتابك يا دكتورة: ما الفكرة التي سيطرت عليك؟

- قالت: أنا أحتاج لمن يفسر لي ما حدث أثناء رحلتي مع الدجالين والمشعوذين.. لا من يرفض الكلام من البداية ويتهمني بالجهل وترويج الخرافة، لقد رأيت بعضهم يطرد الجن ويطارده ورأيت آية خارقة في الحلة.. أريد أن يفسر لي أحد هذه الخرافات، أنا لم أعد أومن بالجن وقدرته على العلاج، لكن هذا العالم موجود ويحتاج لمن يكشف عنه.

- وهل تعتقدين أنك ساهمت في كشف هذا العالم أم زاد غموضا على يديك؟

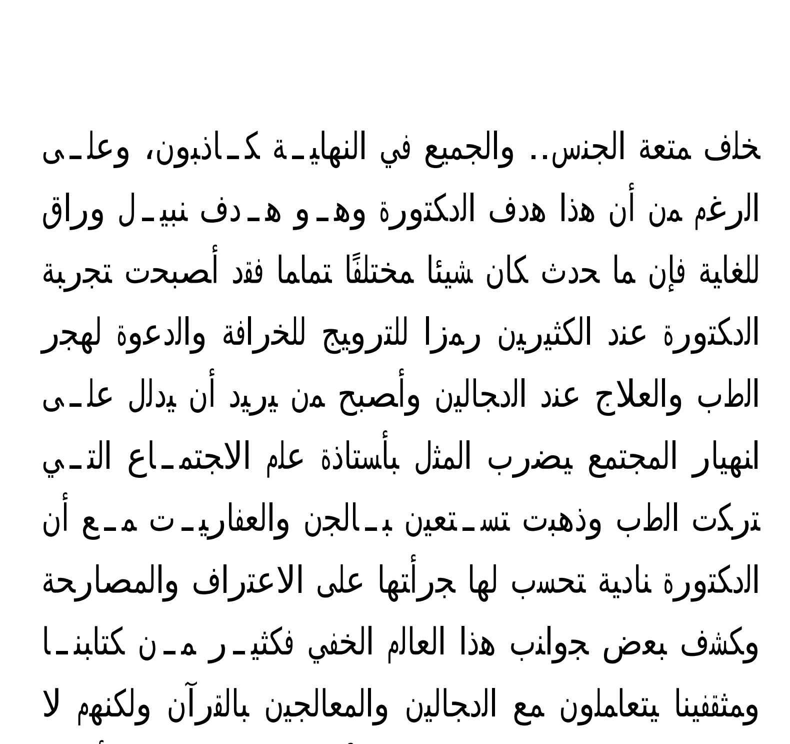
- قالت: أطرف تعليق قال لي صديقي الكاتب الكبير السيد ياسين، قال: إحنا ما صدقنا تخرج أستاذة جامعة تقدم بحوثًا لها قيمة.. تقومي ترجعي وتجري وراء السحرة والدجالين.. مافيش فايدة الستات همه الستات.

هلافيت الجن

هلافيت الجن

د. نادية رضوان أستاذة علـم الاجتمـاع الشـهيرة صاحبة كتاب "رحلتي إلى عالم الجن والعـلاج الروحـاني"، وهو الكتاب الذي يسجل تجربتها لمدة ثمانية عشر عاما مـع المعالجين بالقرآن والسحرة والدجالين والمشـعوذين الـذين أوهموها أنهم قادرون على علاجها والقضاء على الصـداع المزمن الرهيب الذي يعربد في رأسها دون أن تجد له علاجا عند أحد من الأطباء لا في مصر ولا في غيرهـا مـن دول العالم التي زارتها بغرض العلاج.

أحدث الكتاب ضجة وتهافت الجميع على الدكتورة.. هذا يريد أن يجري معها حوارا.. وهذا يعد لها ندوة وهـذه تطلبها للتسجيل معها في محطة فضائية عن الطب البديل، لم تقل د. نادية لا لأحد.. ولكنها أكدت لي أن هدفها من الكتاب كان التأكيد على أن من ذهبت إليهم تطلـب العـلاج كـانوا نصابين ودجالين.. وحتى من أظهروا لها بعـض الأشـياء الغريبة الخارقة ظلوا بالنسبة لها لغزا غامضا يحتاج لتفسير وإيضاح.. فبعضهم يعمل من أجل المال وبعضـهم يسـعى



خاف متعة الجنس.. والجميع في النهاية كاذبون، وعلى الرغم من أن هذا هدف الدكتورة وهو هدف نبيل وراق للغاية فإن ما حدث كان شيئا مختلفًا تماما فقد أصبحت تجربة الدكتورة عند الكثيرين رمزا للترويج للخرافة والدعوة لهجر الطب والعلاج عند الدجالين وأصبح من يريد أن يدلل على انهيار المجتمع يضرب المثل بأستاذة علم الاجتماع التي تركت الطب وذهبت تستعين بالجن والعفاريت مع أن الدكتورة نادية تحسب لها جرأتها على الاعتراف والمصارحة وكشف بعض جوانب هذا العالم الخفي فكثير من كتابنا ومثقفينا يتعاملون مع الدجالين والمعالجين بالقرآن ولكنهم لا يعترفون بذلك بل يجعلونه قدس الأقداس لا يقترب منه أحد.. ثم يخرجون علينا يهاجمون الجن والخرافة بمنتهى البساطة!

بعد الضجة التي أحدثها كتابها اتصل بها عدد كبير ممن ادعوا قدرتهم على علاجها والقضاء على صداعها، لكنها أغلقت الباب فهي لم تعد تثق فيهم.. رغم أنها تتمنى من شدة ما بها من آلام أن يعالجها أحد حتى لو كان نصابا، واحدا فقط أعطته د. نادية أذنها وسمعت له بإنصات شديد اسمه إيهاب من شبرا، تحدى الدكتورة وقال لها: أنا قادر

على علاجك وإن لم تشفي على يدي اضـربيني بالجزمـة، استفزت هذه الجملة د. نادية.. وتعجبت من ثقته المطلقة في نفسه فقبلت التحدي.. ودعته إلى بيتها.. فقال لها وأنا علـى استعداد أن يحضر جلسة العلاج أي عدد ليكونوا شهودا على ما يحدث.

نبرة التحدي في صوت إيهاب جعلت د. نادية تدعو عددا من أصدقائها فجاء د. عبد ا هدية عميد كلية التربيـة جامعة قناة السويس ود. خليل فاضل أخصائي العلاج النفسي والمخرج علاء كريم الذي أكد أنه مقتنع بالفعل أنه هناك بشر عندهم قدرات خارقة، لكنه يريد أن يرى بعينيـه وجـاءت صفاء النجار الكاتبة والمذيعة براديو وتليفزيون العرب ART والتي استضافت د. نادية على الهواء في برنامج آلـو ART لتتحدث عن تجربتها في عالم الجـن والعفاريـت والعـلاج الروحاني ودعتني الدكتورة لأنضم لبقية ضيوفها! قالت لـي الدكتورة نادية أنها لم تدعو أصدقاءها لكي يؤمنوا ويقتنعـوا ويتأكدوا مما قالته ولكنها دعتهم ليعيشوا تجربة لـم يعيشـها أحدهم من قبل ليروا على الطبيعة الخـداع الـذي يمارسـه

البعض فيوهموا الناس أنهم ملبسون أو عليهم جنـا.. وهـو الأمر الذي تأكدت الدكتورة أنه ليس صحيحا وعن تجربة.

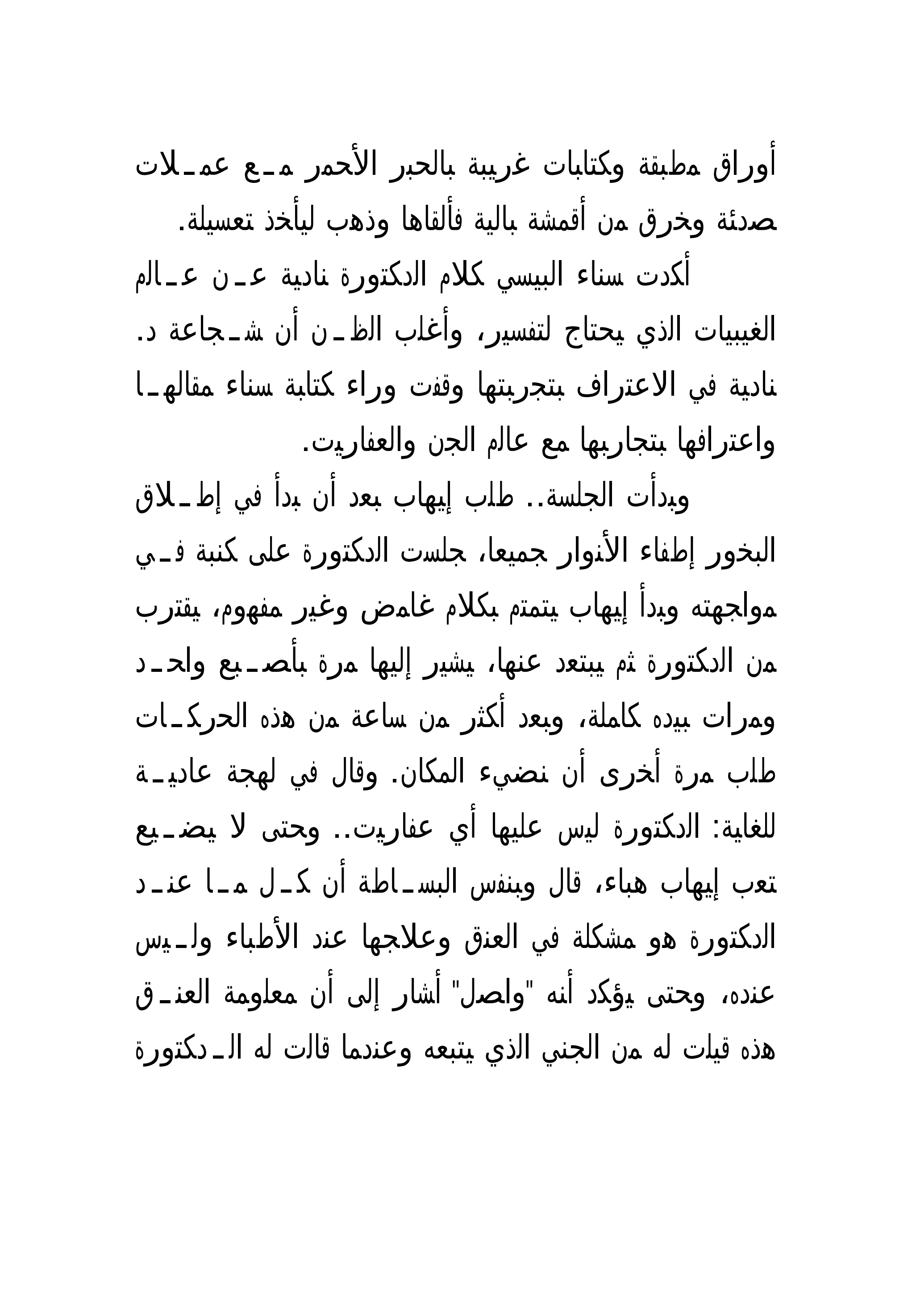
وقد حدث بالفعل فلم نر أمرا خارقًا للغاية أو معجزة نحكيها للآخرين أما كيف فشل إيهاب وظهر أمـام الجميـع ضعيفًا مهزوزا متراجعا مخادعا.. فالقصة لها بداية جديدة.

عندما دخلت شقة الدكتورة نادية وجدتها تجلس مـع إيهاب، شاب في نهاية الثلاثينات من عمره قمحي اللـون لا تفارق السيجارة المارلبورو شفتيه، يتحدث بهدوء شديد لـو رأيته في الشارع بعيدا عن هذه المناسبة يمكـن أن تعتبـره موظفًا في أحد البنوك أو أحد رجال الأعمال الصغار الـذين يقفون في بداية السلم.

بدأ إيهاب حديثًا طويلاً عن الجـن.. عـن عـددهم وعاداتهم.. ماذا يأكلون وماذا يشربون.. قال أن عدد الجـن يفوق عدد الإنس بعشر مرات على الأقل.. فكلما ولد للإنس طفل ولد للجن عشرة، سألته من أيـن حصـل علـى هـذه المعلومة تحديدا فأجابني ببساطة أنـه حصـل علـى كـل معلوماته من عالم الجن أنفسهم فهو لا يقرأ ولا يعتمد علـى أي مصادر أو كتب يستقي منهـا معلوماتـه، تركنـا هـذه

المعلومة جانبا.. فقد بدأ إيهاب يحكي عن الجن الذين يسكنون بني آدم.. وكان له تعليل طريف.. فمـن بـين الجـن آلاف المشردين والهلافيت الذين لا يجدون مسكنًا وليس لهم بيتًـا يعيشون فيه.. ولذا يحرص هؤلاء على أن يسـكنوا الجسـد البشري فهو أمان لهم.. معنى ذلك أن العفريت الذي أوهموا د. نادية أنه يسكن رأسها ويسبب لها الصداع مجرد هلفـوت من هلافيت الجن، لم يجد مكانًا يعيش فيه أو يأويه فاستوطن رأس الدكتورة.

قبل أن تبدأ جلسة العلاج والتي كان من المنتظر أن تحضرها سناء البيسي رئيس تحرير نصف الدنيا التي كتبت مقالاً بعنوان "استرخي" عرضت فيه تجاربها الخاصـة مـع الجن والعفاريت قالت.. تحضرني في هذا المجـال ذكـرى صرخات من خيمة مصيف كانت تجاورنـا عنـدما ذهبنـا نستطلع أمرها إذا بالشاب المهزار بطل ليالي السمر يتلـوى نائما فأيقظناه لنقطع عليه كابوسه لنلاحظ أن بجسده علامات طولية دامية كأنها أثار سياط حديثة هبطت على جلده وعرفنا قصته لقد عثر فوق رمال الشط على رابطة معقودة بمهـارة بواسطة دوبار مختوم، وعندما فرقها لم يجـد فيهـا سـوى



أوراق مطبقة وكتابات غريبة بالحبر الأحمر مع عملات صدئة وخرق من أقمشة بالية فألقاها وذهب ليأخذ تعسيلة.

أكدت سناء البيسي كلام الدكتورة نادية عن عالم الغيبيات الذي يحتاج لتفسير، وأغلب الظن أن شجاعة د. نادية في الاعتراف بتجربتها وقفت وراء كتابة سناء مقالها واعترافها بتجاربها مع عالم الجن والعفاريت.

وبدأت الجلسة.. طلب إيهاب بعد أن بدأ في إطلاق البخور إطفاء الأنوار جميعا، جلست الدكتورة على كنبة في مواجهته وبدأ إيهاب يتمتم بكلام غامض وغير مفهوم، يقترب من الدكتورة ثم يبتعد عنها، يشير إليها مرة بأصبع واحد ومرات بيده كاملة، وبعد أكثر من ساعة من هذه الحركات طلب مرة أخرى أن نضيء المكان. وقال في لهجة عادية للغاية: الدكتورة ليس عليها أي عفاريت.. وحتى لا يضيع تعب إيهاب هباء، قال وبنفس البساطة أن كل ما عند الدكتورة هو مشكلة في العنق وعلاجها عند الأطباء وليس عنده، وحتى يؤكد أنه "واصل" أشار إلى أن معلومة العنق هذه قيلت له من الجني الذي يتبعه وعندما قالت له الدكتورة

أنها ذهبت لكل أطباء الدنيا ولم يعالجها أحد، قال لهـا بثقـة كبيرة هذه المرة: ولن يعالجك أحد!

ظهر إيهاب على حقيقته إذن وضاع كل ما قاله عن قدرته على التنبؤ وإخراج الجن وعلاج المرضى، وهذا مـا كانت تهدف إليه د. نادية، فقد أرادت أن تقول لضيوفها أنها لا تؤمن بقدرة الجن ولا المعالجين الذين يتبعـون أسـاليب يؤثرون بها على المرضى.. تفشل أحيانًا لكنها تنجح كثيـرا، حاول إيهاب بعد ذلك أن يقنعنا بقدراته نظريا.. لكن التجربة العملية أثبتت فشله وكان لابد من جملة ساخرة قلتها للدكتور خليل فاضل الذي ظل طوال الوقت ينظر ويدقق فيما يفعلـه إيهاب عله يعثر على شيء. قلت للدكتور خليل.. أي عفريت لازم يفكر قبل أن يحضر إلى هذه الجلسة التي يجلس فيهـا عميد كلية وأخصائي علاج نفسي ودكتور مناظير ومخـرج سينمائي وصحفيون، هذه المجموعة بالنسـبة لأي عفريـت تعتبر "ملقف"، ضحك الجميع.. وغرق إيهـاب فـي حـرج وحياء مصطنع.

لقد حضرت هذه الجلسة وأنا على اقتناع تام بأن عالم الجن موجود وبأن السحر موجود، على الأقـل لأن القـرآن

الكريم أكد ذلك، لكني على اقتناع تـام أيضـا أن الجـن لا يستطيع أن يسكن الإنسان ولا يستطيع أن يسـيطر عليـه أو يؤذيه، وعليه فكل الذين يدعون أنهم قادرون علـى إخـراج الجان كذابون وأفاقون، لقد كان غريبا أن يقول إيهاب وهـو الرجل الذي ادعى قدرته على إخراج الجان في دقائق أنه قال للدكتورة وهو يحدثها تليفونيا أنه ليس عليها جان، لماذا جاء إذن وماذا كان يفعل طوال ساعة كاملة.. لا أحد يدري..

لقد كانت المفاجأة أن د. نادية أكدت لي اقتناعها التام بأن من لجأت إليهم دجالون ومشعوذون ولا يقـدرون علـى شيء، وأن الجن موجود.. لكنه لا يؤذي أحدا.. وأنها لم تلجأ إلى أي معالج إلا يأسا من شدة الألم الذي لم يقدره أحد ممن وصفوها بالجهل أو بترويج الخرافـة ولـذلك فقـد جـاءت بأصدقائها لا لتؤكد لهم أن الجن موجود ولكن لتؤكد أن هناك من ينصب باسم الجن.. وهؤلاء يملكون صـفات وميـزات شخصية كاريزمية يستطيعون من خلالها التأثير على الناس، وقد يكون فشل إيهاب لأن الموجودين يملكون وعيا وقـدرة على التمييز فليس من السهل خداعهم، لكن المشـكلة وكمـا

أشارت د. نادية في البسطاء الذين يقعون صرعى وبسـهولة في حبائل هؤلاء الدجالين!

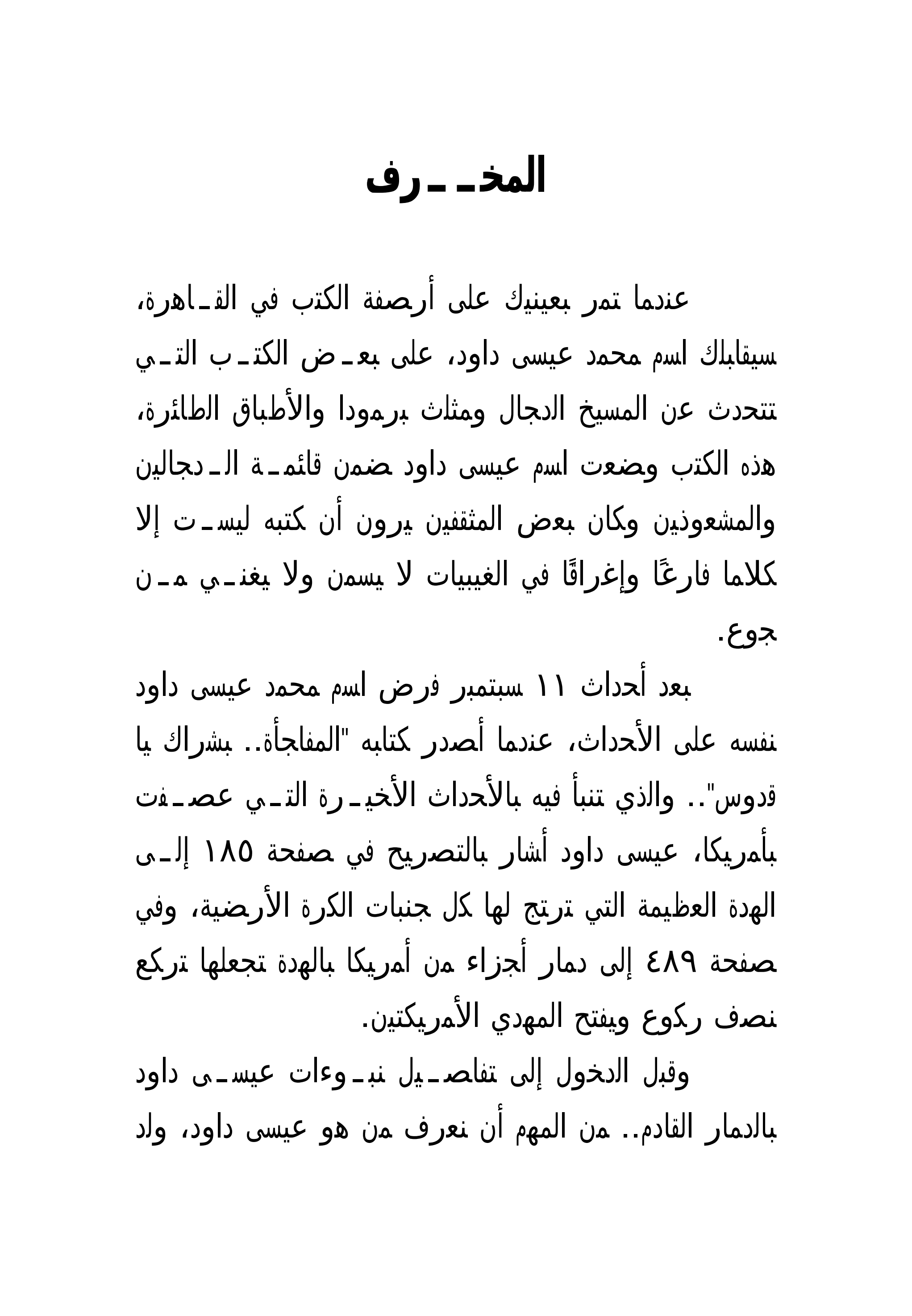
ادعاءات إيهاب كانت مستفزة للجميـع لدرجـة أن علاء كريم تحدث مع إيهاب بصراحة وقال له عفوا ما حدث أمامنا يؤكد أنك نصاب.. فأنا تعاملت مرة مع شـيخ اسـمه رمضان وشاهدت عنده بعض الأشياء التي يعتبرها الـبعض خارقة.. ودعك من اقتناعي أو عدم اقتنـاعي بهـا.. لكنـي رأيتها بعيني وهو ما لم يحدث معك على الإطلاق.. فلم نـر شيئا يثبت أيا من ادعاءاتك.

لم يقل علاء كلامه ويمضي ولكن إيهاب اعتـرض عليه وقال له.. يعني كل المخرجين بيعرفوا يخرجوا.. ما فيه مخرج كويس.. ومخرج على قده، استفزه علاء قائلاً.. طيب بلاش الجن.. تنبأ لأي أحد فينا الآن بطالعه.. قـل لنـا أي شيء يؤكد قدراتك ويقول لنا أنك لست نصابا.. لـم يفعـل إيهاب شيئا واستسلم لسخريات الموجودين التي لم ترحمه.

المؤكد عندي أن مثل هذه الجلسات تتكرر وتحـدث في بيوت سياسيين ومفكرين وفنانين ومثقفين كبار.. يقتنعون بها كل الاقتناع.. لكنهم ليسوا بجرأة وشجاعة د. نادية التـي

قضت فترة طويلة من حياتها مقتنعة بقدرات البشـر علـى العلاج، لكنها عندما اكتشفت كذبهم عادت لتعلن ذلك ببساطة وبمنتهى الشجاعة.. كانت تعلم أن المجتمع لـن يرحمهـا.. لكنها تحدته لتكشف جزءا من سوءته التي يريـد أن يخفيهـا بكل ما أوتي من قوة فهل تستطيع.. نرجو ذلك.

المخـــــــرف



المخــرف

عندما تمر بعينيك على أرصفة الكتب في القــاهرة، سيقابلك اسم محمد عيسى داود، على بعــض الكتــب التــي تتحدث عن المسيخ الدجال ومثلث برمودا والأطباق الطائرة، هذه الكتب وضعت اسم عيسى داود ضمن قائمــة الــدجالين والمشعوذين وكان بعض المثقفين يرون أن كتبه ليســت إلا كلاما فارغًا وإغراقًا في الغيبيات لا يسمن ولا يغنــي مــن جوع.

بعد أحداث ١١ سبتمبر فرض اسم محمد عيسى داود نفسه على الأحداث، عندما أصدر كتابه "المفاجأة.. بشراك يا قدوس".. والذي تنبأ فيه بالأحداث الأخيــرة التــي عصــفت بأمريكا، عيسى داود أشار بالتصريح في صفحة ١٨٥ إلــى الهدة العظيمة التي ترتج لها كل جنبات الكرة الأرضية، وفي صفحة ٤٨٩ إلى دمار أجزاء من أمريكا بالهدة تجعلها تركع نصف ركوع ويفتح المهدي الأمريكتين.

وقبل الدخول إلى تفاصــيل نبــوءات عيســى داود بالدمار القادم.. من المهم أن نعرف من هو عيسى داود، ولد

في الإسماعيلية عام ١٩٥٧، حصل على ليسانس الآداب قسم اللغات والدراسات الشرقية "الفرع العبري" بجامعة القـاهرة، ثم حصل على دبلومة الدراسات العليا في الآثار المصـرية من جامعة القاهرة، ثم على إجازة الدبلومة العليا في آثار ما قبل التاريخ من آثار القاهرة أيضا، حاول أن يدخل طريـق الدراسات الإسلامية لكنه لم يتمها بسبب أسفاره الطويلة فـي بعض البلاد العربية التي عمل بها صحفيا أحيانًا ومستشـارا إعلاميا في بعض الأحيان!

يفخر عيسى داود أنه انفرد وحده بلا منازع بنظرياته عن وجود المسيخ الدجال في مثلث برمودا، وأنـه مختـرع الأطباق الطائرة وأنه صاحب الختم المرموز على الـدولار الأمريكي وأنه صاحب بروتوكولات شيوخ صهيون، وأنـه السامري المنتظر، وأنه المـروج لفكـرة النظـام العـالمي الموحد، ولا أدري لماذا يفخر عيسى داود بهذا الانفراد، فهو لم يقدم دليلاً ماديا ملموسا على صدق ما ذهب إليه.

ليس هذا موضوعنا على أية حـال.. ففـي كتـاب المفاجأة، يقدم المؤلف حديثًا للنبي يقول عن أبي أمامة قـال رسوله ا ﷺ: "يكون في رمضان صوت. قالوا: يـا رسـول

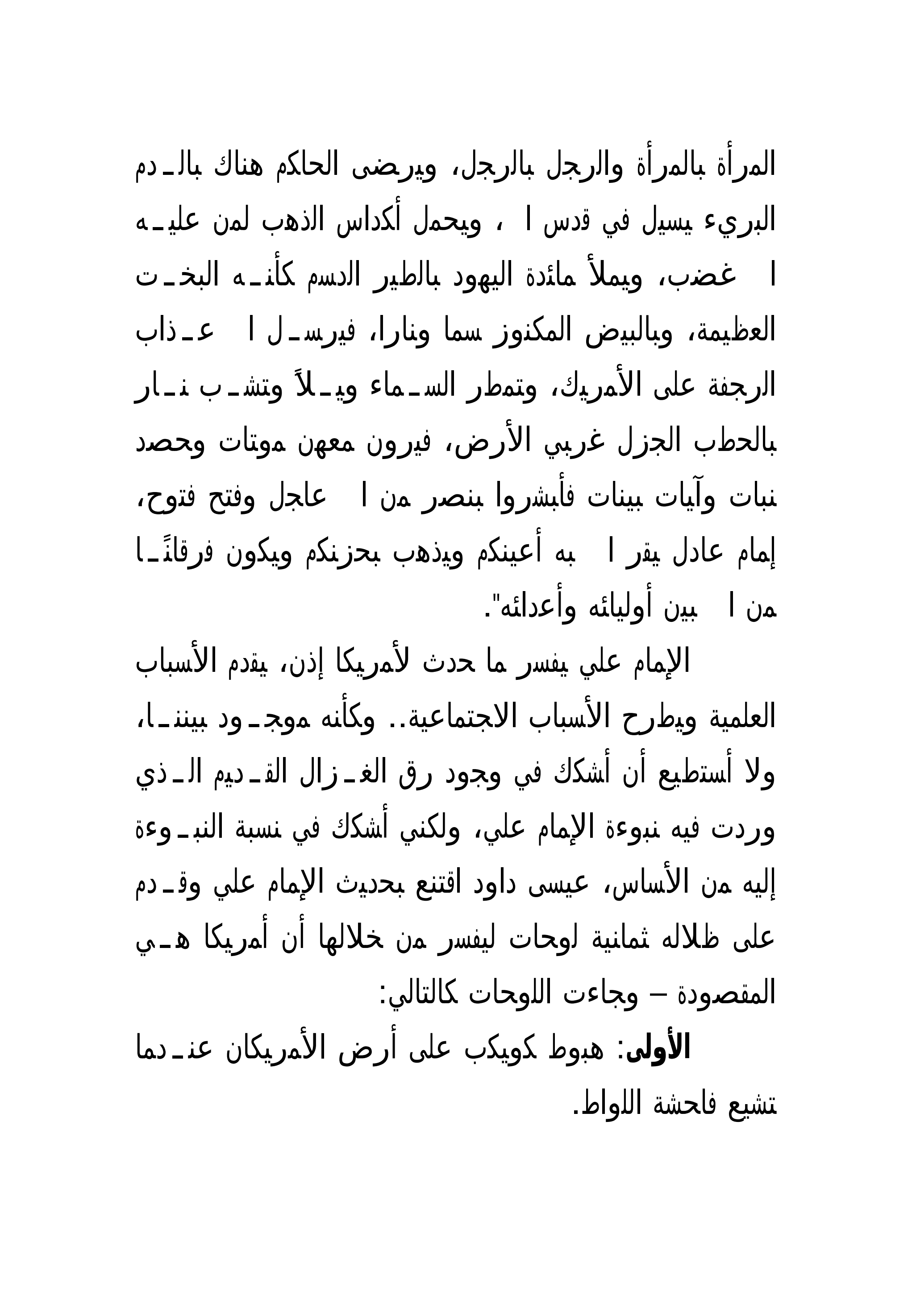
ا ، في أوله أو في وسطه أو في آخره؟ قـال: لا بـل فـي النصف من شهر رمضان، إذا كانت النصف ليلة جمعة يكون الصوت، يصعق له سبعون ألفًا، وتفتق فيـه سـبعون ألـف عذراء ويعمى سبعون ألفًا، قالوا من السالم يا رسول ا ، قال من لزم بيته وتعوذ بالسجود وجهر بالتكبير".. الحديث بهـذه الصورة لا يخرج عن كونه مجرد حديث يمكـن أن يكـون مكذوبا على النبي، لكن عيسى داود أخذ الحديث ونسج حوله تنبؤاته، وحتى ينقذ نفسه من مأزق تحديد موعد أو يوم لهذه الهدة، استراح لأن يقول: ولأننا نجهل أي رمضان هو، وفي أي سنة بالتحديد فإن سيدنا محمدا لم يـدخر وسـعا فـي أن يحذرنا فحدد أنها سنة كثيرة الزلازل، وهو بذلك يشير إلـى حديث الرسول الذي يقول فيه: إذا كانت صيحة في رمضان فإنه يكون معمعة في شوال، وتميز القبائل فـي ذي القعـدة وتسفك الدماء في ذي الحجة والمحرم وما المحرم؟ يقولهـا ثلاثًا "هيهات.. هيهات يقتل الناس فيها هرجا ومرجا".

وعندما سألوا الرسول، وما الصيحة يا رسـول ا ؟ قال هدة في النصف من رمضان ليلة جمعة، وتكـون هـدة توقظ النائم وتقعد القائم وتخرج العواتق من خدورهن في ليل

جمعة من سنة كثيرة الزلازل، فإذا صليتم الفجر مـن يـوم الجمعة فادخلوا بيوتكم وأغلقوا أبوابكم وسدوا كواكم ودثروا أنفسكم وسدوا آذانكم، فإذا أحسستم بالصيحة فخروا   تعالى سجدا وقولوا سبحان القدوس، سبحان القدوس فإنه من فعـل ذلك نجا ومن لم يفعل ذلك هلك".

ما حدث في أمريكا في ١١ سبتمبر لا ينطبق عليـه شيء مما ورد في الحديث، وهو الشيء الذي جعل عيسـى داود يعتبره مجرد مقدمات للهدة الكبرى التي سـتأتي فـي رمضان، ورغم أن الطائرات هي التي دمرت أمريكـا فـإن داود يعتقد أن الهدة لها علاقة بالسماء، وهذا كلام معقـول – لكنه يفقد معقوليته عندما نقرأ ما كتبه داود.. يقول: الهدة لها علاقة بالسماء وهذا يجعلني موقنا أنها ارتطـام "نيـزك" أو كوكب بالأرض الغربية للعـالم الإسـلامي، أي بالولايـات الأمريكية أو الأمريكتين، فالنيازك لم تقترب مـن أمريكـا.. وإنما اقتربت منها الطائرات التي صنعتها بنفسها!

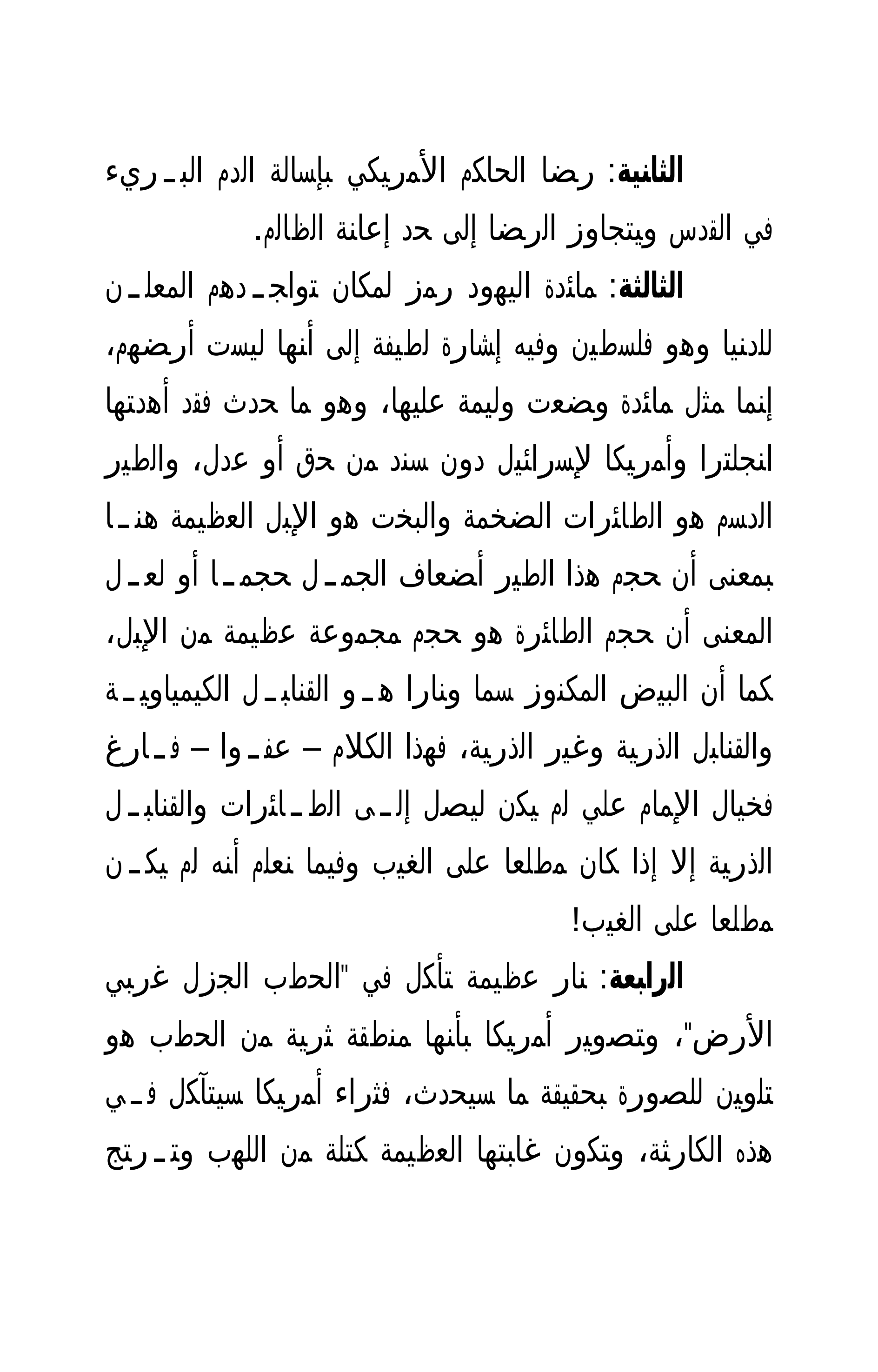
وينقل عيسى داود عن رق غزال قديم ينسـب إلـى سيدنا على أنه سيهبط من السماء على بـلاد الأمريـك فـي الحائط الغربي من الأرض كويكب العذاب، وعندما تكتفـي



المرأة بالمرأة والرجل بالرجل، ويرضى الحاكم هناك بالدم البريء يسيل في قدس ا ، ويحمل أكداس الذهب لمن عليه ا غضب، ويملأ مائدة اليهود بالطير الدسم كأنه البخت العظيمة، وبالبيض المكنوز سما ونارا، فيرسل ا عذاب الرجفة على الأمريك، وتمطر السماء ويلاً وتشب نار بالحطب الجزل غربي الأرض، فيرون معهن موتات وحصد نبات وآيات بينات فأبشروا بنصر من ا عاجل وفتح فتوح، إمام عادل يقر ا به أعينكم ويذهب بحزنكم ويكون فرقاناً من ا بين أوليائه وأعدائه".

الإمام علي يفسر ما حدث لأمريكا إذن، يقدم الأسباب العلمية ويطرح الأسباب الاجتماعية.. وكأنه موجود بيننا، ولا أستطيع أن أشكك في وجود رق الغزال القديم الذي وردت فيه نبوءة الإمام علي، ولكني أشكك في نسبة النبوءة إليه من الأساس، عيسى داود اقتنع بحديث الإمام علي وقدم على ظلاله ثمانية لوحات ليفسر من خلالها أن أمريكا هي المقصودة – وجاءت اللوحات كالتالي:

الأولى: هبوط كويكب على أرض الأمريكان عندما تشيع فاحشة اللواط.



الثانية: رضا الحاكم الأمريكي بإسالة الدم البـريء في القدس ويتجاوز الرضا إلى حد إعانة الظالم.

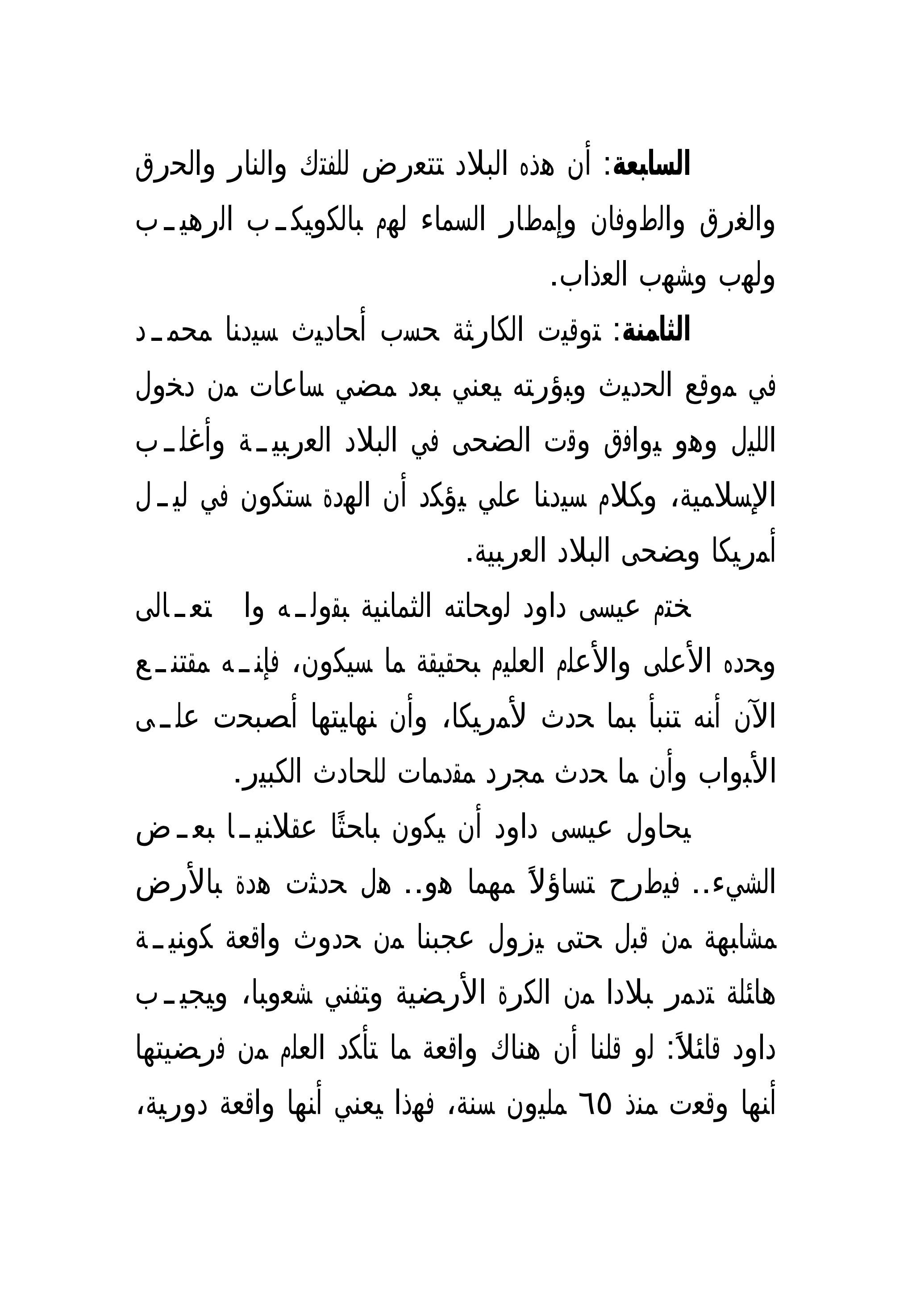
الثالثة: مائدة اليهود رمز لمكان تواجـدهم المعلـن للدنيا وهو فلسطين وفيه إشارة لطيفة إلى أنها ليست أرضهم، إنما مثل مائدة وضعت وليمة عليها، وهو ما حدث فقد أهدتها انجلترا وأمريكا لإسرائيل دون سند من حق أو عدل، والطير الدسم هو الطائرات الضخمة والبخت هو الإبل العظيمة هنـا بمعنى أن حجم هذا الطير أضعاف الجمـل حجمـا أو لعـل المعنى أن حجم الطائرة هو حجم مجموعة عظيمة من الإبل، كما أن البيض المكنوز سما ونارا هـو القنابـل الكيمياويـة والقنابل الذرية وغير الذرية، فهذا الكلام – عفـوا – فـارغ فخيال الإمام علي لم يكن ليصل إلـى الطـائرات والقنابـل الذرية إلا إذا كان مطلعا على الغيب وفيما نعلم أنه لم يكـن مطلعا على الغيب!

الرابعة: نار عظيمة تأكل في "الحطب الجزل غربي الأرض"، وتصوير أمريكا بأنها منطقة ثرية من الحطب هو تلوين للصورة بحقيقة ما سيحدث، فثراء أمريكا سيتآكل فـي هذه الكارثة، وتكون غابتها العظيمة كتلة من اللهب وتـرتج

أرضها رجا بسبب الهدة العظيمة التي تأثر بهـا كـل أرض ا ، كذلك تشتعل النيران بآبار البترول هناك وهي الحطـب الجزل، سيكون ضربة في فؤاد أمريكا.

الخامسة: الهدة لها صوت مخيف كأنه زئير الأسود الرهيبة القوة لدرجة تخلع القلوب من أماكنها، وأول من تفتك به أهل الشذوذ في أمريكا كالمصـارعات اللائـي يـربين العضلات، بعضهن يتركن حتى شعر الشارب في مشهد منفر بغيض، أما الرجال الذين هم كالجبال فيعني بهم الذين يملكون مقادير الأمور في أمريكا، ويظنون أن تـزول الجبـال ولا يزولون، وكذلك مراكز القوة في أمريكا، وجيوش كاملة يتسم رجالها بانتفاخ العضلات.

السادسة: اشتهار أمريكا بالزنا والعهـر وتصـدير الفساد الجنسي لكل شعوب الأرض عن طريق وسائط مـن اليهود وغيرهم، وبالفعل فإن لوحات الدعاية والجذب علـى محلات الدعارة المقننة في أمريكا أغلبها يرتفع بلمبات مـن الألوان الوامضة الجاذبة للانتباه.



السابعة: أن هذه البلاد تتعرض للفتك والنار والحرق والغرق والطوفان وإمطار السماء لهم بالكويكـب الرهيـب ولهب وشهب العذاب.

الثامنة: توقيت الكارثة حسب أحاديث سيدنا محمـد في موقع الحديث وبؤرته يعني بعد مضي ساعات من دخول الليل وهو يوافق وقت الضحى في البلاد العربيـة وأغلـب الإسلامية، وكلام سيدنا علي يؤكد أن الهدة ستكون في ليـل أمريكا وضحى البلاد العربية.

ختم عيسى داود لوحاته الثمانية بقولـه وا تعـالى وحده الأعلى والأعلم العليم بحقيقة ما سيكون، فإنـه مقتنـع الآن أنه تنبأ بما حدث لأمريكا، وأن نهايتها أصبحت علـى الأبواب وأن ما حدث مجرد مقدمات للحادث الكبير.

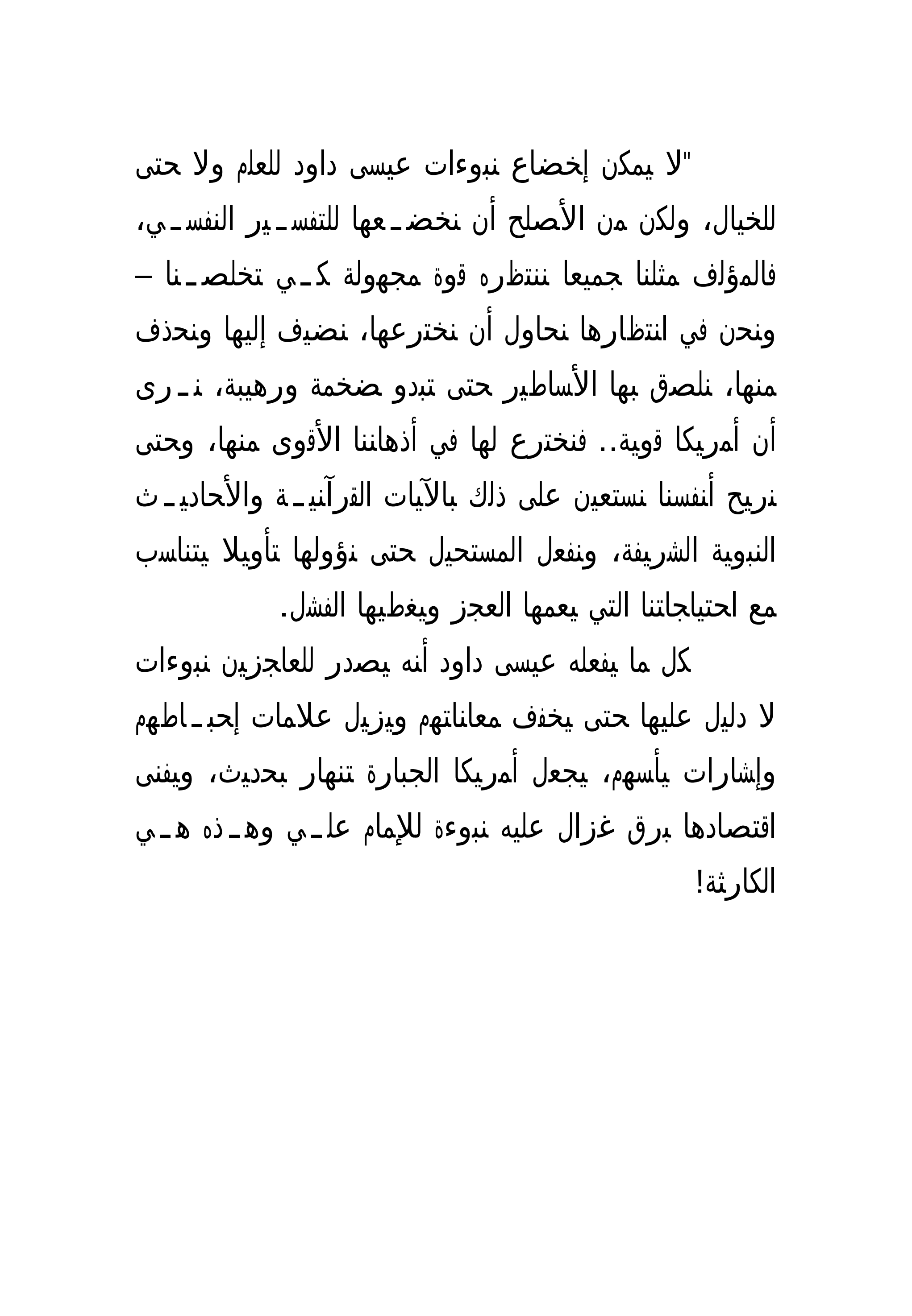
يحاول عيسى داود أن يكون باحثًا عقلانيـا بعـض الشيء.. فيطرح تساؤلاً مهما هو.. هل حدثت هدة بالأرض مشابهة من قبل حتى يزول عجبنا من حدوث واقعة كونيـة هائلة تدمر بلادا من الكرة الأرضية وتفني شعوبا، ويجيـب داود قائلاً: لو قلنا أن هناك واقعة ما تأكد العلم من فرضيتها أنها وقعت منذ ٦٥ مليون سنة، فهذا يعني أنها واقعة دورية،

بمعنى أنها ستتكرر مرة أخرى، أو على الأقل لا يوجد ما يمنع تكرارها في زماننا هذا، خاصة أن دواعيها وأسبابها أنذرت بها نذر السماء، وتأسيسا على هذا يكون معنى كلامنا بأن أمرا ما وقع منذ ٦٥ مليون سنة هو أمر موغل جدا جدا في القدم، هو تصور يغلفه وهم قياس عمر النظام الكوني بأعمارنا نحن المحدودة فلا يصح القياس.

ويوضح عيسى داود بعد استعراض بعض المعلومات العلمية والقياسات الفيزيائية، أن الكويكب الذي سيصطدم بأمريكا ويحطمها وهو يتوجه إلى الأرض عموديا سينتج موجات ضغط تبدأ في الوصول إلى الأرض كهدير طويل مباشر عقب الاصطدام، وسيستمر وصوله عددا من الثواني يعادل طول الرحلة التي قطعها الكويكب خلال الغلاف الجوي، ويرى مؤلفنا من وجهة نظره طبعا أن السر في وصية النبي أن يدخل الناس بيوتهم، وأن يغلقوا أبوابهم بإحكام وأن يسدوا كواهم أي المفتوح من النوافذ والطاقات، وأن يغطوا أنفسهم وأن يسدوا آذانهم، فإذا أصبح الإحساس بالكارثة متيقنًا فليخر الناس سجدا ويسبحوا ا عز وجل باسمه القدوس لأن من خواصه صرف الكوارث وآثارها.

الهدة التي يتحدث عنها كتاب المفاجأة سينفجر معها قدر هائل من الطاقة يقدر بحوالي "١٠٠٠ مليون" أرج لكل سنتيمتر مربع في سطح الأرض كلها، ولكي يبسط العلماء هذا المقياس قالوا أنه يعادل تفجير "١٠٠ ترليون/ طن" من مادة T.N.T شديدة التفجير أي مائة مليون مليون طن، وكي ندرك معنى الهدة – يقول داود: إن القنبلة الذرية التي ألقيت على نجازاكي في أغسطس سنة ١٩٤٥ انفجرت بقوة تساوي ٢٠ ألف طن، وهذا يعني أن قوة انفجار هذا الكويكب ستكون بقوة ٥٠٠٠ مليون قنبلة كقنبلة نجازاكي، ويعني هذا أنه لو أن الطاقة المتفجرة بسبب هذا الكويكب توزعت على سطح الأرض كله بالتساوي وهو ما لن يحدث لحسن الأقدار، فسيكون نصيب كل كيلو متر مربع من سطح الأرض عشر قنابل ذرية في قوة قنبلة نجازاكي.

ما قاله داود رهيب وشيء يفوق الخيال.. ولكنه بكل تواضع! يقول أن هذا المشهد الرهيب يظل أبعد بمراحل برغم كل ما قدمناه من أرقام عن أية خبرة بشرية أو علم بشري وليس أمامنا إلا أن نقول: "لا إله إلا ا محمد رسول ا عليها نحيا وعليها نموت.. ونسأل ا حسن الختام".



"لا يمكن إخضاع نبوءات عيسى داود للعلم ولا حتى للخيال، ولكن من الأصلح أن نخضعها للتفسير النفسي، فالمؤلف مثلنا جميعا ننتظره قوة مجهولة كي تخلصنا – ونحن في انتظارها نحاول أن نخترعها، نضيف إليها ونحذف منها، نلصق بها الأساطير حتى تبدو ضخمة ورهيبة، نرى أن أمريكا قوية.. فنخترع لها في أذهاننا الأقوى منها، وحتى نريح أنفسنا نستعين على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ونفعل المستحيل حتى نؤولها تأويلا يتناسب مع احتياجاتنا التي يعمها العجز ويغطيها الفشل.

كل ما يفعله عيسى داود أنه يصدر للعاجزين نبوءات لا دليل عليها حتى يخفف معاناتهم ويزيل علامات إحباطهم وإشارات يأسهم، يجعل أمريكا الجبارة تنهار بحديث، ويفنى اقتصادها برق غزال عليه نبوءة للإمام علي وهذه هي الكارثة!

ليلة الدخلة...
في أغاني الجماعة الإسلامية!

ليلة الدخلة في أغاني الجماعات الإسلامية!

أنت تعرف بلا شك الأغنية الدينية.. سمعتها مـن أم كلثوم عندما غنت القلب يعشق كل جميل لبيرم التونسي وولد الهدى لأحمد شوقي والثلاثيـة المقدسـة لصـالح جـودت، وسمعتها من عبد الحليم حافظ عندما غنى مجموعة أدعيتـه الرائعة العمق والخشوع والتي كتبها عبد الفتاح مصـطفى، سمعت محمد عبد الوهاب وهو يغني "أغثنا يـا رسـول ا " ونجاة عندما غنت لأحمد شفيق كامل "أنا في رحابك أنا.. أنا في الرحاب" ثم أغنية شادية الشهيرة التي كتبتها علية الجعار "خد بإيدي" والتي أصبحت فيما بعد أغنية التوبة التي بسببها اعتزلت شادية الفن والغناء وأهلهم جميعا!!

نستطيع أن نعدد مئات الأغنيات الدينية التي تغنى بها مطربون ومطربات بل هناك من يغلب على أغانيهم الطـابع الديني الخالص مثل أغنيات محمد الكحلاوي وأشهرها مـثلاً "أنا في جاه النبي" وحب الرسول يابا" وياسمين الخيام وهـي إن عددت أغنياتها الدينية فستتعب قبل أن تنتهي من عدها.

الأغنية الدينية إذن موجودة وبغزارة، وإن كانـت لا تعني مطلقًا أن الذي يغنيها أو يؤديها له سـمات شخصـية معينة كأن يكون معروفًا عنه "أو عنهـا" التقـى والصـلاح والصلاة والصوم وكافة شيء من العبادات فليس شـرطًا أن يكون مغنى الأغاني الدينية بتاع ربنا حسب تعبير البسـطاء عن الرجل التقي أنه راجل بتاع ربنا، لكن يمكـن وبمنتهـى البساطة أن يؤدي الأغنية الدينية شخص بعيد كل البعد عـن ربنا، "راجع مغامرات أسمهان العاطفية وسلوكها الشخصي، ثم راجع خشوعها وتبتلها وهي تؤدي أغنية "عليك صلاة ا وسلامه".

فالمطرب "أو المطربة" يقدم أغاني دينية لعدة أسباب منها مثلاً أنها تحقق التنوع الذي يجـب أن يحـرص عليـه المطرب، فكلما يغني "عاطفي" و"وطني" فهو يغني "ديني" وقد يكون السبب أن هناك مناسبة معنية ويجب أن يغنـي فيهـا المطرب "أو المطربة" الليالي المحمدية العديدة مـثلاً، فهـذه الليالي تتطلب أغنيات دينية حتى لو كان خط المطرب بعيـدا كل البعد عن الغناء الديني، ثم قد يكون السبب أخيـرا هـو حرص المطرب على كسب فئة جديدة لمستمعيه ولجمهوره،

عمرو دياب مثلاً غنى في شـهر رمضـان منـذ سـنوات مجموعة أدعية في إذاعة الشرق الأوسط كتبها مجدي النجار ولحنها حميد الشاعري وكان يؤديها بعد دعاء قصير للشـيخ الشعراوي، وأضاف عمـرو بذكائـه إلـى جمهـوره مـن المراهقين عددا كبيرا من مستمعي الغناء الديني!

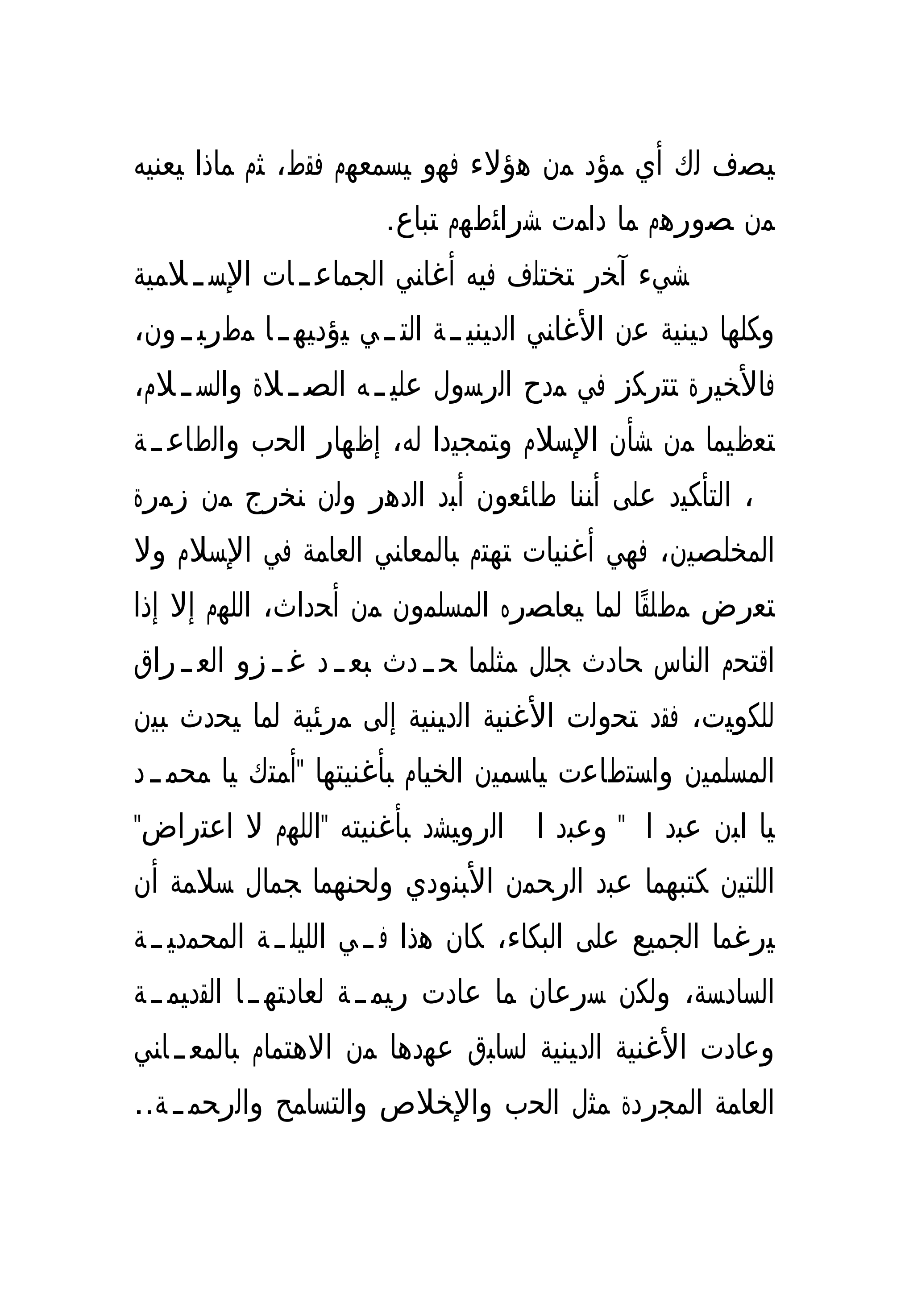
كان لابد من هذه المقدمة الطويلة العريضة قبـل أن ندخل بك إلى هذا النوع من الغناء الذي يمكن أن نعتبره غناء دينيا خالصا من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.. يعرفه أعضاء الجماعات الإسلامية على اختلاف ألوانهم وتوجهاتهم، وكذلك جماعة الإخوان المسلمين.

يجوز لنا أن نسميها "أغاني الجماعـات الإسـلامية" فكما لهم أفكارهم وأورادهم وأذكارهم وأهدافهم.. لهم أيضـا أغنياتهم وكان لابد من التنويه بوجود أغنيات دينيـة عامـة لنعرف موقع أغاني الجماعات الإسلامية بالضبط، وهل يمكن بعد ذلك أن نعتبرها جزءا من الغناء المصري فيهـتم بهـا مؤرخو الموسيقى والغناء ويتصدى لها بالنقد المتخصصون.

بداية ليس هناك بين أعضاء الجماعـات الإسـلامية مثلاً أفراد يمكن أن نطلق عليهم مطربين، ويتعامـل معهـم

الآخرون على هذا الأساس، فهم يرفضون من الأساس تسمية المطرب؛ لأن المطرب من التطريب، والطرب لا محل لـه عند الجماعات الإسلامية التي تسعى جاهدة لمحاربة أعـداء الدين الذين لا يكفون ليل نهار عن تدبير المؤامرات لتدميره "!!" وعلامات التعجب من عندنا بالطبع، وثانيا لأن أغـاني الجماعات الإسلامية يستطيع أي فرد أن يحفظها ويرددها بعد ذلك بصوته بصرف النظر عن كون هذا الصوت جيـدا أو رديئًا، هذا لا يمنع بالطبع أن الجماعات الإسـلامية تعـرف أسماء مثل عماد رامي وطارق أبو زياد وزين العابدين أبـو عابد وزين العابدين الكحكي وأبو البشر على أنهم المـؤدون الأشهر لأغاني الجماعات. وهم كما قلنا يرفضـون مسـمى مطرب ويفضلون أن تسبق أسماؤهم كلمات مثل المنشـد أو كما يكتب على شرائط الكاسيت التي تحمـل أغنيـاتهم أداء فلان أو إنشاد علان.

يختلف مؤدو أغاني الجماعات كذلك عن المطـربين العاديين في أنهم يرفضون أن يضعوا صورهم على أغلفـة الشرائط فهم يكتفون ببعض الرسومات التعبيرية التي تحمـل بعض معاني الأغنيات ولذلك لا يستطيع أي بائع شـرائط أن



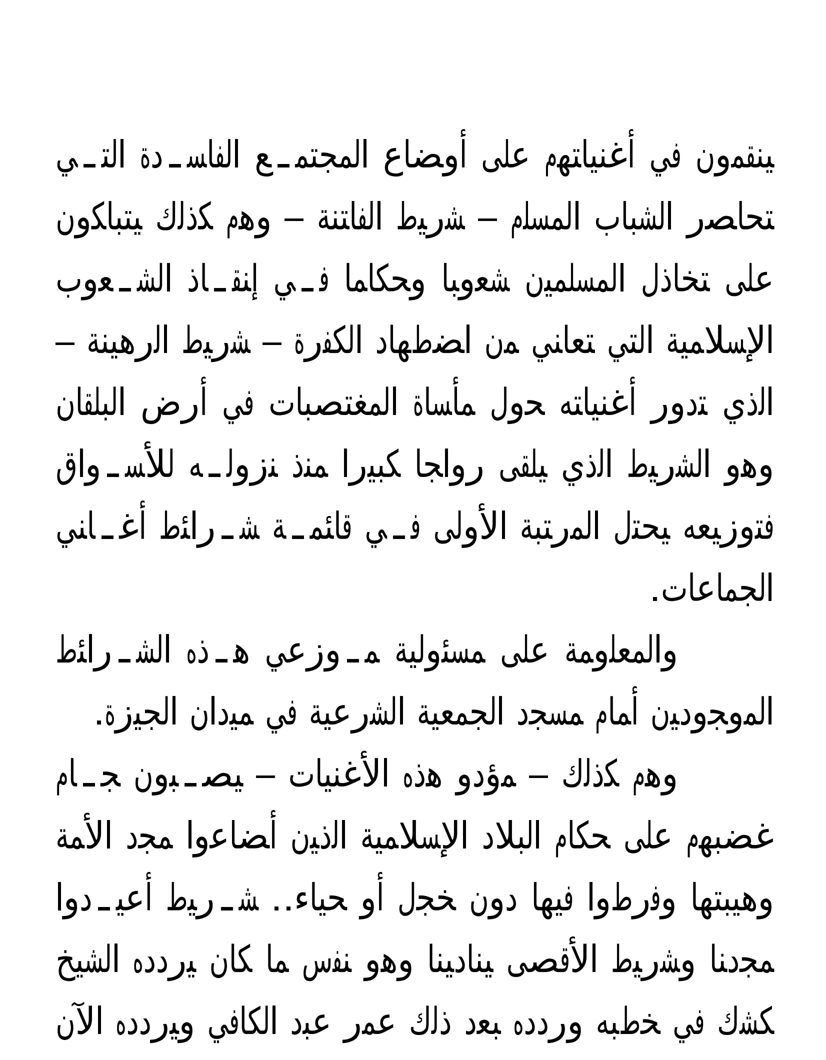
يصف لك أي مؤد من هؤلاء فهو يسمعهم فقط، ثم ماذا يعنيه من صورهم ما دامت شرائطهم تباع.

شيء آخر تختلف فيه أغاني الجماعـات الإسـلامية وكلها دينية عن الأغاني الدينيـة التـي يؤديهـا مطربـون، فالأخيرة تتركز في مدح الرسول عليـه الصـلاة والسـلام، تعظيما من شأن الإسلام وتمجيدا له، إظهار الحب والطاعـة ، التأكيد على أننا طائعون أبد الدهر ولن نخرج من زمرة المخلصين، فهي أغنيات تهتم بالمعاني العامة في الإسلام ولا تعرض مطلقًا لما يعاصره المسلمون من أحداث، اللهم إلا إذا اقتحم الناس حادث جلل مثلما حـدث بعـد غـزو العـراق للكويت، فقد تحولت الأغنية الدينية إلى مرئية لما يحدث بين المسلمين واستطاعت ياسمين الخيام بأغنيتها "أمتك يا محمـد يا ابن عبد ا " وعبد ا الرويشد بأغنيته "اللهم لا اعتراض" اللتين كتبهما عبد الرحمن الأبنودي ولحنهما جمال سلامة أن يرغما الجميع على البكاء، كان هذا فـي الليلـة المحمديـة السادسة، ولكن سرعان ما عادت ريمـة لعادتهـا القديمـة وعادت الأغنية الدينية لسابق عهدها من الاهتمام بالمعـاني العامة المجردة مثل الحب والإخلاص والتسامح والرحمـة..

وضع أي معنى عام ومجرد وستحصل على أغنية دينية تعبر عنه.

الأمر يختلف عند الجماعات الإسلامية فهم يعرفـون ما يفعلون لأنهم حددوا هدفهم منذ البداية فالأغاني عندهم لها صفة واحدة، فعندما يتحدثون عن الحب والـزواج فالأغنيـة دينية، وعندما يتحدثون عن الأوطـان وحبهـا – الأوطـان بمفهومهم أيضا – فالأغنية دينية وعندما يعرضون لما يحدث في الأقطار الإسلامية من قتل واغتصاب وتشريد فالأغنيـة دينية كذلك، وعندما نضع أمامك أسـماء بعـض ألبومـاتهم ستتأكد من ذلك، خذ عندك "أقدار" و"جاهدوا" و"رحلة شـهيد" و"يا عابد الحرمين" و"أبـاهي الـدنيا" و"رددي يـا جبـال" و"الرهينة" و"ثوار" و"أنا الفقير إليـك" و"الأقصـى ينادينـا" و"نادى المسجد" و"دعاني" و"داعي السلام" و"نحن جنـة ا " و"أعيدوا مجدنا" و"الفاتنة" و"محلى الليلـة" و"الفـرح جانـا" و"مرحبا".

في هذه الأغاني – رغم أن بعضها يطربك لحـلاوة ونداوة أصوات مؤديها – لكنك ستشعر أنك فـي محاضـرة يلقيها عليك أحد الدعاة الكبار في الجماعات الإسلامية فهـم



ينقمون في أغنياتهم على أوضاع المجتمـع الفاسـدة التـي تحاصر الشباب المسلم – شريط الفاتنة – وهم كذلك يتباكون على تخاذل المسلمين شعوبا وحكاما فـي إنقـاذ الشـعوب الإسلامية التي تعاني من اضطهاد الكفرة – شريط الرهينة – الذي تدور أغنياته حول مأساة المغتصبات في أرض البلقان وهو الشريط الذي يلقى رواجا كبيرا منذ نزولـه للأسـواق فتوزيعه يحتل المرتبة الأولى فـي قائمـة شـرائط أغـاني الجماعات.

والمعلومة على مسئولية مـوزعي هـذه الشـرائط الموجودين أمام مسجد الجمعية الشرعية في ميدان الجيزة.

وهم كذلك – مؤدو هذه الأغنيات – يصـبون جـام غضبهم على حكام البلاد الإسلامية الذين أضاعوا مجد الأمة وهيبتها وفرطوا فيها دون خجل أو حياء.. شـريط أعيـدوا مجدنا وشريط الأقصى ينادينا وهو نفس ما كان يردده الشيخ كشك في خطبه وردده بعد ذلك عمر عبد الكافي ويردده الآن محمد حسان ومحمد حسين يعقوب بصور مختلفة.. كل لـه طريقته وأسلوبه.

هذا التشابه بين الشيوخ والمغنيين يؤكد – وإن كـان الأمر لا يحتاج إلى تأكيد – أن الجماعات الإسلامية بجميـع أعضائها يسعون إلى تحقيق أهدافهم التي وضعوها في كتبهم ومنشوراتهم وجلسات تأسيسهم، فهم يهدفون إلى خلق مجتمع مسلم "!!" يخالف المجتمع الحالي مجتمع الجاهلية والكفـر.. وفي هذا السبيل استقطبوا الخطباء الشباب والنساء ليـدعموا ويساندوا هذه الدعوة.

ولأن كثيرا من شباب الجماعات حاصـرهم الملـل، بالإضافة إلى الهجوم الذي لاقته هذه الجماعات من أنها تحرم الفنون وتحيل الحياة إلى جحيم.. فبدأت قيادات الجماعات في التفكير للمحافظة على شبابها ومحاولة نفي الصورة الذهنيـة التي بدأت تترسخ عنهم في عقول العامة والبسطاء، وظهرت أغاني الجماعات، وأقيمت حفلات الزفاف الإسـلامية التـي استبدلوا فيها الأغنيات الماجنة.. حسب تعبيـرهم بالأغـاني الإسلامية الوقورة التي تصاغ على القرآن والسنة وتراعـي آدابهما وأخلاقياتها.

وبدأت هذه الأغنيات في الانتشار كما تنتشر النار في الهشيم، وبدأ شباب الجماعات الإسلامية يرددون هذه الأغنية

في كل مكان يتواجدون فيه ففي حفلات الجامعة يردد الشباب الأغنية "رددي يا جبال.. رددي يا سهول" وفي معسكرات الجوالة التي يحرصون عليها يرددون أغنية "ثوار" وأعيدوا مجدنا" وفي حفلات الخطوبة والزفاف يرددون أغنيات محلى الليلة – وافرح يا عريس.

في سبيل تحقيق الجماعات لأهدافها يحاول كتاب ومؤدو هذه الأغنيات اختيار كلمات سهلة وبسيطة ورغم أنه من المفروض أن تهتم هذه الجماعات باللغة العربية الفصحى فهي لغة القرآن، لكنهم يكتبون أغنياتهم بالعامية وإن كانت عامية دون ابتذال.. اسمع مثلاً:

جوه الحياة كلنا يا أهل الصلاة والصوم

ماشيين في نور ربنا ننده على المقسوم

وإن هل نور فرحنا تنسى العيون النوم

ولا يتورع أصحاب هذه الأغاني عن تضمين بعض الآيات القرآنية في أغنياتهم، اسمع أيضا:

ملك الملوك قال في الآيات.

"الطيبين للطيبات"

وفي اللي فات وفي كل حين

"المؤمنين للمؤمنات"

وهو الشيء الذي لو فعله غيرهم لأقاموا الدنيا عليـه ولم يسمحوا لها أن تقعد، وهو ما حدث لمارسيل خليفة عندما غنى نصا كتبه محمود درويش بعنوان "أنا يوسف يـا أبـي" جاء فيه "عندما مر النسيم ولاعب شعري – غاروا وثـاروا علي وثاروا عليك – فماذا صنعت لم يا أبي – أنا يوسف يـا أبي – يا أبي إخوتي لا يحبونني – لا يريـدونني بيـنهم – يعتدون علي ويرجمونني بالحصى – يريـدونني أن أمـوت لكي يمدحوني – وهم أقفلوا باب بيتك دوني – وهم طردوني من الحقل – وهم سمموا عيني يا أبي – أنا يوسف يـا أبـي الفراشات حطت على كتفي والطير حلق فوق يـدي، فمـاذا صنعت أنا يا أبي – وماذا أنا – أنت سميتني يوسف يا أبي – وهم أوقعوني في الجب – واتهموا الذئب – والذئب أرحم من إخوتي – أبتي أبتي يا أبتي هل جنيت على أحد عندما قلـت "إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمـر رأيـتهم لـي ساجدين" لعل ما حدث له من محاكمة ومطاردة يؤكد أن هذه الجماعات سواء كانت في مصر أو غيرها ترغب في احتكار الدين، فهي تمنع على الآخرين تضمين بعض الآيات القرآنية

في أغنياتهم ويستبيحون لأنفسهم ذلك رغم أن مارسيل عندما جاء عند الآية القرآنية أوقف الموسيقى تمامـا وأدى الآيـة بمنتهى الوقار.

تحرص أغنيات الجماعات على أن ينشأ الناس على تعاليم الدين الإسلامي فهم يرضون على أن ينشأ العروسـان على دين ا .. اسمع:

أحسن من كده إيه تاني..

حب وإخلاص وتفاني

عروسين ا يحميهم..

نشئوا على الدين الغالي..

ولأن الجنس والمرأة يحتلان مكانًا مهما للغاية فـي فكر الجماعات فهم يغنون للعروس العفيفة التي لم يرها أحد من قبل، وإن كانوا يرسخون لمعنى قد يكون خطيرا للغايـة وهو أن يقبل الآباء تزويج بناتهم لشباب حتى ولو لـم يكـن للشباب مصدر رزق معلوم ومحدد.. اسمع:

إديني اللي أنا حاسعد بيها..

وما تقولش منين حتكفيها..

دي النملة العاطي بيديها

رزقها في العرش المداري..

ورغم أنهم يحرصون على الفتاة الشـريفة العفيفـة لكنهم لا يغنون لها مطلقًا ولا يأتون بسيرتها مطلقًا.. اسمع..

دعوة من القلب وجماعتنا..

نفرح بأخونا وحبيبنا..

ونشاركه الحب في يوم عيده..

بالورد وبالحنة نزفه.

وهم يطلبون من العريس أن يفرح.. دون اقتراب من فرحة العروسة اسمع:

افرح يا عريس دا اليوم يومك

كل الأحباب بيبركوالك

والحب أهو خبط على بابك..

افرح واتهنا بمحبوبك..

لا نريد أن نحمل الموضوع أكثر مما يحتمل ونقـول إن هذه المعاني تعكس صـورة المـرأة عنـد الجماعـات الإسلامية وإن كانت بالفعل كذلك فالمرأة دائما فـي خلفيـة الصورة، ليس لها رأي في زواجها، يزوجها وليهـا، وهـي

للاستمتاع ولإعانة الرجل علـى تحمـل المصـاعب وأداء رسالته فقط!!

هذه الأغاني يؤديها أصحبها بدف أحيانًا وبدون دف، حيث يعتبر الدف أحد مميزات الأغاني التي يوجد فيها ودليل ذلك أن الشركة المنتجة لهذه الشرائط تكتب عليها بـدف أو بدون دف، هذا لا يمنع المؤدون في الأغاني التي بغيـر دف أن يلحنوا الأغنية ويصلوا بين مقاطعها بلازمات صوتية لحنية مثل "ا .. ا .. ا " أو "ها.. ها.. هـا.. آه.. آه.. آه" وهـم يفعلون ذلك بتلوين صوت يشبه إلى حد كبير نغمات الترانيم التي تتلى في الصلوات الكنسية.

وإن كانت هناك طريقة أخرى يتغلب بها المـؤدون حيث يؤلفون كلمات مماثلة لكلمات أغان شهيرة ويسـتغلون لحنها الذي يعرفه الناس مثل أغنية علـي حميـدة الشـهيرة "لولاكي.. لولا.. لولا.. لولا.." التي تحولـت عنـدهم إلـى "إسلامنا.. عالي.. عالي.. عالي".

بقي أن نسأل عن جمهور هذه الأغنيات.. من يستمع إليها من يشتري ألبوماتها؟.. الإجابة قالها لنا بـائع شـرائط متخصص في بيع الشرائط الدينية بأنواعها الثلاثة "القرآن –

الخطب – الأغنيات" فقط، قال: أكثر الذين يشـترون هـذه الشرائط هم الشباب والحريم "والكلمة بتعبيره" سـواء كـن شابات صغيرات أو سيدات كبيرات، أما كبـار السـن فهـم يهتمون أكثر بشرائط القرآن والخطب والمواعظ.

جمهور هذه الأغاني من الشباب يشترونها ويهدونها لأصدقائهم ليؤكدوا لهم كما قال لنا أحد طلبـة الجامعـة أن الإسلام فيه أشياء جميلة.. وهو لا يحرم الفـن كمـا يقـول البعض.. بل فيه أغان واحتفالات.. هكذا قال.. لكن من قال أن كل ما يقال حق.. أو أن كلام الناس يعبر عـن أفكـارهم الحقيقية.

اللّه....

كما يراه المثقفون!

ا .. كما يراه المثقفون!

وضع الإسلام حدود علاقتنا با .. وهي علاقة تقوم على أنه ليس مع أمر ا لماذا؟، علاقة نظمتها الآية الكريمة (**وما خَلَقْتُ الْجِن والإِنْس إِلا لِيعبدون * ما أُرِيد مِنْهم مـن رزقٍ وما أُرِيد أَن يطْعِمون**)، ليس لنـا أن نتجـاوز لا فـي العلاقة ولا في الحديث عنها.. فا منه الأمر وعلينا الطاعة، منه النعمة وعلينا الشكر، يمنحنا فرصة العمل في الدنيا.. ثم يكون له حق حسابنا في الآخرة.

هذا الشكل من العلاقة بيننا وبين ا الذي نحسه دون أن نراه، ليس معتادا عند الجميع فقد خضعت الفكرة لمناقشة طويلة عمرها من عمر الحياة.. لن أستعرض كـل شـيء.. ولكنها سطور قليلة في كتاب الفكر الإنساني، فالعقـاد الـذي ألف كتابا عن "ا ".. لخص موقفه من ا سـبحانه وتعـالى بجملة مكثفة رائعة.. قال "كلما رأيت جمالا في الكون قلت لا يستحق هذا الجمال إلا إله، وكلما رأيت نقصا في الكون قلت لا يستطيع أن يكمل هذا النقص إلا إله، الإيمان عند العقـاد

كان مطلقًا.. فكل ما في الكون من جمال يستحقه ا ، وكل ما فيه من نقص لابد أن يكمله ا .

هذه الفكرة المطلقة جعلت العقاد لم يقصر ا علـى المسلمين فقط، فالديانات الثلاث تنادي با الواحد.. اليهودية توحد ا والمسيحية توحد ا أيضا وترى لـه مـدلولات أو هيئات أخرى هي الأب والابن والروح القدس إلـه واحـد، والإسلام هو دين الوحدانية الكاملة، وقد جاء ترتيـب هـذه الديانات على هذه النحو متمشيا مع قدرة العقل الإنساني على قبول المعنى المجرد، أي على قبول الإله الواحد، وفي الديانة اليهودية يرون ا واحدا، لكنهم يجسدونه في بعض الأحيان ويرونه، وكتبهم تقول إن بعض الحكمـاء كـانوا يناقشـونه وأحيانًا يلومونه بعنف، وهذا يدل على أن العقـل الإنسـاني ليس قادرا على تصور إله ذي قوة مطلقة حاضرة حضـورا مطلقًا وعليما علما لا نهائيا.

الكلام عن ا في عرف العقاد.. تحول إلى محاولـة لرؤيته والحديث معه عند توفيق الحكيم.. ففـي مجموعتـه القصصية "أرني ا " يؤكد أن نصف ذرة من نور ا تكفـي لتحطيم تركيبنا الآدمي وإتلاف جهازنا العقلي – لكـن مـا

حدث عام ١٩٨٣ كان شيئا آخر.. ففي أواخر شهر فبرايـر عام ٨٣ نشرت الأهرام خبرا في صفحتها الأولى يؤكـد أن الكاتب الكبير توفيق الحكيم قرر أن يتفرغ للذات فلا يتحدث إلا مع ا من خلال فترات مناجاة، فهو يقول : لم يبق لي وأنا في آخر أيامي غيرك وليس غيرك من أحـب الحـديث معه، وأن يكون آخر ما أكتب هو هذا الحديث ولا يسقط القلم من يدي إلا وهو يخط اسمك الأكرم.. أسألك أن يكون حديثي في كل شيء شاهدته وفكرت فيه أثناء إقامتي في هذه الـدنيا دون حرج.

وعدت الأهرام قراءها أن تنشر حديث توفيق الحكيم مع ا كل يوم ثلاثاء. وفي أول مارس نشرت الحلقة الأولى بعنوان "حديث مع ا " وإلى جواره صـورة كاريكاتوريـة للحكيم يقف على سحابة في السماء، وتحت أقدامـه بعـض الكتب يضع يدا في جيبه والأخرى رفعهـا فـي الفضـاء.. وكانت هذه هي كلمات الحكيم "هذا الحديث مـع ا لـم أر مانعا من نشره بإذن ا طبعا، فأنت تعرف يا ربي أنـه لـم يبق لي وأنا في آخر أيامي غيرك وبإذنك أسألك أن يكـون حديثي في كل شيء شاهدته وفكرت فيه أثناء إقامتي في هذه

الدنيا دون حرج وأن تقويني على نشره في حلقات أسـبوعية كل حلقة يوم ثلاثاء..

ويفصل الحكيم كيف تم هذا الحديث يقول: لن يقـوم بيننا حوار يا رب إلا إذا سمحت أنت بفضلك وكرمك أن أقيم أنا الحوار بيننا تخيلاً وتأليفًا وأنـت السـميع ولسـت أنـت المجيب، بل أنا في هذا الحوار المجيب عنك افتراضـا، وإن كان مجرد حديثي معك سيغضب بعض المتزمتين لاجترائي – في زعمهم – على مقام الله سبحانه وتعـالى، خصوصـا وحديثي معك سيكون بغير كلفة، لا أصطنع فيـه الأسـلوب الرفيع اللائق بارتفاعـك ولا بالوصـف العظـيم المناسـب لعظمتك فأنا سأخاطبك مخاطبة بعض المـؤمنين بنبيـك ﷺ عما إذا كانوا سيرونك في الآخرة، لم يرد أن يخيب أملهـم، فلم يقل لهم كيف ترون من ليس كمثله شيء، وكيف وأنـتم شيء أن تدركوا من ليس بشيء؟ وكيف وأنت بشـر تـرون بعيونكم البشرية ما لا تراه العيون..

ظل توفيق الحكيم يتحدث حتى حدث العجـب، فقـد وقع ما كاد يجعله يغشى عليه دهشة، فقد سمع ردا من الله أو خيل له ذلك وهو ما جعله يعتقد أن الله موافق على إجـراء

الحوار، فاستأذن الحكيم من الله ألا يتخذ الحديث شكل الأخذ أو الرد أو الحوار حتى لا يطغى سرده، فلا يبـرز جـوهر المسائل، وافق الله كما يقول الحكيم بل قال له سبحانه: قـل على لساني ما تشاء وأنت تعلم أنه ليس لي لسـان مـتلكم، ولكن انسب وتخيل وألف، على أن يكون ذلـك كلـه علـى مسئوليتك وتحاسب عليه يوم الحساب.. فهمت".

قامت الدنيا على رأس توفيق الحكيم، دعاه الشـيوخ إلى مناظرة حتى يقنعوه بفساد ما فعله، ويبـدو أن الريـاح كانت عاصفة.. لأن الأهرام عدلت عنوان حوارات الحكـيم من حديث مع الله إلى "حديث إلى الله" من الجائز أن تتحدث إلى الله وتدعوه. ولا يجوز أن تتحدث معه، خاصة إذا كـان الحديث على طريقة توفيق الحكيم.. الذي اعتبر نفسـه والله أصدقاء يجوز أن يجري بينهما حوار ودي.

كان حديث الحكيم إلى الله سببا في قطيعة بينه وبين عدد كبير من الشيوخ وعلى رأسهم الشيخ الشعراوي، لكـن تشاء الأقدار ألا يموت توفيق الحكـيم إلا بعـد أن يـزوره الشعراوي، كانت الزيارة في مستشفى "المقاولون العـرب".. لم يطمئن الشعراوي على صحة توفيق الحكيم فقط.. ولكنـه

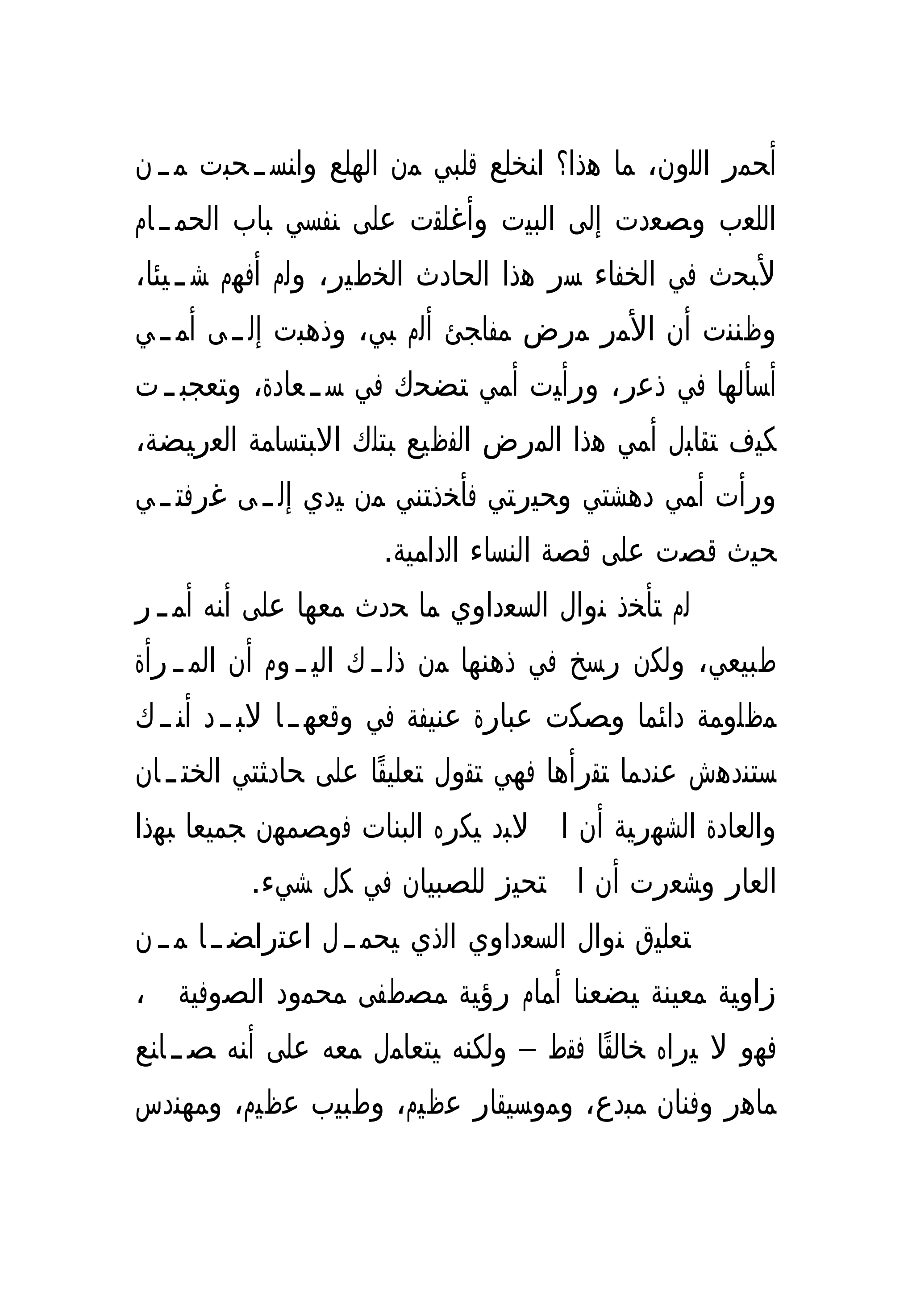
أهداه سجادة صلاة ومصحفًا.. وهي هدية معقولة من ناحيـة الشعراوي.. لكن ماذا فعل بها الحكيم – ا أعلم.

كثير من الأدبـاء والمثقفـين.. يقـرءون القـرآن ويتعمقون في معرفة أصول وقواعـد الإسـلام، لكـنهم لا يعملون ذلك بغرض التعبد والتقرب إلى ا ، فهم لا يبنـون علاقتهم با على العبادة بقدر ما يبنونهـا علـى المعرفـة، فإحسان عبد القدوس كان يؤمن بأن الأديـب الـذي يكتـب بالعربية، لكي يستقيم له جمال العبارة وموسيقى الجملة يجب أن يوثق صلته بالقرآن قراءة ودراسة، وهذا ما حـدث لـه بالفعل، فقد قرأ القرآن عشرات المرات بحكم نشأته مع جـده العالم الأزهري، وعندما أصيب بحالة نفسية وهو في السابعة عشرة من عمره ألزمته الفراش فترة طويلة، تخلـص منهـا بقراءة القرآن ثلاث مرات متوالية كعلاج نفسي، ثم بدأ بعـد ذلك يقرأ القرآن قراءة الدراسة والتـذوق لجمـال عبارتـه والإحساس بموسيقاه التي لا تدانيها موسيقا.

موقف إحسان عبد القـدوس مـن القـرآن يعتنقـه الكثيرون.. فهم يعرفون لا من أجل الوصول ولكن يمكن أن نقول أن كل شيء عندهم وظيفي الإسـلام والقـرآن.. وا

أيضا.. كنت أجري حوارا مع الكاتب الكبير حسـين أحمـد أمين، وهو كاتب يقدم في كافة وسـائل الإعـلام المرئيـة والمسموعة والمقروءة على أنه كاتب إسلامي.. قلت له – ما رأيك في مستوى خطباء المساجد، قـال لـي دون تفكيـر.. زفت! حسبت أن هذا الحكم القاطع الذي وصل إليه حسـين أحمد أمين عن تجربة ومتابعة دءوبة لخطبـاء المسـاجد.. سألته أين تصلي الجمعة يا أستاذ حسين.. فرد علـي بـنفس الحسم.. أنا لا أصلي الجمعة أصلاً، لم ينشر هذا الحوار في أية صحيفة فقد كانت به من الآراء ما يقلب الدنيا على رأسي ورأس صاحبها – لكني وضعت علامة اسـتفهام كبيـرة – وهي أن هناك عددا كبيرا من مثقفينا وكبار كتابنـا يملكـون معرفة عميقة بالدين وحقيقة ا .. لكن هذه المعرفة لا تقودهم إليه.. لا تجعلهم يقفون بين يديه.

التعالي على العلاقة الخاصة بين ا والإنسان تصل أحيانًا إلى درجة الاعتداء، د. نوال السـعداوي روت قصـة حادثة هجوم الدورة الشهرية عليها وهـي مازالـت طفلـة صغيرة قالت: لا أدري ماذا حدث لي وأنا أقفـز، أحسسـت برجفة عنيفة تسري في جسدي ودوار في رأسي ورأيت شيئا



أحمر اللون، ما هذا؟ انخلع قلبي من الهلع وانسحبت من اللعب وصعدت إلى البيت وأغلقت على نفسي باب الحمام لأبحث في الخفاء سر هذا الحادث الخطير، ولم أفهم شيئا، وظننت أن الأمر مرض مفاجئ ألم بي، وذهبت إلى أمي أسألها في ذعر، ورأيت أمي تضحك في سعادة، وتعجبت كيف تقابل أمي هذا المرض الفظيع بتلك الابتسامة العريضة، ورأت أمي دهشتي وحيرتي فأخذتني من يدي إلى غرفتي حيث قصت على قصة النساء الدامية.

لم تأخذ نوال السعداوي ما حدث معها على أنه أمر طبيعي، ولكن رسخ في ذهنها من ذلك اليوم أن المرأة مظلومة دائما وصكت عبارة عنيفة في وقعها لابد أنك ستندهش عندما تقرأها فهي تقول تعليقًا على حادثتي الختان والعادة الشهرية أن ا   لابد يكره البنات فوصمهن جميعا بهذا العار وشعرت أن ا   تحيز للصبيان في كل شيء.

تعليق نوال السعداوي الذي يحمل اعتراضا من زاوية معينة يضعنا أمام رؤية مصطفى محمود الصوفية   ، فهو لا يراه خالقًا فقط – ولكنه يتعامل معه على أنه صانع ماهر وفنان مبدع، وموسيقار عظيم، وطبيب عظيم، ومهندس

متمكن، وزارع متقن، وبحار مسيطر، وسائق منتبه، وكاتب عميق.. فهو خالق كل شيء.. ومجيـد لكـل شـيء، قـال مصطفى محمود ذلك نصا في كتابه "ا   والإنسـان" الـذي صدر في بداية الخمسينيات وكان الكتاب الوحيد الذي صودر في عصر عبد الناصر، يقول د. مصطفى: إن ا   عند جدي يتمثل في شخص طيب رحيم غفور تواب، يداوي الروماتيزم ويقوي المفاصل، وهو عند أمي مأذون يجمع رؤوس بناتهـا على رءوس عرسان أغنياء في الحلال، وهو عند الأطفـال عروس المولد، وهو عند أينشتين معادلة رياضـية وقـانون تخضع له الأشياء بالضرورة، وهو عند عاشق مثلي حـب، وهو عند مشايخ الصوفية وزير أوقاف يوزع الكساء، وهـو عند الملحد موضوع دراسة وعند المؤمن موضوع عبـادة، وهو دائما شيء حتى عند الذي ينكره.

ظلت هذه الرؤية مصاحبة لمصطفى محمـود فـي فترات شكه وفي فترات يقينه، ففي كتابه "حوار مع صـديقي الملحد" وفي صفحة ٨ يقول: السببية قانوننا نحن أبناء الزمان والمكان، وا   خلق الزمان والمكان ولا يصح لنا أن نتصوره مقيدا بالزمان والمكان، ولا بقوانين الزمان والمكان، وا   هو

الذي خلق قانون البيئة فلا يجوز أن نتصوره خاضعا لقانون البيئة الذي خلقه".. فا   عند مصطفى محمود واحد يراه فـي كل وقت وكل زمان.. ولا يحجبه عنه شيء.. حتـى ولـو كانت ذرات شك.

البعد عن ا   كموضوع عبـادة.. لا يمنـع بعـض المفكرين أن يجعلوا من ا   السند والعون والغيث، فنجيـب محفوظ الذي يراه بعض حوارييه صوفيا من نـوع خـاص، يجعل من ا   في كل رواياته سـندا للضـعفاء والمسـاكين والمحتاجين.. فعندما رمز   فـي روايتـه "أولاد حارتنـا" بالجبلاوي. جعل منه مقصد المظلومين وفي صفحات روايته كثيرا ما تجد أحد أبناء الحارة الذين ضاعت حقوقهم يصرخ والألم يكاد يعتصر قلبه قائلاً: يا جـبلاوي.. هـي صـرخة نكررها جميعا حتى لو كنا بعيدين عن ا .. فهو القوة التـي تحمينا.. واليد الحانية التي تربت على ظهورنا عندما نشـعر بالظلم.. نطلب منه الرحمة حتى لو كنا عصاة ونرجو منـه العون حتى لو كنا مغرورين ومتكبرين ونعتقد أننا أقوياء.